رواية

ماندورلا

أحمد الفخراني

ماندورلا

أحمد الفخراني

دار العين للنشر

fb/mashro3pdf

ماندورلَّا

(رواية)

أحمد الفخرانى

الطبعة الأولى / ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر
٤ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة
تليفون: ٢٢٣٩٦٢٤٧٥ ، فاكس:٢٢٣٩٦٢٤٧٦
E–mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار
أ.د. أحمد شوقي
أ. خالد فهمي
أ.د. فتح الله الشيخ
أ.د. فيصل يونس
أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي
المدير العام
د. فاطمة البودي

الغلاف: إهداء الفنان هشام رحمة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣١١٠ /٢٠١٢
I.S.B.N 978 – 977 – 490 – 202 – 4

fb/mashro3pdf

ماندورلَّا

رواية

أحمد الفخرانى

دار العين للنشر

fb/mashro3pdf

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الفخرانى، أحمد.

ماندرولا: رواية/ أحمد الفخرانى.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٣

ص؛ سم.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٠ ٢٠٢ ٤

١– القصص العربية.

أ– العنوان

٨١٣

رقم الإيداع / ٢٣١١٠ / ٢٠١٢

fb/mashro3pdf

إهــداء

إلى سالي أسامــة..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سيشترى جرافت اليوم، مكافأة لنفسه.

جرافت غالية الثمن، ماركة.. وربما حذاء. "أستحقها".. قال لنفسه، ثم قبل زوجته، وخرج.

انتظر حتى تغلق زوجته الباب، ليس من المضحك أن نقول إنه يعشق صرير الباب، يتفاءل به، كما يتفاءل أي منكم بأشياء عجيبة، تكراره اليومى يطمْئن قلبه، يؤكد له سيطرة قبضته على الحياة "تنفلت من الواحد منا، كأنها لم تعرفنا يوماً".

ليلة أمس، تأكد من قدرة أضاع أربعين عاماً من حياته لبلوغها: التحكم في وصوله للذروة. كابد كثيراً وها هو يحصد "نتائج إرادته الصلبة" كما يسميها.

هو رجل راق، ليس فجاً، يقرأ كثيراً، ويكتب خواطره بانتظام صارم. أقول ليس فجاً (مثلكم)، فعندما نتحدث عن التحكم في الذروة فيما يخص حياة هذا الرجل، لا نقصد ذروة الجنس –فقط– بل ذروة أشياء على غرار القوة والحكمة والاستهلاك اليومي لطاقته.

fb/mashro3pdf

ولا نقصد بهذا التقليل من أهمية التحكم في بلوغ ذروة الجنس، لكنه قد يئس من هذا الأمر ونحاه جانباً، ولجأ إلى سحر العلم، لا قوة إرادته"الصلبة".. "الأنفرانيل" و"الترمادول"، وهو ما كلفه الاضطرار لمصادقة صيدلي عجوز، وقبول آرائه المسحوقة بفعل الزمن، وضحكته التي تلح في التذكير"أنا رب السعادة في هذا الشارع".. فضلاً عن أعراض تعامل معها بتجاهل كالإمساك والقيء.

قاد سيارته بتناغم، بينما عقله يحكم إثبات نظريته عن فنون الذروة.. استغل التوقفات المرورية ليخرج بلوك نوت صغيرة من آن لآخر ليسجل جملة واحدة من جمله المحكمة.

فكر أنه منح "صباح خير" منضبطة للبواب، صباح محكم، لا يبخس قدر البواب، ولا يغريه باختراق الحاجز الأسمنتي بين طبقة الرجل العارف، والرجل الذي ينتظر نشرة الأخبار على سبيل الفضول ويصدقها كقرآن.

استوقفته ملاحظة مهمة: وصف نفسه احتاج إلى كلمتين، فيما احتاج وصف الرجل الذي لا يعرف إلى عشر كلمات، فتذكر مقولة النفَّري "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة" وهو ما يصب كلية في صالحه.

"صوت إغلاق الباب كان أعلى من كل مرة".. قفز الهاجس في ذهنه متحدياً مخزون سنوات من الأنفرانيل.. نقر بوابة مظلمة في عقله، نقرة خفيفة.

هذا لا يعني شيئاً، قال لنفسه، لكن الهاجس تمدد "صوت إغلاق الباب

fb/mashro3pdf

كان أعلى من كل مرة، كل مرة يكون حنوناً"رسالة زوجته له قبل ابتعاده جسداً "أنت معي روحاً.. فلتعد سريعاً".. لم تنطقها يوماً، لكن تعارفا على أن يتركا الأمر لوسيط الفراق، الباب الصالح للاستخدام كأثير للمشاعر.

حاول أن يجرب الحيلة القديمة، قبل أن يصل لحل الأنفرانيل، التفكير في أي شيء آخر، لقتل الهاجس بفيضان من الأفكار المتضاربة، وسحب الأضواء عنه، فالهواجس كنجمات السينما، يقتلهن بُعد الأضواء.

لكن الأفكار، حتى السام منها، تتشبث بالمشترك بين نجمات السينما والنساء، كلما طاردناهن نفرن.

وهو ما جره إلى اكتشاف سبب هجره من فتيات عديدات، منذ فترة مراهقته الأولى، وهو ما برّأهنّ –أمامه– من تهمة الأنانية وعدم احترام المشاعر الفياضة، لكنه استبدل تلك التهمة بأخرى (كنّ يخشين أن لا أمنحهنّ متعتهنّ كاملة، كنت أعلق على ظهري، لافتة كبيرة: أنا أحمق يبلغ الذروة قبلكن، بينما أظن أن تقديم مشاعرى، كشيك على بياض يصورني كنبيل"، وبعد أن فسر لغز حبهن "للواد التقيل"، جسّد تهمتهن كالتالي: يخفين شره أجسادهن تحت غطاء كثيف من الرومانسية والطفولة المصطنعة).

"هل أضعتُ أربعين عاماً لأصل لحل لغز بتفسير سطحي وقابل للشك؟"

الأمر تخطى الهاجس الواحد، كما لو كان المحاصر الوحيد على هذا الكوكب، شعر ببرودة شديدة تلف رأسه، ودوار، ثم صداع نتيجة غلق معابر الدم إلى مخه.

fb/mashro3pdf

بجوار أقرب مقهى، جلس، مؤجلاً مكافآته لنفسه "الجرافت" وقرر استبعاد احتمال الحذاء.

لم يدخل ذلك المقهى من قبل، لكن طلبه المعتاد كان حاضراً، قرفة بالحليب، دون أن يسأل، لم يندهش، على العكس، أراحه ذلك وأعاد روحه إلى صفر الميزان: لا نحتاج سوى "الإصرار للسيطرة على مقدراتنا".

كتب تلك العبارة على رأس صفحة في البلوك النوت الصغير، راجع بعض العبارات الصغيرة، تلك نظرية ستقلب العا لم من جديد، ستضع حداً لانفلات الحياة الصفيق والمفتقد للّياقة.

علينا فقط أن لا نبلغ الذروة، ذروة أي شيء، هكذا نرد لها الصاع صاعين، وننجو من المتاهة.

جاءته، القرفة بالحليب، سيطبق عليها تحكمه البالغ في الحياة، سيعذبها بالتمنع، سيمتع الكوب المسكين، سيمس رحيقه دون انتشاء، دون أن يصل بمتعته أو متعة الكوب إلى ذروة فنائه، سيظل الاثنان على عطش، وبينهما ألق المتعة العصيّ.

تطبيق ذلك أحاله إلى بهلوان، ففي حالة الكوب بدا الأمر تطبيقاً متطرفاً ومتعسفاً للنظرية، فهو إما أن يشرب أو لا يشرب، وهو الخاسر الوحيد في حالة عدم إنهاء القرفة بالحليب، فالقهوجي سيقبض الثمن، بينما سيواصل الكوب دورة انتهاكه كعاهرة بين الأفواه.

في رأيه كان للأمر أن ينجح لولا أنه صادف على المقعد المقابل له، أذناً كبيرة ميتة.

fb/mashro3pdf

لم يعتد ذلك الرجل، أن يقابل آذاناً كبيرة ميتة.

رجل راقٍ مثله –يحفظ طريقاً واحداً لبيته، لا عن كسل، ولكن لأنها أفضل الاحتمالات– كان الاحتمال الأنسب له أن لا يقابل أذناً كبيرة وميتة، لم يتخيل ذلك، ربما قابل ذلك التخيل في كابوس، لكنه نفاه بمنطق محكم وبسيط، ثم نسيَه تماماً، حتى إنه لا يمكن الجزم إن كان تصور ذلك فعلاً أم أن الأمر مجرد فذلكة منه.

لكنه قابله، الأمر حسم.

عندما نقول "أذن كبيرة وميتة"، نقصد شخصاً يملك تلك الأذن، كسمة وحيدة ومميزة في أعين رجلنا الراقي، سمة مضخمة كشخصيات الكارتون.

وربما يكون هذا هو الوصف الأنسب، فببساطة منطق الكارتون، أزاحت الأذن الكبيرة الميتة، خطوات الحياة المعقدة والسمجة، واخترقت حواجز كثيرة إسمنتية وصلبة، يضعها الرجل الراقي، وجلست بجانبه على نفس الطاولة.

كان شاباً في الثلاثين، يوجه رأسه نحو العالم كي لا ترى سوى أذنه السليمة العادية، يبدو حينها وسيماً.

قالت الأذن الكبيرة الميتة: أنا سعيد لأن السوسة لازالت تنخر روحك.

انزعج الرجل الراقي من صفاقة الأذن، قفز معلناً انصرافه، لكن يد صارمة أجلسته، لم تكن اليد، إذا أردنا توخي الدقة، لكن تلك النظرة التي أعلنت كراهية مخيفة، ومزلزلة.

fb/mashro3pdf

جلس. حاسبت الأذن الكبيرة الميتة على ثمن الكوب المسكين، الذي عذب بمتعة الرجل الراقي، ثم اصطحبه من يده كطفل.

على عتبة المقهى، أخرجت الأذن الكبيرة الميتة مقصاً، ووضعه في جنب الرجل الراقي ضماناً إذا نفد مخزون التهديد في نظرته الأولى، المزلزلة.

كانت الاحتمالات –لعبة الرجل الراقي المفضلة– تصب في صالح انتصاره على المجنون حامل المقص، فهو أطول وأضخم جثة، فاستعماله المفرط للأنفرانيل جعله أكثر ميلاً للسمنة، أما الأذن الكبيرة الميتة –والذي يحمل اسماً واقعياً بالضرورة– فكان نحيلاً كظل، حتى إن الرجل الراقي، شك أن للأمر علاقة بفقدانه السيطرة على هواجسه.

أضاف هاجساً جديداً، وهو يعبُر الطريق مع ظل، الاحتمالات خدعة، فرغم إشارتها لقدرته على التخلص من الأذن الكبيرة الميتة، ببساطة وبنسبة نجاح كبيرة، إلا أن الاحتمال الأضعف، كان قوياً لدرجة أخلت باللياقة.

الأذن الكبيرة الميتة، توجهت نحو شاحنة، عملاقة، دفعته بغلظة، في الداخل، بجوار أجساد متراصة مكممة ومقيدة.

ثلاثة أشباح –هكذا رآهم– تكفلوا بتقييده وتكميمه، أُغلق الباب الخلفي للشاحنة، الظلمة فرضت إيقاعها، لم تُخِفْه، أحس بتوحد بالغ معها، بدت كرحم احتواه من قبل، لم ينضم لكورال الاستغاثات المكبوتة خلف الكمامات، فكر أن من المناسب استبعاد احتمال شراء الجرافت اليوم.

***

fb/mashro3pdf

متاهة الرجل الراقي

من البداهة أن نوقن أن قطع أذن، لا يمثل خبراً يشبع شراهة الصحف، ولا عشرين أذناً مقطوعة، ولا مئة.

احتاج الأمر إلى أن يسير ألف شخص بدون أذنهم اليمنى في الطريق، لتلتقطه الصحف كشرارة.

الصحافة، فن التسطيح –وهو ما يضمن لها الاستمرارية والذيوع– لذا لم تسأل أكثر الأسئلة بداهة وعمقاً، لم قطعت الآذان اليمنى دون اليسرى؟ واستوقفها أنهم ساروا في الطريق في تجمع شوه سلام الشارع.

في تتبعنا للرجل الراقي كمثال، وعلى عكس الصحافة، لم يضخم الأمر، ولا زوجته التي استقبلته بنفس الصرير –ميزان علاقتهما الحساس– كأن بقعة قرفة بالحليب علقت بقميصه.

fb/mashro3pdf

بعملية تعاملت مع الأمر، لم تناقشه، استدعت خبرتها القديمة في العمل في صيدلية "رب السعادة"، في تغيير الضمادة على أذنه المقطوعة.

خمسة عشر عاماً وولدان، ومئات المرات من ممارسة الجنس، ورغم ذلك يلحظ للمرة الأولى أن لزوجته أذنين جميلتين، دقيقتين كرشة ملح فوق ذلك الجسد الذي أعياه الحمل وفعص الثديين.

تذكر أن سببها الوحيد لرفضه في بداية فترة الإغواء، أن اسمه عبد الجبار.. لم يشعر باسمه قبل ذلك، لم يفكر بمعناه أصلاً، رغم وضوحه، اعتاده لدرجة أنه دهش: لم تستغرب فتاة تجاوزت الخامسة والعشرين، وكل يوم يقربها أكثر من دائرةَ العنوسة من اسم عادي كهذا؟ عادي لدرجة أنه لا يراه.. كان هذا التطلب في رأيه دليل تفاهة "اسم مش مودرن"، كرهها وأحبها في آن.. ضحك من غروره وحماقتها.

كانت زوجته، النغشة وقتها كلقمة قاضٍ تتقلب على الزيت، تعمل في صيدلية الرجل الذي يدوس على روحه بامتلاكه الأنفرانيل.

الصيدلاني، الذي كف عن أن يكون آدمياً، يمتلك وجه اليهود في مسلسلات الجاسوسية، كان يدوس على روحها هي الأخرى، تعمل مقابل ملاليم، حتى الثناء، كان يمتص مقابله عملاً أكبر وتضحيات تنم عن "معدنها الذهبي" مقارنة بزميلاتها الكسالى.

من ناحيتها، كانت ريهام، تؤمن بأن تلك الصيدلية حياتها، عملها كان من التاسعة صباحاً حتى السادسة مساء، لكنها لم تكن تغادر أجزاغانة "الرب" إلا في العاشرة ليلاً، ولو كان الأمر بيدها، لما غادرتها، حتى الأحد يوم إجازتها، كانت تقضيه في الصيدلية، كزائرة تمارس دور الإشراف

fb/mashro3pdf

على زميلاتها، اللاتي لا يفوتن فرصة للضجيج والشكوى، أغلبهن كن مخطوبات، بأفضل الفرص التي يتيحها الدبلوم وأدوات التجميل، كن يغمزنها من وقت لآخر، بعنوستها القادمة، كرد بدا لهن مثالياً، على اجتهادها غير المبرر لاختطاف رضا الصيدلي العجوز، مقابل ملاليم والمزيد من العمل المنهك.

ظهور عبد الجبار في حياتها، لم يكن اختراعاً، ألف فسل مثله، حاول أن يضمها كزوجة صالحة للطي والفرد، تعطي انطباعاً دائماً بالخضوع، وهو نقطة اغرائها التي انكسرت بالزواج (أو) فقدت سحرها إن شئنا الدقة، ليس لعوامل الزواج والحمل التقليدية، لكن لأن ذلك السحر كان يعمل في حضرة تعدد الرجال الطامعين، أما استخدامه الآن –إن صلح– فيطردها من خانة العلوقية "الطيبة" إلى الشرمطة "الشريرة"، كونها تحمل خاتم السر المقدس.

الصدفة، لعبت دوراً صغيراً جداً، ولولا احترامي للمصادفات لقلت دوراً تافهاً، في أن يشعر عبد الجبار أن هناك شيئاً، يربط بينه وبين ريهام، أن يفسر إشارة الخضوع العفوية، على أنها تخصه وحده، كل الخطوات التي تلت تلك الصدفة، كانت مخططة ومقصودة تماماً من جانبه ومتواطئة من جانبها، فيما يعلن القدر براءته وتورطه الكامل في آن.

لم تكن نشأت بينه وبين الأجزاغانجي الجشع، علاقة ود/مصلحة من أي نوع، صحته كانت جيدة، و لم يكن مضطراً للالتفات لرأس صلعاء، وجسد مكور ومدكوك، يصطنع الحمق ليخفي إدراكه لرائحة المكسب ككلب مدرب.

fb/mashro3pdf

كان خارجاً من وحل مأساة، عاشق مغطىً بالروث، ففي حيوات كثيرة تقلب بينها، لعب دور الذليل بالقدر ذاته الذي لعب فيه دور المذل.

لكن تلك المرة، كما تقول الجملة البليغة التي انتقلت بفعل الزمن من قدسية الجمال إلى كنب الميكروباصات، كانت القشة التي قصمت ظهر البعير.

فمحبته لتلك الفتاة، دفعته ليكون شخصاً آخر، بعيداً عن ما يريده، وما سيجاهد من أجله طيلة أربعين عاماً، إذا ما استثنينا فترة معرفته بتلك الفتاة، التي فكت صامولة عقله وباعتها.

كان وقتها يعمل كمحام تحت التمرين، أو صبي محام كما كان يسمي نفسه، لم يكن يتعلم شيئاً من ذهابه للمحكمة، كان دوره الرئيسي هو دفع الملل عن عمه صاحب المكتب، وتظبيط الشهود لنصب العدل (كمفعول به)، ومشاهدته وهو يستغل كل دروس الخطابة والقانون، مستفيداً من قدرة (لغتنا الجميلة) على نفخ الأشياء بعيداً جداً عن حقيقتها.

في إحدى الجلسات، كانت سارة، هناك، تدلق جسمها المرطرط، وتقزقز اللب، وعبد الجبار مل ويفتقد الصبر، كل قصص الحب التي خاضها كنبيل، وخرج منها على خازوق كانت بسبب تكة الصبر المفقودة، وهو ما وضعه بعين الاعتبار في استراتيجية حياته التي تلت خازوق سارة.

كانت تملك شعرا أشقر ووجهاً منمشاً، وتدلل بتلك الصفتين على أن أصولها تركية، لتشوش على انتمائها لطبقة فقيرة. آليات التشويش على الطبقة تلك ستنضج أكثر بعد عشر سنوات، بعد انتشار الإنترنت والمطاعم

fb/mashro3pdf

التي تقدم السوشي والكافيهات التي تشترط عشرات الاختيارات قبل أن تقدم لك الكابتشينو، سارة لم تلحق تلك الفترة الزاخرة بالادعاء، لكن آلياتها فقيرة الخيال كانت تناسب عصرها الزاخر بالادعاء بدوره.

سارة، لم تكن طرفاً في قضية لتأتي المحكمة، "مش وش محاكم" هكذا قالت لعبد الجبار بعد أن اصطادته في حوار بدأ بطلب سيجارة خارج القاعة، وأكملت "أتابع قضية جارنا وزوجته، يقتلنى الفضول، لأتابع نهاية ذلك المسلسل، عندما جاؤوا إلى العمارة التي نقطنها، كنت أول من لاحظت أن الأمر سيكون مسلياً وغامضاً، أملك حاسة شم قوية فيما يخص الغرباء عن شارعنا، أجرا شقة في حي فقير في المرج لإخفاء شيء، نحن نسكن هناك فقط لأن أبي مهما أعطاه ربنا يعامل بيت عائلته، معاملة حوض سمك، إذا خرج منه يفطس، أضحّكك اسمي سارة سمكة، وجدي الأكبر اسمه بيار، تراكوة، من بلاد تشكرات أفندم، وأدب سيس".

كان بإمكان عبد الجبار، أن يفكر في أن الحكاية "مش راكبة"، لكنه كان يرغب في أن ينخدع، أبداً لم يكن ساذجاً، هو فقط لم يكن قد سطب تكة الصبر على سوفت وير دماغه، وهو الأمر الكفيل باسقاط اللباس عن الكائن.

سارة، أكملت بحماس بينما عبد الجبار غارق في تأملات أفلاطونية عن قصة الغرام المقبلة: "الذي يجيء في الظلام، دائماً مثير، جاء ربيع، في الثالثة صباحاً، هدير عربة النقل يوقظ كوكباً لا عمارة فقيرة، الشبابيك كلها انفتحت، ارتبك، ما معنى وجود أثاث بتلك الفخامة في شقة تهرب

fb/mashro3pdf

منها الفئران؟ قضى أسبوعاً لوحده، بينما العمال لا ينقطعون عن الذهاب والمجيء، بصاتنا المتلصصة، بحجة الشاي وكيك الجيرة وأخلاق العشرة، كشفت أن الشقة تتحول إلى ملخص قصر، نجف وتحف وشغل أرابيسك وسجاجيد عجمي، بتاعت مسلسلات التليفزيون، كان ناقص يجيب حوض سباحة، أعتقد إنه فكر في ذلك الأمر، بعد أسبوع، قل عشر أيام، جاءت زوجته المذهبة، أم رامى، وطبعا رامي نفسه، طفل في الإعدادية، تشوف منظره، تعرف أنه ياكل حرام في حرام، وهو ما انتظرت أن تكشفه الحلقات القادمة من المسلسل، شهر بكتيره، وملكوا الشارع، كنا نتفرج على الزوجة المذهبة، كأننا نتفرج على صفية العمرى في ليالى الحلمية، كانت بنفس الغطرسة، لكن كلنا تواطأنا على ألا نسأل، ما الذي يجبر ناساً يملكون الذهب ويعيشون عيشة ملوك، على السكن في حي فقير كهذا؟، لماذا لم يختاروا مكانا أنظف!!!".

لو كان عبد الجبار، توقف هنا، توقف لدقيقة واحدة مثلاً وفكر، أن يقول لها: وما الذي يجبر أبوكي يا بنت القحبة؟!، ولو لم يصدق حكاية النوستالجيا غير المحبوكة تلك لنجا.

تلك الدقيقة المثالية أرسلها القدر بالفعل في مظروف مسوجر لحماية عبد الجبار، لكنها لم تجد مكاناً واحداً شاغراً في عقله الذي بدأت سارة فعلاً باللعب فيه، لم تكن تحكي وخلاص، كانت نظراتها تخترق كل ثغرات عبد الجبار المكشوفة، لذا عاد المظروف إلى مكانه، لأن كل شيء مكتوب!!.

fb/mashro3pdf

"عربيتهم المرسيدس، كانت خناقة الشارع كل يوم، لا على ركنها بل على تنظيفها، فالمدعوق ربيع كان سخياً، وعندما يكون مزاجه رائقاً، يهب بالدولار أو ذلك السيجار المنفوخ. مع الوقت انضم لطابور الخدمات، موظفون وأفنديات وصنايعية وصيع، إلا أبي كان عفيفاً، فهو ابن عز، لولا حوض السمك، خدمات من أي نوع، بدءاً من حمل الخضار وشرائه، إلى توصيل البيه الصغير، بعينيا دول شفت راجل فوق السبعين، لم يجد ما يخدم به، فانتظره حتى نزل من المرسيدس، وبدأ في إزالة الحصى من الطريق أمامه، كي لا يتكعبل بسلامته، وهو ما قوبل باستحسان من زوجته المدهبة وقالت لربيع بألاطة: اديله حاجة، الشارع كله مسخر الرجل، لكن شارعنا وسخ من داخله، كان على استعداد أن يفعل أشياء أوسخ، كانوا ينتقمون فقط لأنه حظي بمائة جنيه من هواء الفهلوة".

أشعلت سيجارة من سيجارة، وأكملت، بينما عبد الجبار يعتبر كل دقيقة تمر، رباطاً يوثق بينهما: "أم دوسة، تلك التي تعرف كل أسرار الشارع، ولا ترضى بذلك بديلاً، نجحت في اختراق السور المحرم، والجلوس في شقة الزوجة المدهبة، قدرتها على حكي فضائح الشارع، هي التي أغرت الزوجة المدهبة باستدعائها يومياً، وإدمان حكايات ألف ليلة وليلة النسخة السكس، وهو الفخ الذي تقع فيه كل نسوان الشارع، وجعل الزوجة المدهبة مجرد سر جديد، تقايض به أم دوسة البيوت لتحصل على أسرار جديدة، فعن أم دوسة أنها قالت: الست أم رامي دى مخاوية جن، ومعلقين أستغفر الله العظيم مساخيط في كل حتة، لما سألتها إيه دول يا ام رامي تقول: دولا جدود رامي، تدوالنا الحكاية على سبيل النم، أما حقيقة

fb/mashro3pdf

الأمر، فلم تعنِ أحداً في الشارع الوسخ، وفي يوم عادي من باقي الأيام، طلع سبع تيران هايجة، لشقة ربيع، مضروب ومبهدل، نزل، والسبع تيران نازلين فيه شلاليت وبونيات، ثم اختفوا دون أن نعرف له طريق جرة، ربما صمت الشارع دقيقة، دقيقة رفع فيها عينه، شاف الراجل بيتسحل، ثم نزلها تاني، لنواصل الحياة، كأننا لم نر من قبل، صفحة وطويت، طبيخ واندلق. فيما بعد عرفنا من الجرائد، أن المساخيط، كانت آثاراً مهربة، وأن المكان الفقير، كان وسيلته لاستغفال البوليس، تعرف اللي فضحه، مش أم دوسة، منظرتُه على الخلق، أنا جئت إلى هنا لأتابع المسلسل لآخره، واشوف آخرة الحرام".

عبد الجبار، تاه في نص المسلسل، لكنه مصمص شفتيه بحسرة، وقال "فعلاً".

ببصة دلال قالت له: أكيد شكلك يجنن وانت بترافع.. بعرف من الطلة، ثم طلبت سيجارة أخرى.

كف الدنيا اعتصر عبد الجبار، واجه حقيقته، مجرد ظل للاعب بوكر كبير، كومبارس.

الجنون، لحظة فارقة، تجيء كبرق، وهو ما ألهب حماس عبد الجبار عندما جاء دور القضية التي ستفها عمه من قبل، ملقياً نصف بصة على سارة، التي رقعت ضحكة، ثم تفلت قشرة لب.

بدأ عمه بآية قرآنية، دليل الورع، لنسف قضية بدت للاعب بوكر مثله "بيس أوف كيك"، لكن الجنون وحده، هو الذي كشف أن السنيورة

fb/mashro3pdf

مخبأة في كمه، كحاو رخيص في مولد، لا قاعة، صممت لنصب العدل.

عبد الجبار، الذي قرأ القضية جيداً، ورتب نسفها الجليل مع عمه، انشقت القاعة عن صوته المسرحي، "القضية بها توصيف خطأ.. المتهم اتمسك بتمنتاشر طربة حشيش.. ومع ذلك القضية اتحسبت تعاطي".

لثوان، القاعة ضجت بالصمت مبهوتة من هذا الذي تكلم دون أن يؤذن له معرقلاً "نصب" العدالة، مما عزز إحساس عبد الجبار، بإنه يمارس دوراً لسوفكليس، أمام جمهور إغريقي بضين، يفضل الميلودراما الفاقعة.

لمح سارة التي عاملته بوجهها معاملة المسلسل لما يسخن، قلص كل عضلات وجهه.. ورفع قبضة يده في الهواء، ثم تمثل أوديب وهو يفقأ عينيه: النيابة قبضت كاااااااام؟!

عندما انتهى أثر البرق الفاضح، وشاهد كل هذا الغضب، في عيني عمه (فيما بعد سيضربه أهل المتهم)، جرى.. فقط جرى.. قذف الروب، مقرراً أن المحاماة لن تكون مهنته، هارباً من كل الآثار الممكنة لفعلته المجنونة تلك.

جريٌ هستيريّ، لم يتوقف إلا بعد ثلاث ساعات، دون أن يحدد لنفسه وجهة، كان يريد أن يتملص من جلده ويطلع من روحه، ثلاث ساعات هرباً من الحياة دون جدوى، الحياة ملاصقة ولا فكاك منها إلا بالانتحار فقد سمعته بعد أن تدخل الدين، وابتذلته الأسباب العاطفية للمراهقات.

كان يعتقد مثلما اعتقد قبل أن يقابل الأذن الكبيرة الميتة، أنه تحكم في

fb/mashro3pdf

الحياة، وها هي كعادتها معه تفلت وتخرج لسانها، ارتكن على جدار وفكر في سارة، وجهها المنمش، بكى وسأل: هل تستحق؟ وصل للإجابة مبكراً: لا، ولعن سلفسين سمكة، بل وهرش حكاية سارة، لكن روحه لم تعد ملكه، كانت ملك نظراتها التي منحته وعداً بالفناء لأجله، بالهرب من تلك الحياة في جسدها المرطرط، قرر أنه يستحقها وأنه دفع الثمن: مستقبله.

عندما بدأ في تلمس ما حوله، شاهده، صبي في الرابعة عشر بإذن كبيرة وميتة، خرج من الجدار، يحمله ثلاث وعول على محفة، وعلى رأسه تاج من قش.

الآن فقط يذكر، وامرأته تغير الجرح على الأذن المقطوشة، الاحتمال الذي نفاه من ذاكرته، عاد إليه مضبباً، منقوصاً، يتذكر فقط أن الحوار كان طويلاً، استغرق ربما أكثر من ساعة عن أهمية أن يذهب معه، لعالم لا يدوسه، ويقدر لحظة جنونه المنيرة، وحياة لا تنتهي باغتصابه، وانتهى بالرفض من جانبه، واختيار أن يعرف مكان سارة، بعد أن خيره الصبي، ليأخذ حقه من تلك الحياة الملعونة، وهو ما وهبه له الصبي، شاخرا!!.

لم يفك ذلك التذكر لغز ما حدث، لا له ولا لكم، فأنا أعلم أني أستهبل، ولم أحك إلى الآن كيف قطعت أذنه، تكة الصبر.

كل ما حله ذلك الفلاش باك الضبابي للحظة الجدار، أنه عرف كيف اتجه إلى سارة، رغم أنه لم يأخذ رقم تليفون، أو عنواناً دقيقاً لمحل سكنها.

fb/mashro3pdf

مقرراً أن يبدأ حياة جديدة، محورها سارة، اتجه في الصباح، إلى كلية التربية بجامعة عين شمس مجهزاً قصيدة تذللية تافهة، وورد، عندما رأته، سخسخت على روحها من الضحك، لم يحرجه ذلك، على العكس، يعرف هدفه كقاتل مأجور: تلك الروح لي، الخلاص في ذلك الجسد، لذا لن يتأخر عن هدفه لمجرد تفاصيل.

أخذته من يده إلى الكافيتريا "أعرفك على الشلة"، نسي أسماءهم وصفاتهم فور أن انتهت من التعريف، لكن عندما بدأ شخص في إلقاء الشعر، وجد مفتاح الدخول، قائلاً بعد أن وجد اهتمام سارة المفتعل حاضراً: أنا أيضاً أكتب الشعر.

ثم قرأ قصيدته، وسط هيستريا من الغمز، والضحكات المكبوتة، التي رآها عبد الجبار و لم توقفه، بل ظنها الاهتمام ذاته، قدرته على إثارة دهشتهم كبهلوان مرح.

طلب منها، أن ينتحيا جانباً، سحبته على طاولة، فقال متلعثماً: بعت حياتي لأجلك، رميت بها كلها في صفيحة قمامة كي.. كي.. ثم كأنه اكتشف الحقيقة لتوه: كي تضحكي.

زغرت سارة، ببصة تقول: نعم يا روح أمك.. لكنها تركته يكمل: أعرف أن القدر يخبيء لكلينا فرحة ما.

غيرت من مود نظرتها، إلى الإغواء القاتل، ثم عادت به إلى طاولة الشلة، دون أن تبل ريقه الناشف دوماً.

لاحظ أنها توزع الإغواء بالعدل، على أبناء الطاولة. بينهم بنات، من

fb/mashro3pdf

السهل أن تدرك، أن اختيارهن تم بعناية، لتظل هي شمس الطاولة، لا توجد واحدة أجمل أو أذكى منها، فيما بعد سيرى كيف تطرد سارة أي فتاة تحاول "اختطاف" ولو قدر ضئيل من الاهتمام، تفعل ذلك بدأب وتخطيط، عرف أيضاً أن الشاعر، يأخذ نصيباً أكبر من التدليل، لأنه يكتب قصائد فيها، وإن كان تدليلا يخضع للخطة العامة، إن منحت، تصد الباب في اليوم التالي، وتتركه ككلب أجرب، في مقام الحيرة، يرضى بنصف ابتسامة في الصباح.

مرت الأيام على عبد الجبار، وهو يذهب إلى الكافيتريا، آخذاً حظه من دورة الهجر والوصل، التي تلعبها سارة مع الكواكب السيارة.

لم يكن يعلم ما هي الحياة التي ستتلو حياته كمحام، لم يفكر حتى في إيجاد عمل بديل، ربما خطر على باله أن يصبح شاعراً أو نمرة في سيرك، سارة.. سارة وكفى، فك وديعتين، بألفي جنيه، تركهما له والده، تحسباً لغدر الزمن.

لكن الزمن كان أكثر حيطة من والد عبد الجبار، لذا ضاعت الألفا جنيه، على بدلتين، وطقمين وجزمتين، وعلب السجائر، وفسح، ومصاريف الشلة وأكوام من فناجين القهوة.

ذات يوم، رأى سارة تمسك يد الشاعر من تحت الطاولة، بينما يلاعب ساقها بطرف جذمته، شخر عبد الجبار، وصفعها، طردوه.

عبد الجبار لم ييأس، فطيلة حياته وهو مؤرق بداء "الإصرار" و"الإرادة الصلبة".

fb/mashro3pdf

بعد شهر من الغياب، عاد متأنقاً، جلس على طاولة لوحده، فرد العلبة المارلبورو أمامه، وعندما اعتذر له عامل الكافيتريا عن تعذر إيجاد فكة خمسين جنيهاً، من أجل عشرة جنيهات، قال له بسفه حاول أن يكون معلناً قدر الإمكان: خل الباقي عشانك.

استمر في اللعبة ثلاث أيام.

ثم بدأت السنارة في الغمز، ثلاث بنات وولدان، تعرفوا عليه، من كليات مختلفة، وتبعهم آخرون، لعبة جديدة، إغراؤها أنك تعرف أولها ولا تعرف آخرها.

كان فقط يرغب في جذب سارة إليه من جديد، لم يكن يملك شيئاً، ليثبت لها تألقاً ما، فقط تلك الحيلة، أن يظهر وكأنه سفيه، بخاطره تلك المرة، طمعاً في أن تغار، وأن تشعر بأن له قيمة، لم يفكر حتى في أنه يرغب في الانتصار في نفس المكان الذي شهد إذلاله.

عندما طردته في المرة الأولى وتجرأ عليه الشاعر الهلفوت، أقسم ألا يعود إليها، وأن يبدأ في الحياة من جديد، لكن كأن عفريتاً لبسه، وهو التعبير الذي اعتنقه تحديداً، فقد جرب حضرة زار لإخراجها منه، وشرب جالونات من المياه المقدسة، لكن الفشل والهواجس التي تقدم نفسها على أنها ومضة أمل، أعادته مرة أخرى ليشرب من نفس البكابورت الطافح.

فكرة الإغراء بالمال، التي أخذها من مسلسل ربيع وزوجته المدهبة، جذبته، فلوسه نفدت، لكنه اكتشف مفتاح السندرة السحرية، التي تمتلىء بكنوز علي بابا "نجف.. غسالة.. مروحة.. تليفزيون.. أحمدك يارب".

fb/mashro3pdf

وعلي بابا هو خطيب أخته، الذي سافر بعد أن خطبها إلى السعودية، مرسلاً إليها الحوالة بعد الحوالة، لتترجم غربته، إلى جهازها الذي يجب أن يملأ الشقة الواسعة، حتى يخنقها تماماً، كانت أخته تضع كل ما تشتريه في غرفة وتغلق عليه بمفتاح معلق في الصدر، وهي عوائق كان بإمكانها أن تعيد عبد الجبار إلى رشده، راقبها ثلاث أيام مستدفئاً بقوة الهوس، لم يكن قد فعل من قبل، منتبهاً إلى نقطة الضعف، تقلعه فقط عندما تستحم، في ثوان كان قد حمل نسخة جديدة، ليبدأ سلسلة من السرقات، كان يبيعها بأثمان بخسة.

الحيلة، نجحت في إثارة غيظ سارة سمكة، لكنها تمسكت بتجاهله، كانت الفلوس والسجائر والمشاريب، قد جعلت شلة عبد الجبار الجديدة، طوع بنانه، يعذبهم كل يوم بقصائد سخيفة، وهم يردون له الصاع بالمديح، بل وأقنعوه بقدرته على الغناء.

عندما استسلمت سارة، كان الأوان قد فات، كان قد نسيها، واقعاً في غرام هوس جديد، الهوس بذاته، الذي دفعه المنتفعون من عطاياه، إلى القمة، تمهيداً لإلقائه من شاهق.

صاحب بدل البنت ثلاثاً، يمشي أي مشوار وفي صحبته بودي جاردات، سموه برنس الجامعة، رغم أنه قد تخرج منها منذ عام على الأقل.

الشاعر نفسه، والذي تذكر اسمه بصعوبة، رامي قاسم، تقرب منه، عارضاً عليه مشروعاً رائجاً، يؤجر شقة، ويشتري فيديو وتليفزيون، وعلى

fb/mashro3pdf

رامي احضار أفلام سكس، ويؤجر مشاهدته، بخمسة جنيهات للفرد، الفكرة راجت، وأعلن رامي عن قدرة تسويقية هائلة، دفنها الخليل ابن أحمد، كما أنقذ عبد الجبار من فضيحة إعلان إفلاسه بعد اكتشاف أخته لسرقاته.

طردته أمه، فاضطر للمبيت في شقة الأفلام السكس، التي لم ينقطع عنها الزوار آناء الليل وأطراف النهار.

ثلاثة أشهر من الجحيم، وهو يصحو وينام على صراخ النيك المفتعل.

كان وحيداً جداً وصدئاً، عندما اكتشف أن الشاعر رامي، سرق خمسمئة جنيه، هي آخر ما يملك، أراحه أنه سرق الفيديو والشرائط، لم يترك شيئاً سوى رسالة كتب له فيها "كس أمك".

ذهب ليبحث عنه في كافيتريا التربية، كان جالساً وهو يخبر الجميع عن السر، عبد الجبار، عاطل سرق أخته، واستمر في العنطزة بالسكس، استغل تلك الليلة التي باح له فيها بما جره إليه حب سارة.

حرسه السابق التف نحو الشاعر الرامي، لذا خرج بهدوء، ربما في تلك اللحظة لعبت في دماغه، نظرية الاحتمالات للمرة الأولى، دون أن تختمر أو حتى يعرف أنها نظرية الاحتمالات، كان فقط يريد ما يعينه على الإمساك بلجام الحياة، كان الطرف الخاسر، لذا انسحب.

تسلل إلى بيت أمه، تذهب الأحد إلى شقيقتها، وأخته في الشغل، لم يجد ما يسرقه بعد تغير كلمة سر علي بابا بتغيير طبلة المغارة، سوى بوتاجاز والدته القديم، ما تبقى من "ريحة ناصر"، بوتاجاز صغير من إنتاج المصنع

fb/mashro3pdf

الحربي، بياضه مأكول، بثلاث عيون، وعين ضيقة، كانت تسميها عين الدنيا، فلم تكن تصلح سوى لتحضير القهوة فقط. الأم، لم تكن ترى الدنيا أو تتذكر أنها موجودة فيها إلا بعد أن تشرب قهوتها من عين الدنيا.

كان قد اتفق مع جاره في بيت الشقة السكس، على أن يبيعه ذلك البوتاجاز، في ميكروباص، جاءا سوياً، حملاه، ثم عادا به إلى الشقة، أغلق الباب بشكل أفزع عبد الجبار، وأشهر مطواة، جره إلى سرير، قيده بحبال، ثم عرّاه من بنطلونه، لتتحقق نبوءة الأذن الكبيرة الميتة، باغتصاب الحياة له.

"إلا الأم يا بن الكلب".. هكذا ردد الجار البدين وهو يلسعه بكل الكرابيج المتاحة بلسانه ويده وقضيبه.

لم يفهم أبداً لَمَ رضي الجار بسرقة البوتاجاز، الرخيص أصلاً، إذا كان "كله إلا الأم يا بَن الكلب".

تألم، نزف، لكن في تلك اللحظة، تحديداً، ستختمر نظرية الاحتمالات، سينفي ما حدث من ذاكرته، من الصفر الذي يلغي ما قبله سيبدأ بقوة ما بعده، سيشتري لأمه عين دنيا جديد، ويعوض أخته عن ما سرقه من جهازها.

بدأ في الاستمتاع، وهو الاحتمال الوحيد المتاح الآن لاعتصار الحياة، سينتهي كل هذا حتماً، سينتهي، بعدها سيلقيه من ذاكرته، ثم يبدأ من جديد.

شعر فعلاً أنه تخلص من هوس سارة، أو هوسه بذاته، تماهى مع خطاب

fb/mashro3pdf

الجار، بأن ما يحدث تطهير وليس عقاباً، أقسم أنْ "لن أدخل المتاهة من جديد".

بعد أن يخرج، سيعمل في شركة مستلزمات طبية "القطن والشاش والحقن"، سيدخل صيدلية الرجل العجوز ليرى ريهام بالصدفة، التي تغير الآن كزوجة مخلصة على جرح أذنه المقطوشة، وسيشتري لريهام شقة أمام الأجزاغانة، لأنها لا تستطيع أن تترك العمل، فيما بعد ستزهق وتفضل أن تكون ربة بيت فقط، فيما سيواصل هو نظرية الاحتمالات بنظام صارم، ويتحكم في أهم بنودها (بلوغ الذروة) عندما يصل إلى عامه الأربعين، حتى تأتي الأذن الكبيرة الميتة، وهواجس الصرير لتهدم له كل شيء.

زوجته انتهت من التغيير على الجرح، خلعت أذنها اليمنى، ورمتها في حجره.

فقط ببساطة، أمسك أذناً بلاستيكية، كانت منذ دقائق كرشة ملح فوق جسد أضناه الحمل وفعص الثديين، انخرط في البكاء، مستسلماً لدخول المتاهة من جديد.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

راهبة الأكورديون

لم تكن لريهام، رغبة.

تقول إذا سألتها: ولدت هكذا، لم أفقدها في الطريق: دون رغبة. لا في الحياة ولا في الجنس ولا في الحب أو أي شيء، لذا تفوقت في "أجزاغانة" رب السعادة. فهي لم تكن تحتاج أكثر من خطة واضحة مسبقة لتمر الأيام دون بوصلة الرغبة المفقودة، كان الروتين، الوقوف في الطوابير الطويلة، المسلسلات، أشياء تنقذها من خواء البئر، الذي نسميه الجسد أو الروح.

قبلت بعبد الجبار تحت ضغط الخطة العامة للحياة: الميلاد/الدراسة/التخرج/العمل/الزواج/الحمل/ التفكير في الحج/الموت برضىً. ما بعد ذلك لن تفكر فيه فهو معلن سابقاً، النار أو الجنة.

أكثر ما أخافها في الزواج، هو أن يفقدها خطة الصيدلي العجوز لحياتها، فالشقاء ينسيها التفكير في أنها حقاً لا ترغب في شيء، حتى

fb/mashro3pdf

ينتهي هذا العرض، لكن حياة الزواج أو حياة عبد الجبار، وضعت خطة بديلة، تستنفدها تماماً، فتركت العمل. فمنذ أقسم عبد الجبار، بعد حادثة "كله إلا الأم يا بن الكلب" ألا يدخل المتاهة، وحياته لا ينقصها النظام، يصحو ويأكل، يعمل ثم يأكل، يأكل ثم ينام معها أو بجوارها، باستثناء اللحظات التي يسرقها لكتابة خواطره في مئات البلوك نوتات الصغيرة، التي فكرت مرة في أن تتخلص منها، لكنه تشاجر معها، لم تكن مشاجرة عادية، ضربها بغل وانتقام، كأنها حاولت إزهاق روحه.

قرأتها مرة خلسة بدافع الفضول، فلم تفهم شيئاً، وجدت شخبطة ومعادلات حسابية وخواطر مبعثرة. عندما سألته في لحظة روقان: ما الذي تكتبه في تلك الأوراق؟ قال وهو غارق في مص قشرة المانجو: أحاول الوصول للمبدأ الأقصى للحياة، حتى لا نقع في المتاهة. كان الرد كافياً كي لا تكرر السؤال، أو تحاول الفهم، اكتفت بمواصلة مص قشرة المانجو.

لكن الأيام كحال المسلسلات لا ترضى بالبقاء على حال "لا بد من سسبينس".

لم تسعَ إليه، ولم ترغب فيه، كانت في مرحلة التفكير في الحج، عندما راودتها تلك الأحلام.

لم تراودْها وهي نائمة، بل بدأت كمشاهد متقطعة في يقظتها، عندما أثلجت في المطبخ وهي تعد قهوة لعبد الجبار، ندف ملونة وخفيفة، ثم اختفت مع فوران القهوة.

ابتسمت في ارتياح لهلوسة الصباح.

fb/mashro3pdf

حكت لعبد الجبار، الذي أخبرها بحنان أن: الثلج لونه أبيض، هو أبيض عشان يتلون!!.

المرة الثانية، كانت أغنية "يا تجيبلي شيكولاتة يا بلاش يا ولا" لسعاد حسني تصدح في الراديو، وصوت المكنسة الكهربائية أعلى من الأغنية، ويعذب الراديو بالخروشة.

وجدت سلك المكنسة ينخلع ويرقص في الهواء، على أنغام الأغنية، أمسكته ريهام بعنف وأجبرته على الدخول في الكوبس، لكنه لم يستجب بسهولة، انخلع مرة أخرى وتشعلق حول جسدها كلبلاب، بينما صوت سعاد حسني يكمل: "عندي فستان بكلفة وجزمة حمرا تحفة"، ربما أجبرها السلك على الرقص، لا تذكر، انتهت الأغنية وعاد السلك إلى أدبه.

جلست على الكنبة، مرهقة، مخنوقة أشعلت سيجارة، تختلسها من علبة عبد الجبار، وفكرت أنها من داخلها حقاً لم تحب الشيكولاتة، لكنها كفضيلة ذائعة، كانت تعلن، أنها تعشقها، بل وتتشاجر عليها في طفولة فرضت عليها كآخر موضات الأنوثة المودرن، دليل رقة لا يورط البنت "المؤدبة" في ممارسة أنوثتها بتلقائية، بما يحسبه الآخرون إغواء وشرمطة.

رددت "عندي فستان بكلفة وجزمة حمرا تحفة". مرة مرتين وانتهى الموضوع عند هذا الحد.

شهران تليا الحكاية، ثم استلمت طرداً جاء من إيطاليا، فتحته فوجدت "جزمة حمرا"، لم تعرف من، ليس لها أقارب هناك، لم ترتدِها، خبأتها من عبد الجبار، وعندما رآها، قالت: اشترتها.. سعرها كان لقطة.

fb/mashro3pdf

كان الحذاء غالي الثمن، لكن عبد الجبار لا يفهم في أحذية النساء، و لم يفكر في التدقيق.

ذات يوم وجدت نفسها مدفوعة لارتداء الحذاء: لم تكن رغبة، كانت تنفذ أمراً.

ما إن ارتدته، حتى عادت ندف الثلج الملونة إلى التساقط في الشقة، ممتعضة مما يحدث، حاولت خلع الحذاء، لكنه رفض، أصبح سيد مصيرها، سيسوقها ولن تسوقه.

استمر تساقط الثلج، حتى فنيت الشقة تماماً، الجدران الأربعة انهارت، لتجد نفسها في مدينة من الثلج، مدينة كبيرة، ساقها الحذاء نحو برج كبير في نهايته ساعة يقف عليها قزمان، دقت الساعة الثانية عشرة، فأعاد القزمان العقرب الأصغر نحو الحادية عشرة، فيما بعد سيتكرر الأمر كل ساعة.

هبط القزمان إليها على صندوقين معدنيين في حجم صندوق بيرة، لا تربطهما حبال أو أسلاك، ثم أدارا مؤخرتيهما وهزاها، فيما بعد ستعرف أنها تحية مدينة الثلج.

دق القزمان ناقوساً في البرج، ثم صعدا من جديد، لمراقبة الساعة.

انفتح بابٌ أسفل البرج، خرج منه جرو أذنه اليمنى مقطوعة يمتطي مكنسة كهربائية، تعرفت عليها، لا توجد امرأة تتوه عن مكنستها الكهربائية، ولو كانت بين ألف.

كان الجرو، يتشكل كل دقيقة، كقطعة صلصال تتخذ عدة هيئات،

fb/mashro3pdf

نظارة، خاتم، غزال، حتى عرفت ريهام حقيقته: مجرد ومضة، تشبه تلك التي يصدرها فلاش الكاميرا.

في هيئته كقرد، رفع يد المكنسة، ثم ضغط زراً، لتبدأ موجة من ريح هائلة، عاصفة، لمحت بينهم أشكالاً لحيوانات وأوراق ورؤوس بشرية هائمة وكراكيب، تساقطت على الثلج.

انزعجت ريهام، فالمكنسة وظيفتها أن تشفط، اعتصرت ذاكرتها "هل انتهت ثلاث سنوات الضمان"، عندما تنتهي تلك الخرافة وتعود إلى شقتها ستذهب بها إلى التوكيل، بوظان المكنسة يعني عودة عصور الانحناء، لجمع زبالة عبد الجبار والولدين.

عندما انتهت العاصفة، تشكلت صورة غائمة للكراكيب، فلم تتبين شيئاً، تقدمت منها الومضة المتشكلة كعجينة صلصال.

عرفها بنفسه باقتضاب: سليزي الرسول.. ثم حياها تحية المدينة بهز مؤخرته.

ثم سألها أن تنظر إلى الصورة الغائمة: ماذا ترين؟.

سألت ريهام: هل أنت طبيب عيون؟.

لكنها نظرت، فلم تتبين سوى: ذئب.

أخرج سليزي الرسول ريموت كنترول، ضغطة سحبت كل الكراكيب مرة أخرى إلى المكنسة الكهربائية، عدا الذئب.

فكرت أنها قد تستولي على الريموت كي تستعيد انضباط مكنستها.

نظر سليزي إلى الحذاء الأحمر، ثم قلب في كتاب ضخم، مليء بالصور

fb/mashro3pdf

ثم قال: تمام.. كل شيء منطقي حتى الآن.. حكاية ذات الحذاء الأحمر والذئب.

ثم ضغط الريموت، مرة قائلاً: شوووووووو تايم، لكن لم يحدث شيء، عاود الضغط عدة مرات بعصبية، قبل أن يقترب منها ليسأل: هل اختفيت؟. هزت رأسها بالنفي، قال ثائراً: دائماً يتعطل في أوقات الاستعراض.. قلت لهم التكنولوجيا دائماً تفسد الحكايات.

طلبت منه الريموت، أخرجت البطاريات، بللتها بريقها، ثم ضغطت عليها بضروسها، ثم أعادت الريموت إليه.. ضغط على الريموت فاختفى مع مدينة الثلج، لم يتبق شيءٌ سواها هي والذئب.

أذن الذئب اليمنى كانت مقطوعة، مفروداً على قدمين كإنسان. "وديع كحمل" فكرت ريهام، عندما رأت عينيه البالغتين في التيه.

ساقها الحذاء إليه، فربتت على كتفه وسألت بتلقائية: ما الذي علينا فعله الآن؟.

قال الذئب: لا أعلم، ربما علينا أن نعيد تمثيل حكاية ذات الحذاء الأحمر، تلك التي تبدأ بإغواء الذئب للحذاء.. أقصد لصاحبته، ثم تنتهي بمقتله ونجاتها هي وجدتها.

سألت: ولم تلك الحكاية تحديداً؟ ثم إنها الذئب والرداء الأحمر لا الحذاء.. فرك الذئب حصاة بحافره، ثم قال: وفقاً لما أسمعه يتردد هنا، على الأرجح.. تلك حكايتك.. وأنت ترتدين فيها حذاء أحمر، لا رداء.

fb/mashro3pdf

برغوث نائم في جسده، صحا فجأة، ولدغه، حاول أن يطرده، فتكعبل في ساقيه.

ضحكت: أنت أبله.

ابتسم الذئب محرجاً: في القطيع، أنا مجرد ذئب خائب، لم أنجح أبداً في المطاردة والافتراس ولا المناورة، لولا ذلك ربما ما كنت هنا.

سألت ريهام: وما هنا؟.

قال الذئب: مكان يمكنك فيه التدخين، دون أن الشكوى من عدم قدرتك على الجرى لمطاردة الطعام.. ثم أخرج علبة سجائر، أشعل واحدة وناول الثانية لريهام.

اقترب من أذنها، ثم همس: كان مكاناً رائعاً، قبل أن تصطاده الماما.

فلاش كاميرا، أضاء.. كان سليزي الرسول على هيئة مروض أسود، قال بعصبية: هل سنقضي الوقت في الحديث الممل؟ ثم موجهاً كلامه للذئب: ثلاثة أيام خصم من راتبك.

ثم موجهاً كلامه لريهام متحولاً إلى فرانك سيناترا: أرجوك.. عليك أن تساعدينا قليلاً. ابدئي الحكاية من فضلك.. لننتقل إلى الساسبينس هه؟.. ثم أخرج الريموت وضغط زر الاختفاء، لكن الذئب وذات الحذاء الأحمر استمرا في الحملقة فيه.

تنحنح سليزي، ثم تقدم منها: هل من الممكن أن تداعبي البطاريات بلعابك السحري مرة أخرى؟ فعلت ريهام فاختفى.

قال الذئب: بوصفي ذئباً فاشلاً، فلن أنجح في إغوائك.. دعينا نحاول.

fb/mashro3pdf

لكن ريهام فاجأته: ربما أنجح أنا!!.

ارتدى الذئب رداء جدة، فيما تشاغلت عنه ذات الحذاء الأحمر، بقضم تفاحة بإغواء، ثم ذهبت إلى كوخها، كأنها لا ترى الذئب.

طرق الذئب الباب، ثلاث مرات: افتحي لجدتك يا ذات الحذاء الأحمر.

فتحت ريهام، عارية تماماً.. فيما ارتبك الذئب.. همس في أذنها: عليك أن تقاومي، أكثر، أن تتشككي في كوني جدتك.. ستغلقين الباب، ثم نعيد الكرة.

ردت ريهام: نام معايا.

عرق الذئب صار مرقة، أخرج من معطفه كتاباً، لمحت ريهام اسمه: دليل حواديت الجنيات في ماندورلا.. تأليف: الماما.

فرد صفحاته ثم توقف عند إحداها قائلاً: انظري، كنت متأكد، لقد سمعت تلك القصة مراراً.. هناك خطأ ما حتماً يا سيدتي.

أمسكت قضيبه، فجرى مذعوراً، طاردته.

امتلكت من جديد زمام سيطرتها على الحذاء، يسوقها شيء جديد نبت في روحها، لو فكرت في اسم له، لاقترحت اسم: حذاء آخر!!، لكنه لم يكن سوى رغبة محمومة، تشعل صدرها، وتشعرها بأن روحها مخرومة كحفرة بدون قرار، وأن ذلك الذئب الفاشل، تحديداً، ولا أحد سواه، قادر على ردم تلك الحفرة.

fb/mashro3pdf

واصلت المطاردة عارية على أربع، فيما استنجد الذئب بالحوريات والسبع المثاني، اختفى عن ناظرها، بدأت في السعال، احتمت تحت شجرة تين، لم تكن سوى ساحرة عجوز، سألتها ريهام عن بيت الذئب.

تنهدت العجوز، ثم ناولتها ثمرة تين، قالت: سأهبك خطوة لو منحتِني جديلة من شعرك، فعلت ريهام مسحورة بحذائها الجديد.

قالت العجوز: هناك عند نافورة تطحن القمح وتطلق الفاصوليا البيضاء بدلاً من الماء، تنام أختي، لو منحتِها تسع شعراتٍ لبناتٍ أبكار، ستدلك على الذئب.

وَشْوشت ذات الحذاء الأحمر حذاءها، اكتشفت إمكانية جديدة، بإمكانه الطيران، مطلقاً عويل قطار يغادر المحطة مرغماً.

وصلت إلى النافورة، لم تجد الأخت (ربما صلعاء – فكرت)، لكنها وجدت سوقاً كبيرة، لبيع السكس تويز، كل الباعة آذانهم اليمنى مقطوعة، عرض عليها أحدهم مضاجعة سريعة، مقابل ما تريد، فعلت على أمل الوصول لحذاء الذئب.. سألته: من أين لي بتسع شعرات لبنات أبكار.. رد ضاحكاً: في مدينتنا لم يعد أحد كذلك.. لكنْ هناك عند القصر المهجور، ربما احتفظ جو بالقليل منه.

لم تسأله مَن جو، لكنها انطلقت، لتجد صدفة حلزوناً ضخمة، مضاءة بشموع قرمزية اللون، ما إن اقتربت، حتى انشقت الأرض عن أشباح مخيفة يقودها قرصان أعور، رأته من قبل مع أولادها، يشبه كابتن هوك في فيلم بيتر بان، خصوصاً مع الخطاف مكان يده.

fb/mashro3pdf

صرخ كابتن هوك الذي ليس كابتن هوك: السور يا أغبياء.

عمال مهرة، أقاموا سوراً حول الصَّدفة في خمس دقائق، حتى أنها لم ترى أيديهم من السرعة التي تحركت بها.

تقدم القرصان نحوها، طرقع بإصبعيه في الهواء، ناوله شبحٌ علبة، فتحها فلكمته لفافة ورق، شدها، لكمته ثانية، لكنه استطاع إخراجها في النهاية، كانت ورقة مطوية بذراعين، وزمبلك، تكفل شبحان بإمساك الذراعين، تحسباً لروح اللفافة العدوانية، القرصان شد الزمبلك، فانفردت اللفافة على الأرض عشرين متراً على الأقل.

قال القرصان: هذه منطقة ممنوعة بأمر الماما.. واختراقها لا يخرق الأوامر فحسب.. بل القداسة والقانون والأخلاق واحترام الكبير ويهز أطباق الجيلي في الثلاجات ويشعل البراكين ويهيج الزلازل.. وهو ما يستوجب وفقاً للقانون، أن... أن... ثانية واحدة يا سيدتي... ارتدى عدسة القراءة، قرفص على الأرض ليقرأ الفقرة الخاصة بالاقتراب من صدفة الحلزون الضخمة، خمس دقائق مرت قبل أن يصرخ: أين تلك الفقرة اللعينة؟ قبل أن يسمع اللفافة تجيب: فوق خطافك يا غبى.

قرأ القرصان: وهو ما يستوجب وفقاً للقانون.. الإعدام.

جروها ناحية النافورة، سُرّة المدينة، فيما احتشد أهل المدينة، للفرجة على تنفيذ الحكم، قذفوها بكل شيء ممكن، قبل أن يعرفوا حتى ما الذنب.

عرفت من بين ثرثرة كبيرة لخطبة تلاها شبح، وبدأها باسم الماما، أنها

fb/mashro3pdf

لم تخرق فقط قانون المدينة، بل هددت بفنائه، ليس فقط لاقترابها من قصر جو المهجور، لكن أيضاً لأنها ضاجعت بائعاً دون أن تدفع ضريبة نيك، كما أنها حرفت قصة ذات الحذاء الأحمر، لتخلع عن النساء المسكينات صفة المسكنة، وعن الرجال المذؤوبين، صفة الشر والشره، وهو ما قد يخلخل الأحجار التي بُني عليها الكون.

قبل إعدامها بلحظات، سُمع دويٌّ طبلٍ قادم من بعيد، ليهرول المحتشدون والأشباح والقرصان مذعورين، سمعت ريهام أن صانع الزلازل جاء.

كان دباً عملاقاً قاسته ريهام هكذا "أطول من عمارتنا مرتين" يحمل طبلتين، ويعزف النغمة المميزة لانتهاء طابور الصباح، والصعود إلى الفصول، النغمة التي كانت تقلب معدتها من ديناصورات تنتظرها بالأعلى لالتهامها.

ثم دار الدب حول نفسه كنحلة، ليعزف على الطبلتين، نغمة لم تتبين أصلها، لكن بدا أنها تعلن أن المشهد بلغ ذروة توتره، وأن لحظة الزلزال قد حانت، وجدتها ريهام، رغم ألم القيود حول معصمها ممتعة، كانت ترغب في الرقص، عندما أحست بيد الذئب، يفك قيودها، ويجري بها نحو كهف، بينما الدب يرفع إصبعه الوسطى، ويشخر هاتفاً "جو سيعود يا ماما.. ويحطمك أنت ولعناتك".

عندما أغلق باب الكهف، قالت ريهام: هذا بيتك؟

قال الذئب: لو علموا أنك هنا، سأعدم.. علينا إذن أن نستغل كل دقيقة قبل إعدامك.

fb/mashro3pdf

مصت قضيبه، فتحول إلى أمير وسيم، استسلم لها تماماً، وعندما انتهت دورة الذروة والقذف، عاد ذئباً من جديد.

ذائباً بين أحضانها قال: منذ جئت إلى هنا وأنت لم تنطقي بالسؤالين الأشهر للوافدين هنا.. ما الذى يحدث؟ و لم؟.

قالت بعفوية، وهي تفرك قضيبه وتتركه لتستمع بتحولاته من ذئب إلى أمير ثم إلى ذئب: لم أسأل يوماً، الأحداث كانت تقع، و لم أكن طرفاً يوماً، مرة واحدة تدخلت، دهست تماماً، ومن يومها لا أسأل.

كنت صغيرة، كما أنا الآن، صغيرة وعبيطة، وتعتقد أن الله نصبها ملكة لسبب لم يفصح عنه، وأن بيدها قانون الحكاية.

أبي عامل في مصنع، لم يبخل عليَّ بشيء، لا لعبة ولا ابتسامة ولا طبطبة، لم يفوت طيلة عمره طبطبة واحدة، كلها كانت في وقتها.

قرر ذات يوم، أن يصطحبني إلى مدينة ملاه، قال لي إنها افتتحت حديثاً، كانت في أرض بعيدة، لم أر أحداً على طوًل الطريق.

سيراً على الأقدام، وصلنا إلى هناك، لم أر سوى ألعاب مهجورة، وحارس سكير، الحارس أدخلنا منحنياً لأبي كملك لا كعاملٍ، كنت أعلم أنه يتخفى كعامل، فقط كي لا تخطفه الجنيات الشريرات من أمي.

هل عشقته جنية؟ يقولون هذا، كان وسيماً، كالفجر.

سألته: هل سألعب وحدي؟ قال كل هؤلاء في انتظارك.. لم أر سوى أشباح، تضحك بخبث، أنا لا أخاف.. صدقني.. لا أخاف.. كان عليَّ فقط أن اصطنع ذلك الهلع، كي أجد شخصاً يتزوجني، أن أشعره بعبوديتي

fb/mashro3pdf

لبدنه وظله، أحد شروط الأنوثة أن تخاف، لكنْ صدقني تلك واحدة من مكاسبي أيضاً.

خمس دقائق، كل الألعاب لم تنادِني، أنا اخترت المتاهة، بهرتني اللافتة: أحدث الألعاب.

لم يكن يشبه بيت الرعب، دخلته من قبل.

أبي، اختفى، ربما علمت الجنية، أنه هنا وأن تلك فرصتها، ربما فضحته انحناءة الحارس السكير.

لكني كنت غائبة، لم أحب اكتشاف الخروج، بل أحببت أن أحيا بها، هكذا تستنزف ذلك العرض، الحياة، هناك عرفت أن الأشباح لم يخلقوا لإخافتنا، بل لتسلية أمثالي بعروض مسرحية، قابلت فرقة جوالة، كانوا في غاية اللطف.

قدموا لي فتى يعزف الأكورديون فقط لإرضائي، لم أقع في غرامه، فقط وقعت في غرام ذلك الأكورديون، كان بصحبة فتية يقودون الدراجات النارية، ويجوبون البلاد، طائرين.

الأسمر الفطن، أدرك منذ اللحظة الأولى أن تعلقي كان بأكورديونه لا به، اعتبر الأمر مفتاحاً لاقتناص قلبي.

يمكنني الآن أن أذكر أدق تفاصيله، ذلك الصامت، الذي يحتاج إلى أن ننفخ فيه من أرواحنا ليعيش، كان ذلك سر غواية الأكورديون، أرواح تضل وجهتها ببساطة وتُترك للشحم ولقرارات تؤخذ بالنيابة عنها.

هل أصفه لك؟ كان أكورديوناً مبتذلاً يصلح لشحاد متجول، لا لسمرة

fb/mashro3pdf

تحرر الروح، من خشب فقير مشقوق، مطلي بحمرة كاذبة، أصابعه كأنها مرسومة بطباشيرة ملونة، وبيد مهزوزة لعجوز، كان ذلك جذاباً، أصابع تغوي بسهولة الامتلاك.

مرة وراء مرة، وأنا أستنطق عازفه، من أين حصل عليه؟ لم أختار فقره؟ هل لنفس السبب الذي يغويني؟ مرة وراء مرة، وقلبى لا يتزحزح ليرى العازف، كان كعذول يحول بيني وبين حبيبى، لم يدُرْ أي حديث بيني وبينه إلا عن الأكورديون، حتى تركته ليقبلني، لينقل بريقه اللدن، سر قدرته على العزف، أصبحت ماهرة، عندما رحل مع رفاقه بدراجاتهم النارية لاكتشاف كوكب المريخ، صرت أنا النمرة الأساسية في فرقة الأشباح، كانت المتاهة هي البيت، والبيت هو المتاهة، حتى عرفت الساحرة بأمري، كانت خالتي، جاءت إلى مدينة الملاهي، لتقتص من كراهيتها لأبي، سجنت الأشباح في صندوق زجاجية، كسرت الأكورديون بدعوى "أنى لا أجيد سوى النشاز، وأن أذني لن تكون موسيقية أبداً"، ثم.. ثم استمر كل شيء في الاستقامة.

بنات خالتي، آمنوا بذلك الوهم: أن أمي ماتت، وأن أبي تركني عند خالتي في فيلتها، ليستعد لموت مريح، بينما تركت للعقاب في منزل خالتي، وللحرق بسجائرها إذا ما طالبتها بفك سراح الأشباح، لكني لازلت أؤمن برواية الأشباح، وأن أبي سيعود بعد أن يقتل الجنية التي اختطفته، هل تصدق أنت؟.

ضحك الذئب، تأوه، من ضغطة مفاجئة على خصيتيه، ثم عاد للضحك: أي شيء أفضل من قصة خالتك التي تعذبك؟ إنها قصة مكرورة،

fb/mashro3pdf

لذا أصدقك.. هل كل حكاياتكم في ذلك العالم بضينة؟ تسرقون من بئر واحد.. كان عليك أن تكوني سندريلا لا ذات الحذاء الأحمر، ثم ناولها سيجارة، شعرا بقدوم أحد إلى الكهف.

ارتديا ملابسهما بسرعة، وأخرج الذئب بندقية، يحملها للطوارىء، لم يكن القادم سوى لعبة صغيرة في حجم الكف، تدور بزمبرك، نسخة مصغرة من الدب صانع الزلازل العملاق.

حجمه كان يصغر مع كل خطوة، التقطه الذئب في تنهيدة ارتياح: صديقي الشجاع.

أتصدقين ذلك الخراء؟ يقولون إن خطيئتك تصنع الزلزال، في الحقيقة، أنا صنعته، بذلك الدب اللعبة، تركه لنا جو، قبل أن يرحل ليحمينا، طلبته من حافظ الأسرار، لأتمكن من تهريبك.. الماما صنعت منا حمقى.. عليَّ الآن أن أعيده.

حذراً خرج بها من الكهف، متوجهاً نحو حافظ الأسرار، للمرة الأولى، منذ زمن ترى فرقة الدراجات النارية، الطائرة، ميزت الأكورديون على الفور، صفرت.

هبط فتىً أسمر في الرابعة عشر من عمره، نحوهما قائلاً: هاي.. توصيلة للحلوة.. إنه فتاها الأسمر، لِـم لَـم يتذكرها؟.

قال الذئب محاولاً إخفاء الغيرة التي طفحت في وجهه كدمامل: لا.. شكراً.. الدراجات ستكشفنا.

فيما حسمت ريهام الأمر: بالطبع.. أنا مرهقة من الأحذية المتتالية التي أرتديها.. محطة حافظ الأسرار لو سمحت.

fb/mashro3pdf

وجد الذئب نفسه فوق دراجة نارية مع صبي أصهب، فيما ركبت ذات الرداء الأحمر مع الفتى الأسمر.

من فوق، رأت مدينة العجائب تلك، مدينة تشبه قرطاساً مقلوباً، النافورة بدت كحبة فاصوليا، فيما بدا القصر المهجور، كصدفة حلزون يتحرك ببطء مقيت، حتى أنك لا تجزم حقاً أنه يتحرك، كانت الجبال ترقص، من فوق تبدو قممُها كرؤوس حليقة، ويكربجها عماليق (رأتهم كفئران مذعورة)، خمنت أن هذا سبب تحريك الجبال لمؤخراتها.

الفتى الأسمر، ربيع، الذي ظهر واختفى في حياتها كومضة، كسليزي المتقلب، شيء لم تتمكن أبداً من إثباته، هي تظن أنها تستعيد منامها السابق، لا أكثر، توقن أنها تحيا حلماً، ستفيق منه على حياة عبد الجبار المملة، التي تخشى المتاهة، رغم أنها غارقة فيها تماماً.

لاحظت أن المدينة من فوق، مقسمة إلى سبعة وديان، كألوان قوس قزح، قالت للفتى الأسمر: هذا جميل.

رد ربيع: جميل من أعلى، لكن في الأسفل، هي ألوان سبع عشائر في حرب دائمة، كلهم يدينون بالولاء للماما، فيما عدا البعض، الماما تريد استمرار الحرب، فشغلتْهم بقتل بعضهم البعض للحصول على جوهرة الحياة المسماة "لا شيء"، لكن لا أحد يموت في حكاية خيالية، الأرواح القاتلة والمقتولة، تصعد لتضيف عمراً جديداً للماما... لكنْ يوماً ما جو سيعود، سيقتل أعمارها التي لا تنفذ.

لم تكن ريهام، ترى أي شيء سوى الأكورديون المعلق في الدراجة، حلمها الأزلي، الذي حطمته الأذن التي لم تستهوها الموسيقى.

fb/mashro3pdf

كان يغازلها، الأكورديون، لم تجزم، لكنها ربما لمحت روحاً تختنق بالداخل، حذاء أجمل من حذائها الأحمر والذئب وربيع.

هبطوا نحو مكتبة هائلة، همس الذئب في أذن ذات الحذاء الأحمر: ثمة أمر يقلقني.. عندما كنت على الدراجة، خلف الأصهب، لقد.. لقد.. إنه أمر محرج.. لقد انتصب قضيبي.. يبدو أن ثمة خطأ.. أو أن عليَّ أنْ..

قالت ريهام: اتبع حذاءك.. ابتسم لها الذئب بامتنان مخلوط بالخجل.. ثم توجه نحو باب المكتبة، طرقه ثلاث مرات، خرج رجل أربعيني، يرتدي نظارة بعدسات سميكة، بدا خائفاً مرتبكاً، أدخلهم الرجل بدراجاتهم النارية إلى داخل المكتبة، تأكد أن لا أحد يتبعهم في الجوار، ثم أغلق الباب.

في الداخل، ردهات ملتفة، أشبه بالمتاهة، لا أرفف، فقط كتب وحروف هائمة في الهواء.

أخذ الرجل الدبَّ اللعبة من الذئب، فعرفت أنه حافظ الأسرار، لكنه لم يبدُ لها أكثر من أمين مكتبة عادي، في عالمها، حتى أنه لا يفتقد للكرش، والبلادة، توقعت شيئاً أكثر غموضاً.

نظر أمين المكتبة إليها، تفحصها، نظر إلى حذائها، ثم قال: لست ذات الحذاء الأحمر، لقد اختلط عليهم الأمر كالعادة.. أراهن أنهم أرسلوا الطرد إلى عنوان خاطىء.

قال الذئب: قلت لها إنها سندريلا.

fb/mashro3pdf

اقتربي، قال أمين المكتبة لريهام، فعلت، أجلسها على كرسي، ثم جاء بعدسة، وفحص أذنها اليمنى، أخرج سكيناً، ثم قطعها، لم تتألم. على العكس، شعرت أنها أخف، لم ترَ قطرة دم واحدة.

حرك أمين المكتبة، الأذن المقطوعة في يديه، عدة مرات، قبل أن تقع منها قطعة فلين كبيرة، جاء بدورق، وبدأ في صب ما تحمله الأذن، ماء مليء بالأحرف، أحرف بأطراف مأكولة، بعضها مسوس، بعضها صراخ، ثم كلمات بدأت في التشكل، كلمات مهتزة، مختلطة، غاضبة، حمقاء، مُحبة، خائفة، متسائلة، متشككة، شتامة، معترضة، حاقدة، تخللتها صرخات مرعبة.. انتفضت ريهام التي ليست ذات الرداء الأحمر ولا سندريلا، ارتجفت، لم تشعر بخوف عندما بدأ كل هذا، الآن فقط، تشعر برعب بالغ، فكرت "ربما لأنها تركت طبيخاً على النار".

قالت بصوت مرتعش: عليَّ أن أرحل.

"الصبر"، أجابها: "الآن سنعرف من أنت".

صرخت: بل من أنت؟.. أنت مجرد أمين مكتبة، موظف أبله، أريد أن أرحل الآن.

ابتسامة حكمة ظهرت على وجهه، صب سائلاً أخضر على دورق الكلمات، ثم بدأ في تقليبه: اسمي مولا، حافظ الأسرار، وخادم خالق المدينة، هل تعرفين ما هذا؟

الكلمات الفارغة التي تملأ الدنيا، قالت.

قال مولا: ليس بالضبط، الأذن اليمنى، تحتفظ بالحشو الفارغ لتعيق

fb/mashro3pdf

الأذن اليسرى عن الاستماع إلى ندائنا الحقيقي، لكنها أيضاً، تحتفظ بصمْتك، كل ما كان عليك أن تقوليه، و لم تفعلي، تصبح كلمات محشورة، تمرض وتتحول إلى لغو، كان سيساعدك أن تسبّي العالم، قليل من الشخر، قليل من الأحة، إنها أشياء تجلو الأذن، وتخفف عنها الحمل.

رش قليلاً من تراب الذهب على الدورق، فار الماء، ثم دار كدوامات. الآن الكلمات المحشورة تموت، قال مولا.

في مصفاة، صب مولا الماء، تبقى عدد من الحروف السليمة مبعثرة، طلب مولا من ريهام أن تتقدم، وتشخر بأقصى قوتها في المصفاة، شخرة مدوية، لم تستطع في البداية، لكنه طلب منها أن تتذكر حقدها على العمر الضائع، فعلت، ونجحت في شخرتها الأولى، كانت الشخرة مكتملة بشكل مذهل، حتى أنها لاقت تصفيقاً من الحضور، كان الأمر أشبه بحفل تعميد صغير، خاصة عندما تساقط ملح وورد من السقف.

قال مولا: الآن..

تجمعت الحروف المبعثرة لتشكل كلمتين "راهبة الأكورديون".

ما الذي يعنيه هذا يا إلهى المنتصر على الديناصور؟ سبَّح مولا.

ظهر سليزي الرسول، فجأة، على هيئة شيخ عجوز، عرفته ريهام.

قال: أنا أعرف... في نفس واحد تقريباً، سأل الحاضرون بلهفة عن الذي يعرفه.. أكمل سليزي: لأني لا أعرف.

قذفه مولا بفردة الحذاء، صارخاً: يا ابن البضينة.. عبرت الفردة جسده،

fb/mashro3pdf

مستفيـداً من أنـه ومضة، فخبطت الفـردة في شاشة عملاقـة لكمبيوتر، فأضاءت، ظهر ما أسمته ريهام"شريحة الراديو الترانزستور". نقاط معدنية على صفيحة بنية اللون، ثم بدأ وجه في التشكل، من ذرات تدور عشوائياً، تتخلـل الصورة أعمدة زرقاء وحروف إنجليزيـة وعربية وأخرى لم تتبينها ريهام، ثم أرقام صحيحة وكسور وعلامات تربيع وجذور تتذكرها ريهام من دروس الرياضيات.

نظرت حولها فوجدت الكل منحنياً، حتى سليزي الرسول، الوجه بدأ في التثاءب ثم قال: أحيانا اندم على قتلي للديناصور، من وقتِها لم آخذ غفوة.

قال مولا من وضعية الانحناء: سيدى جوجل، الذي حل في كل شيء وحل كل شيء وأحل كل شيء. اغفر لي إلهي.

استغفرت ريهام من هذا الكفر البين، ووحدت الله. الاسم ليس غريباً، يردده ولداها عندما يفكرون في البحث عن إجابة سؤال.

جوجل، خدعها في البداية، فلم يكن وجهه وجهاً، كان فراغاً هائلاً، يتمثل وجوه الحاضرين ويعيد إنتاجها.

أدخلْ ما ترغب في معرفته.. قال جوجل.

قال مولا: راهبة الأكورديون.

أجاب جوجل في لمح البصر: هل تقصد الأبواب الأكورديون؟

لا، قال مولا.

قال جوجل: نجرب علامتي تنصيص.. موافق؟.

fb/mashro3pdf

أومأ مولا بالموافقة.

قال جوجل: حسناً.. لا توجد نتائج.. هل تجرب إزالة علامتي التنصيص؟.

بغيظ مكتوم قال مولا: نجرب الأسئلة؟.. ماذا تعرف عن راهبة الأكورديون؟

أنت محظوظ، قال جوجل.. توجد إجابة: أنا أعرف.. لأني لا أعرف.. سليزي الرسول.

أغلق مولا جهاز الكمبيوتر بغضب، كاد أن يفتك بسليزي، لولا تدخل ربيع الذي قفز بفرحة من أتى بالتائهة: أنا أعرف.. لأني لا أعرف.. بالضبط.. تلك هي الاجابة.

ثم بدأ في شرح نظريته: تلك قصة جديدة، لم نعرفها في المدينة، فعلاً لم تكن ذات الرداء أو الحذاء الأحمر، ولا سندريلا، ربما كان صحيحاً أن الطرد وصل لها بالخطأ.. لكن الخطأ كان مقصوداً.. راهبة الأكورديون، الهدية كانت من جو.

قال سليزي: هل تقصد أن عودة جو اقتربت؟.

قال مولا فرحاً: صحيح.. بالفعل صحيح.. أنت عبقري يا سليزي.

رد سليزي خجلاً: ربيع هو الذي يرى أن عودة جو اقتربت، لكني لم أقصد شيئاً أبعد من أني أعرف لأني لا أعرف.

شخرت ريهام، شخرتين، واحدة للاعتراض والثانية لفرحتها بالشخرة: ثم قالت أنتم كفرة.. تعبدون الكمبيوتر.

fb/mashro3pdf

موجة من الضحك أصابت الجميع، ضحك هستيرى بلغ حد التدميع والترفيص على الأرض، بعدما أفاقوا قال مولا: لا جوجل إله ولا نحن عبيده.. نحن نلعب.. فقط نلعب.. يمثل أنه إله.. ونحن نمثل أننا نسبّح بحمده.

لكن ريهام أصرّت على الرحيل: لا أفهم شيئاً.. أنتم مجموعة من الحمقى.. أنتم وجو الذي تنتظرون عودته.. وتلك الماما.. أريد أن أرحل. أعيدوا لي أذني.. ثم موجهةً كلامها لسليزي: أنت ألست رسولاً للماما؟.. هؤلاء يتآمرون عليها.

قال سليزي: لست رسولاً لأحد بعينه.. أنا رسول فري لانس.. مرة للماما.. ومرة لجوجل.. منذ رحل جو.. وأنا أكسب رزقى بتلك الطريقة..

تدخل مولا: اهدئي.. ستفهمين كل شيء.. سأقص لك قصة جو والماما وجوجل الذي قتل الديناصور.. يبدو أنك خطوة على طريق الخلاص.. اهدئي.

لكن قبل أن يبدأ مولا في الحكي لأفهم أنا على الأقل، اقتحم القرصان الأعور وبصحبته الأشباح المخيفون، المكتبة.

ضحك القرصان، ضحكة الشر المتقطعة في أفلام الكارتون والأبيض والأسود قائلاً: لا تقلق يا مولا.. سُنفهمها نحن كل شيء على طريقتنا.

حمل الأشباح المخيفون ريهام وطاروا بها، فيما صرخ القرصان: انتظروني يا أغبياء.. عاد ثلاثة منهم وحملوه.

fb/mashro3pdf

الأكورديون الذي يحمله ربيع، طار تابعاً ريهام.

في برج قلعة على شكل حذاء برقبة، وجدت ريهام نفسها أسيرة ومعها الأكورديون.

مسكته، بدأت في العزف، كعاشقة وجدت نصفها الآخر، كانت تضاجعه لا تعزف عليه، عاملته كقضيب، عزفٌ رائع، تناقلته السحب، لتمطر على المدينة مطرا جديداً طازجاً، لا المطر الذي يعاد تعليبه وضخه في السحب، منذ حكمت الماما.

للمرة الأولى، تعرف ريهام الرغبة، الرغبة الدائمة، المتأججة والسرمدية، حذاء لا يبلى، لذة لم تعرفها مع عبد الجبار، أو الذئب أو البائع ولا حتى ربيع، عرفت هنا في ذلك البرج، أنها نذرت حياتها للأكورديون، هل نجت من المتاهة؟ المتاهة هي البيت والبيت هو المتاهة، ربما يكون الأكورديون، حيلةً لإبعادها عن الخروج من المتاهة، لتغرق فيها من جديد، مر الخاطر على بالها، كذبابة هشتها بعيداً، فلما عادت، تصيدتها بيديها فعصتها وغسلت يديها، كأن شيئاً لم يكن.

أشباح فتحوا زنزانتها، لم تعرف كم يوماً مضى، لكنها كانت ترى القزمين من بين قضبان البرج، يعيدان الساعة إلى الحادية عشرة كلما وصل العقرب الصغير إلى الثانية عشرة.

اقتادوها إلى القرصان بصحبة أكورديونها، ثلاث فتيات يغسلن له أسنانه، ويلمعن له خطافه، قالت راهبة الأكورديون: ألم تحن للمتاهة أن تنتهي؟.. رد القرصان: المتاهة؟!.. إنها على وشك أن تبدأ.

fb/mashro3pdf

انتهى من غسل أسنانه، أمر الفتيات بالانصراف. عزفك جميل. قال.

طرقع بإصبعه، فاختطف أشباحُ الأكورديون منها، بكت، توسلت، انهارت، قبلت قدميه، ركلها كأى شرير نمطي، لكنها قامت، فكرت في أي حل. بدأت في الصراخ، صراخ مزعج، يائس، لكنه نجح في أن يجعل القرصان يلقي بعرضه مباشرة، دون أن يطيل فترة الاستمتاع بتوسلاتها.

إليك العرض، قال القرصان.

مهمة صغيرة تطلبها منك الماما، مقابل أن يظل هذا الأكورديون ملكك للأبد.

توقفت راهبة الأكورديون عن الصراخ، وبدأت في الاستماع، قالت: رأيت هذا الفيلم من قبل، موافقة. أعطني العقد وسأمضي لك تنازلاً عن روحي لتقذف بها في جهنم عندما يحين موتي.

هه؟ قال القرصان، لا الأمر ليس بتلك الصورة، ثم إننا حصلنا على روحك بالفعل، ذلك الأكورديون القبيح. طرقع بإصبعه، فأعاد الأشباح الأكورديون إليها، احتضنته وأمطرته بالقبلات، ثم طلبت من القرصان أن يكمل.

طلب صغير، ستعودين إلى عالمك –بصحبة الأكورديون بالطبع– ستتجهين إلى البلوك نوتات التي يحتفظ بها عبد الجبار كي لا يقع في المتاهة، ليس مطلوباً إحضارها، بل العكس، من المهم أن تظل معه، المطلوب ببساطة، أن تضيفي حرفاً أو رقماً أو كلمة، ببطء ودون أن يلاحظ، في أماكن متفرقة.

fb/mashro3pdf

قالت ريهام: لكني لا أفهم شيئاً مما يدونه.

لا أحد يأتي إلى ماندورلا ويعود كما كان، أجاب القرصان.

فكرت راهبة الأكورديون قليلاً، وما أدراك أني إن عدت سأفعل.

ابتسم باستخفاف: لأنك لن تتمكني من العزف على الأكورديون إلا هنا في ماندورلا، خارجها سيظل جثة، حتى هنا لا أحد يحب مضاجعة الجثث، ثم إنكِ لم تعرفي كل أسرار الأكورديون بعد، نحن نعرف شيئاً مثيراً، وستعلمينه عند تمام المهمة.

اقتربي، طلب منها. أخرج أذناً بلاستيكية مطابقة لأذنها، ركّبها مكان المقطوعة (حتى لا يكشفها عبد الجبار). ثم استبدل خاتمها بآخر، وأعطاها رقم سر، لتكتبه على الخاتم، إذا أرادت العودة ومضاجعة الأكورديون.

سألت: لم لم تطلبوا ذلك من البداية، وتوفروا عليَّ مشقة المتاهة؟

أجاب القرصان: ليس قبل أن تكتشفي حكايتك بنفسك.. عليك العودة الآن.. اعلم سؤالك التالى: هل أنت خائنة؟.. في عالمك قطعاً أنت كذلك، وبنت شرموطة أيضاً.. لكن هنا في ماندورلا نحن فقط نلعب.

همست برقم السر للخاتم، فعادت إلى منزلها، كانت على سريرها ترتدى قميص نوم لا يحبه عبد الجبار، أيقنت أنها كانت في حلم وأفاقت، تحسست أذنها، كانت سليمة، ضحكت.

خرجت لتصنع لنفسها كوب قهوة، بعد هذا الحلم المسلي، لكنها فوجئت بالأكورديون مرمياً على الكنبة، نظرت في الساعة، كانت الثانية عشرة، أخذت الأكورديون واتجهت إلى الحمام، حاولت العزف

fb/mashro3pdf

عليه ففشلت، أصدرت نشازاً يغرق حياً بأكمله في الصمم. تحسست أذنها مرة أخرى، شدتها بعنف فانخلعت معها. بهدوء ركبتها من جديد، واتجهت إلى بلوك نوتات عبد الجبار، فتحتها، هذه المرة المكتوب يتضح أكثر، أضافت أرقاماً بسيطة، مسحت أخرى، فهو يستخدم القلم الرصاص، عدلت بعض الرسوم، محت أخرى، وأضافت جملاً كاملةً. ثم ظلت تلعب تلك اللعبة، كل يوم. الخط؟ تستطيع تقليده بعد عودتها من ماندورلا، شيءٌ ما أنبأها أن قطع أذنها اليمنى، تحديداً هو ما أوضح لها ألغاز عبد الجبار، ومنحها القدرة على تقليد خطه، فيما بعد ستكتشف في نفسها قدرات جديدة، ليس من بينها العزف على الأكورديون، لن يسألها عبد الجبار، لأنها ستخبِّيء الأكورديون تحت السرير، عشيقاً متخفياً، من زوج باغت العشيقين بالحضور.

من وقت إلى آخر، كانت تعود إلى ماندورلا، لتعزف وسط حراسة مشددة من الأشباح، تغيب بالأيام، ثم تعود إلى المنزل فتكتشف أنها لم تغب أكثر من ساعة، رفضت عرض القرصان بالمضاجعة، لأنها نذرت نفسها للأكورديون، تهربت بكل الحجج الممكنة، من عبد الجبار، وإن نفّذت كانت تسلمه نفسها، وهي تتخيله أكورديونها.

حتى أتى ذلك اليوم، الذي قدم فيه عبد الجبار وأذنه اليمنى مقطوعة، لم تندهش، لم ترقع بالصوت، فكرت فقط أنه دخل مثلها اللعبة، هل عرف خيانتها؟ لم تهتم، أرادات فقط أن تطمئنه، رمت أذنها في حجره، ليبدأ في الصراخ.

***

fb/mashro3pdf

العـم

عبد الجبار، في بيته أذنان مقطوعتان، الأولى لزوجته وتلك حكيت حكايتها، والثانية له، وتلك استهبلت و لم أحكها.

عندما وجد الأذن البلاستيكية بين فخذيه، صرخ، ثم أغمي عليه، أثناء نومه، حلم أن دماغه استبدلت بأخرى، دماغ مبرمجة لتنفيذ خطة.

لما استيقظ، وجد مكان أذنه المقطوعة، أذناً كبيرة وميتة، جلداً مرطرطاً، لم ينزعج، ثمة خطة محفورة، عليه أن ينفذها، وعلامتها أن تصبح له أذن كبيرة ميتة. سيقتل.

كانت ريهام بجواره، تحتضن الأكورديون، تصدر نشازاً في محاولات يائسة للعزف، وتبكي، تجاهلها.

عقله صافٍ، بدرجة لم يعتدْها، قال لنفسه: هابي نيو بيرث داي، فقد

fb/mashro3pdf

ولدت من جديد، أو كأني ولدت من جديد، أو على أعتاب أن أولد من جديد، بلا بلا بلا.

متاهته القديمة. اكتشف، أنه لم يخرج منها قط، لا بالنظام الصارم ولا بالقراءة، ولا بتدوين الملحوظات والمعادلات في البلوك نوت. بل على العكس، لقد تاه تماماً داخلها، غاص كمن يلفه الوحل، راجع الخمسة عشر عاماً الماضية، لم تكن سوى خطوات فرضتها المتاهة التي دخلها، ظناً أنه يتحاشاها، بينما هو دائخ بين طرقاتها أكثر وأكثر، لا حل سوى قتلهم، كي يستعد لمتاهة جديدة، أنظف وأروق، ربما يكون هو صانعها.

العم/ سارة/ الشاعر رامي/ الجار.. أربع نقاط، تشكل المتاهة، التي لن تنتهي إلا بقتلهم، بنسف الأركان، تنسف المتاهة، بوووووووووم... وينتهي الخبل من العالم.

عندما جرته الأذن الكبيرة الميتة من المقهى وقذفته في الشاحنة، ساعتان وهو ينتظر، أي شيء يفتح له احتمالاً جديداً بالتصرف، لم يضايقه شيء سوى رائحة العرق، قرر أن يكتب في البلوك نوت، عندما يعود "الظلام يؤكد حقيقة العفن البشري"، توقفت العربة، أياد غليظة لأشباح، أخرجته مع زمرة العالقين، كان أشجعَهم، ظاهرياً على الأقل، لم يرتجف، لم ينهنه، كان يقول لنفسه نفس الجملة والجار يلسعه بقضيبه "سينتهي كل هذا وسأنساه تماماً.. وأبدأ من جديد".

حوالي خمسين مختطفاً بينهم نساء وعجائز.

أوقفوهم في صفين مصفدِين بسلاسل لم يروْها، وصخرة هائلة

fb/mashro3pdf

غير مرئية مربوطة في سيقانهم، بدأوا في فحص آذانهم، البعض أطلقوا سراحهم، لأن آذانهم -كما فكَّر عبد الجبار- لم تكن لائقة (السبب الوحيد المنطقي). لم يهتم بحكاية الأذن هذه من قبل، كان يعتبرها زائدة، دورها ألا يعتقد الإنسان في كماله، وأن الإنسان بدون أذن -مع توفير فكرة أخرى للسمع كثقبين- سيكون مثالياً أكثر، حتى أن متعته الكبيرة في الحياة، عندما يريد أن يستصغر أي شخص يملك سلطة عليه كمديره، أو أكثر وسامة كأولاد خالته، هي أن يركز على أذنيه، حينها يضحك بشدة، ويرى الكل مشوهين، ناقصين، الآذان مضحكة، تذكِّر بالقرد وأحياناً إن ركزت أكثر تشبه أذن الحمار.

بعض الطلقات النارية، التي سمعها، جعلته يشك في أن أصحاب الآذان غير اللائقة، يطلق سراحهم فعلاً، ثم تأكد عندما رأى جثثاً تكوَّم في حفرة كبيرة.

بدأ في الخوف، هل تنجيه أذنه؟ غير رأيه، ليست مجرد زائدة، حياته تعتمد على أذنيه، فكر أنها وسيلته الوحيدة للاتصال بالعالم، فهو يخشى التواصل بالعينين، ويفضل الأذن المتلصصة مخترقة الجدران، يعرف بها كل شيء، مشاعر زوجته، محاولات ابنه لضرب العشرة، معاناة مديره في الحمام، سباب العاملين تحت سلطته لعنجهته وانعزاله، الأذن جنبته خوض المعارك وجهاً لوجه، ومنحته الاختباء.

جاء دوره، طلب منه الأذن الكبيرة الميتة، أن ينحني، خشي أن يفحصوا شرجه، لكنهم اكتفوا بفحص أذنه اليمنى، قطعها بموس. لم يتألم على العكس، تحرر كما حدث مع ريهام، لكنه نزف بغزارة، الأشباح

fb/mashro3pdf

ضمدوا جراحه، بينما عاملت الأذن الكبيرة الميتة أذنه المقطوعة بحرص كأنه "لقية" من السماء، وضعها في علبة خزفية ثمينة.. أذنه لائقة !!

من بين خمسين شخصاً، تم اختيار أربعة خامسهم عبد الجبار، لم يعرف وقتها سبباً، أبعدَ من أن آذانهم راقت هذا الجالس كنصف إله بأذن كبيرة ميتة.

لهبٌ صعد من حفرة الجثث، حمد الله على أن المسألة انتهت على قطع الأذن.

الأذن الكبيرة الميتة، تقدم نحو الخمسة المختارين، أشار لهم أن يجثوا على ركبهم، ثم باركهم مردداً صلاة، لم يتذكر منها عبد الجبار سوى: إلهنا الذي حل في كل شيء، وحل كل شيء، وأحل كل شيء، انصرنا على المتاهة واصنع لنا التجربة.

عادوا في الشاحنة، خمسة فقط، لم يربط بين الجالس بأذنه الكبيرة الميتة، والطفل الذي ظهر له يوم هروبه من المحكمة، عارضاً عليه الخروج من متاهة سارة، إلا عندما كانت زوجته تغير على جرح أذنه المقطوشة.

لم يتبادل أي حوار مع الخمسة، قذفوهم على طريق الأوتوستراد.

في حوار سريع فيما بينهم، قرروا أن يجدوا طريقة للوصول إلى منازلهم أولاً، ثم اتفقوا بتردد مصدره عدم الفهم، أو الإحساس أن ما حصلوا عليه كان مستحَقاً، على الذهاب في الصباح الباكر لتحرير محضر بالواقعة. كانوا منهكين.

لكن في الصباح، لم يذهب عبد الجبار إلى القسم، لم يذهب أي من

fb/mashro3pdf

الخمسة، الذين سيصيرون ألفاً بآذان كبيرة ميتة، سيتواصلون من خلالها، بعد أن يفك كل منهم طلسم متاهته الخاصة.

تأنق، اشترى جرافت لنفسه، وحذاء ماركة وسكين.

على عكس ما تصور، أصبح يسمع أفضل، اللغو يسقط على عتبة أذنه اليسرى ولا يدخلها، اكتشف أن للأشياء موسيقى خاصة، خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة في حياته، كان يستمع بانتظام لشوبارت وباخ وموزارت وفاجنر لمساعدته على الوصول إلى المبدأ الأقصى للحياة، لكنه لم يفقه تسبيحهم يوماً، اليوم يفقه، يستعيد كل نغمة، كأنها عصارة الكون.

توجه إلى موقف عبود، ركب ميكروباص الفيوم، حيث يقطن عمه في قصر لم يرَه من قبل.

تصالح معه، بعد سبع سنوات من حادث المحكمة، بعد وساطات من العائلة، لم يسع إليها، لا هو ولا عمه، بعد موت أمه.

عمه هشام الخروبي، مكتبه من أشهر مكاتب المحاماة في مصر، كَّون ثروة قيل إنها تجاوزت المليار، من تسقيع الأراضي مستفيداً من علاقاته بالمسؤولين وتجارة الآثار ، قبل أن يقرر أن يعتزل كل شيء، بنى قصراً بالفيوم حيث تنحدر العائلة، و لم يغادره، البعض قال إنه تدروش وقرر التوبة، وإنه يوزع ماله سراً على الفقراء على هيئة درويش. وقيل إن اعتزاله الدنيا بالفيوم، إقامة جبرية، لأنه يعرف الكثير، وهدد بفضح مسؤولين

fb/mashro3pdf

كبار، أما عبد الجبار، فقد أمن إنه مريض، آخر مرة رآه، كان ذابلاً، ويبذل مجهوداً خرافيا لإثبات أنه لازال قوياً، لذا قرر البقاء بعيداً عن الأضواء، لا يزور، لا يزار. ربما كان عبد الجبار فعلاً يتمنى موته، من قبل حتى حكاية الدماغ الجديدة تلك، وجوده منذ الصغر، كان يشعره بأنه تائه، قلّده ودخل كلية الحقوق، ليمسح أسطورته ليس إلا، أقوى من أبيه الفقير، أغنى، متسلط عائلة الخروبي، رغم أنه يصغر والده بعام، لكن أباه نفسه كان يمسح جوخاً لشقيقه بداع وبدون داع.

كان العم يدرك، ربما لهذا قبل به محامياً تحت التمرين في مكتبه، لا ليمنحه السر، بل ليظل قريباً منه حتى تحين لحظة سحقه وفرمه، قائلاً له بصوت حنون "لم أتزوج. لم أرزق بأولاد، أنت ابني"، لكنه فر من تحت يديه في لحظة جنون، استطاع العم أن يبتلع آثارها ويعبر، حتى أنه حصل على البراءة لموكله الذي قال عبد الجبار إن تهمته اتجار لا تعاطٍ.

وصل عبد الجبار إلى القصر، بعد رحلة مرهقة، إلى قرية اسمها جرفس مركز سنورس، لم يأت إلى هنا ولا مرة، حتى عندما أتى في رحلة مدرسة، لم يفكر أن له أقارب هنا، محافظاً على ديدن العائلة في التنصل من الأصل الفقير.

الفلاحون سموا قصر عمه "قلعة الباشا"، فهم لماذا عندما رأى الحراسة المشددة والأسوار المصفحة، والكلاب الشرسة، والأبراج التي يقف فوقها قناصة، ثمة لطشة تنفي الآدمية عن الحراس والقناصة، حتى الكلاب لاحظ عبد الجبار أنهم مختلفون، كيف؟ لا يعرف، هو لا يفهم

fb/mashro3pdf

في الكلاب، و لم يرَ على الحقيقة سوى الكلاب الضالة، البلدي، ويخشى ملامسة أي حيوان، لكن كأنَّ "أرواحاً تتجسد في تلك الكلاب"، تجعلها أكثر ذكاء، ربما لو قلت لكلب منهم صباح الخير، لنطق "صباح الفل"، أو "اجر من هنا ياااااه.. لا اشرَّحك".

الكلاب صاحت على شراستها بترحاب، عند مجيئه، كأنها إشارة متفق عليها، انفتح الباب الكبير لقلعة الباب، وتقدم رجل أخضر اللون، ليصطحب عبد الجبار قائلاً "الباشا في انتظارك من فترة طويلة"، لم يخبره أنه قادم، لم يسأل.

حديقة واسعة، تعج بهياكل عظمية لديناصورات، وتماثيل بدت له للحظة كمومياوات محنطة، أو "أحياء يستهبلون وعاملين فيها تماثيل" سأل الرجل الأخضر، الذي اكتفى بالابتسام.

كان قصراً واسعاً، حتى أنهم وصلوا إلى مكان عمه، بقطار صغير، على قضبان!! "كل هذا السفه يا بن الوسخة" يقصد عمه.

كان يجلس في برجولة صغيرة، أمام نصف خروف، وطبق فاكهة كبير، وخمور، ربَّى لحية بيضاء، لم تتناسب مع شعره المصبوغ بالبني، الهيئة التي تضفي عليه كما يرى عبد الجبار صفتى القوادة أو المثلية.

عندما رآه، طرقع بإصبعه لينصرف ثلاثة خدم (كله من السرقة يا معرص).

جلس عبد الجبار، راجع الخطة، كانت غبية. يدخل عليه ويقتله هكذا ببساطة، كيف له أن يفعل ويفلت بفعلته وسط جيش الحرس المهول؟

fb/mashro3pdf

سيمزقونه ويلقون بعظامه للكلاب قبل أن يفكر حتى في الهرب.

"جئت لتقتلني".. قال العم، بهت عبد الجبار... لكن العم أكمل "لقد تأخرت كعادتك، ننتظرك هنا منذ ست سنوات".

فرك العم أذنه اليمنى، خلعها، لتتدلق أذن كبيرة وميتة، قائلاً: "مثلك بالضبط".

ركبا عربة أخرى صغيرة، اتجها نحو باب القصر، على بابه أسدان محنطان، أخافا عبد الجبار، عندما أديا تحية عسكرية للعم. دلفا إلى الداخل، القصر من الداخل هو الشيء الوحيد الذي لم يخذل تخيلات عبد الجبار عن حياة عمه، بل على العكس، خيال عبد الجبار في ما يحتويه القصر، فاق الحقيقة، بناه عمه منذ عشر سنوات، الخبر الذي تناقلته العائلة بحسد تخفيه عبارة "بسم الله ما شاء الله".

كل ليلة كان يتخيل أنه يملك ذلك القصر، تسلّمه فارغاً، وكلّ حلم، يضع قطعة على مزاجه، في أوقات كثيرة كان يشاهد المسلسلات، ليعرف ما الذي قد تحتويه القصور.

بهو مزخرف، تتوسطه فسقية وسط كراسيَ إسلامية موزعة في المكان بتناسق يناسب الأرابيسك، لكن ما لم يفهمه عبد الجبار، هو الحروف المبعثرة على الجدران، لم تكن معقدة أو متشابكة، لكنها كانت تكرر حرفي الواو والنون، واللام ألف التي تجلت بمهابة، ربما كانت تمثيلاً لأسرار الحروف، التي قرأ عنها في الفتوحات المكية لابن عربي، حاول عبد الجبار كثيرا أن ينهيها، كان يظن أن كتاب الفتوحات، يحتوي أسرار العا لم، ومن

fb/mashro3pdf

يفهمه قد يصل للمبدأ الأقصى للحياة. لما استغلق عليه الكتاب، و لم يفلح في إنهائه، قرر أن يضع نظريته بنفسه.

صعد معه إلى واحدة من غرف النوم، التي لم ينجح في عدها، أغلق عمه الباب، ثم ضغط على زر فخرج بار، ثم تركه ودخل الحمام ليفك حصرة.

فكر: هل هو شاذ؟ الصفة الملاحقة لشخص متيسر، و لم يتزوج أبداً، شاذ أم عنين أم مخصي؟ كل تلك الأقاويل ترددت على عمه، وهو رغب دائماً في تصديقها، أسعدته الاحتمالات الثلاثة. لكن الاحتمال الأول، أعاد له ذكرى "كله إلا الأم يا بن الكلب"، تخيل لو طلب منه النوم معه، هل سيوافق؟، ثمة شيء يسعده ويؤلمه في آن إذا ما فطَّت حكاية قضيب الجار من منفاها في ذاكرته، أحياناً تتحول الذكرى إلى فيلم ثري ديمنيشن، فيشعر بالقضيب يحك مؤخرته من جديد، لكن بشكل أقل قسوة، اللذة تدفعه لانتهاك ريهام في مؤخرتها. في البداية اعترضت، ثم قالت لا بأس، ثم استمر الأمر بدون اعتراضات كلما فطت الذكرى إلى مؤخرته. فكر في حكاية أخرى سمعها من صديق له على القهوة، عن "شرموطة" كما وصفها، اعتاد أن ينيكها في مؤخرتها كي تحافظ على بكارتها "استعمال طبيب"، صارت المؤخرة كيفها، لكن المشكلة بدأت عندما تزوجت "راجل قرطاس" لا يعرف سوى وضع واحد يمنحه سلطة الاعتلاء وسيطرة الفحولة، يراها كملاك هبط لمساعدته على الاستقرار النفسي بتأسيس عائلة، ومحو الذنب عن عضوه الذي لم يعرف –قطعاً– سوى العشارى الطيبة، فلم يكن فرجها يكيفها، وكان عليها أن تحوله

fb/mashro3pdf

ناحية مؤخرتها، لكن المشكلة هي كيف تفعل ذلك دون أن يشك في أي معرفة جنسية سابقة لها. جرته في البداية إلى أوضاع مختلفة، ببطء، باستراتيجية أسمتها "طول الصبر ينوِّل المنى"، لتتمكن بتكتيك ملامسة المؤخرة للعضو كأنها لا تقصد ثم سحبها، من جره إلى مبتغاها، بعد أن تبكى "لأ حرام اللي انت عايزه وبتفكر فيه ده حرام"، لم يكن القرطاس يرغب في شيء، وخياله كان أضيق من مؤخرتها، مرات وهي تفعل ذلك كأنه هو من يرغب وهي تتمنع، مع الوقت وباستعمال تكة الصبر، صارت تلك الحركة عنوان هياجه، تجعله محموماً، حتى جاء اليوم الموعود لانتصار كيد النسوة، عندما أدار جسدها وأدخله من دبر، وهي ترفض وتولول، أخرجه، ضربها حتى استكانت، ثم أدخله من جديد وهي تمثل دور المغتصبة، بعد الانتهاء بكت، وشتمته، وهو أيضاً بكى، خاصمته أسبوعاً، لكن في المرة التالية، فعلاها كما خططت بالضبط، بشكل عادي ودون زيطة. سأله عبد الجبار الذي لم يكن ستب تكة الصبر على سوفت وير دماغه بعد"كيف صبرت كل ذلك الوقت حتى أقنعته؟"، أشار الرجل إلى ما بين فخذيه بفخر ثور فحل "استعانت بصديق"، قال عبد الجبار بعفوية: "لكن من ورا حرام"، شخر صديقه "وهو الزنا إيه بروح أمك؟"، كاد أن يدخل معه في جدلية حرام الحرام، لكنه لم يفعل، كان فقط ينفي عن نفسه لجوءه لنفس الحرام الذي استنكره على صديقه وصاحبته وثالثهما القرطاس، هرباً من ذكرى اغتصابه، من لذتها المحرجة تحديداً.

خرج عمه من الحمام، مرتدياً روباً على اللحم، صب لنفسه كأساً لم يعرف عبد الجبار هويته، عبد الجبار يشرب البيرة من وقت لآخر

fb/mashro3pdf

متحايلاً على عرق الحرام الذي يضغط على أعصابه، بقوله "الضرورات تبيح المحظورات، أشربها لتفتيت الحصى وتطهير الكلى ولي فيها مآرب أخرى".

قال العم وهو يشرب الكأس: لم يخلق شيء في جمال الخمر... أمنيتي الأخيرة قبل أن تقتلني.. أن توزع خمراً على روحي.

قال عبد الجبار: كيف عرفت؟.. لم يرد العم، خلع الروب ونام عارياً، اعتقد عبد الجبار أن ظنه كان صحيحاً بشأن حكاية النوم معه، لكن العم كان جاداً أكثر من خيال عبد الجبار المريض، ماذا أحضرت لقتلي؟ قال عبد الجبار: سكين.

"اعطني إياه".. أخرجه عبد الجبار، شخر العم بغضب: سكين مطبخ؟!!.. أهذا كل ما أستحقه في نظرك؟ ثم ضرب جرساً، فدخل الرجل صاحب البشرة الخضراء، وبحوزته صندوق، فتحه أمام العم، كانت خناجرَ من بلاد مختلفة، بدا لعبد الجبار أنها غالية، أشكالها بهرته.. تحير العم كثيراً قبل أن يتخير واحدة تناسبه.

"خذ هذه، اذبحنى من العنق، لا تطعن في القلب، لن أقاوم، وإن فعلت، ستكون مجرد فرفرة، واصل بيد ثابتة، لا ترتعش، أردت أن تكون مثلي، أن تتعلم شيئاً من حياتي: اقتل دون أن ترتعش".

وضع إصبعه على حبل الوريد، وأشار لحامل الصندوق بالانصراف.

اقترب عبد الجبار، لم يرتعش، نحره بيد ثابتة، ثم قرفص على الأرض، أشعل سيجارة، وانتظر انتهاء فرفرته كخروف العيد، ملابسه بالكامل

fb/mashro3pdf

أغرقها الدم، بعض القطرات وصلت إلى فمه، على عكس ما يظن كان لذيذاً، توجه إلى البار، أخرج كأساً، صب من دم عمه، وشرب، روحُه تُغسل الآن. قال لنفسه.

خرج، وجد الرجل الأخضر في انتظاره، ذهب به إلى الحمام ليغتسل، أعطاه ملابس جديدة.

خرج، حياه الرجل الأخضر قائلاً: كنت رائعاً يا سيدي.. ثم قاده بنفسه إلى خارج القصر، وودعه قائلاً: سنستدعيك قريباً.. قليل من الإجراءات.. لا تقلق بخصوص الشرطة، سنسوِّي الأمر.

عاد عبد الجبار إلى بيته، وهو لا يفهم أي شيء، لا يشعر بأي ذنب، فقط بالقوة المطلقة، التي لا ينقصها سوى نسف باقي أركان المتاهة.. وربما قليل من الفهم، كي يستطيع تنفيذ إرادة الدماغ الجديدة التي زرعت له في الحلم.

fb/mashro3pdf

الشخص رقم مئة

العلاقة بين ريهام وعبد الجبار، اتجهت نحو حفر الصمت بشكل أعمق مما كان، عرفا أنهما انفصلا منذ تلك اللحظة روحاً وجسداً، هو يعرف أنها تخبىء عشيقاً، حتى ولو لم يعرف أنه الأكورديون، وهي تعرف أنه يخبىء متاهة، حتى لو لم تعرف أنها دائرة قتل.

الزواج كان غطاء مثالياً، كي يتخلص كل منهما من متاهته، ربما يلتقيان حينها وربما لا.

الولدان، لم يلاحظا فروقاً كبيرة، فالأول –تامر– سبعة عشر عاماً، كان غارقاً في غرفته وسط فيديوهات الليزبيان، يفضلها على أفلام السكس المعتادة، فهو يرى بعد تجارب أجبرته على القيء، أنها أكثر لطفاً وتحتفي بالجسد أكثر من الإدخال، كما أنها تمنحه الشعور بأنه حصل على أربعة

fb/mashro3pdf

أثداء، أو ستة في وقت واحد، وهو عرض أفضل من العروض التي تقدمها محلات الهايبر ماركت لوالدته.

أما الثاني –شاهر– الأصغر بثلاث أعوام، فلم يلحظه أحد في الأصل منذ ولد، وهو أمر حوله إلى صالحه، انشغاله الأكبر بالحصول على أفضل ما يمكن الحصول عليه من تلك العائلة، قبل أن ينفذ خطته بالهروب الكبير، إلى أين؟ لا يعلم، شاهد في فيلم طبيباً يلف الكرة الأرضية مغمض العينين، مشيراً بإصبعه إلى أي نقطة. تلك النقطة العشوائية ستكون وجهته وخلاصه. أي شيء أفضل من مستشفى المجانين المسماة بالبيت، وهو أمر عرفه بالحدس، فتصرفات الجميع، الظاهرية منها، كانت في منتهى العقل.

الصحف اهتمت بوفاة عم عبد الجبار، عندما اشترى عبد الجبار الصحيفة في الصباح، كان الخبر هكذا: وفاة المحامي الشهير هشام الخروبي بنوبة قلبية مفاجئة. "وفاة لا مقتل". ألهذا طمأنه الرجل الأخضر؟ "لا تقلق بخصوص الشرطة.. قليل من الإجراءات.. ثم سنستدعيك".

ذهب لحضور الجنازة، التي دبرتها له العائلة، حضرها وزراء وممثلو سينما وشخصيات عامة، ألهت بحضورها عبد الجبار عن ملل حضور الجنازات، يسميها "فوبيا الالتزامات الاجتماعية".

رأى الرجل الأخضر هناك (شريكه في القتل)، لكن بشرته كانت عادية، افتقدت خضرتها، شد على يديه وهمس في أذنه "موعدنا بعد ثلاث أيام".

لم تمر الأيام الثلاثة عصيبة على عبد الجبار، بل على ريهام، التي فقدت طريقة العودة إلى ماندورلا "هل نسيت الرقم السري للخاتم؟"،

fb/mashro3pdf

كانت متأكدة أنها تحفظه عن ظهر قلب، لم تحفظ رقماً في حياتها ولا رقم تليفونها المحمول، لكن هذا كان مختلفاً، كان رغبتها الدائمة والسرمدية.

نزلت في اليوم الثالث، مرتدية حذاءها الأحمر. قررت أن تضاجع أول شخص تراه، ثم عدلت الفكرة إلى الشخص رقم مئة، ثم قررت أن تجعل اللعبة أكثر تعقيداً، الشخص رقم مئة الذي تحمل ملابسه لوناً أسود، قميص أو بنطال أو حتى منديل أو جيب أو رسمة أو حرف، لم؟ لا تعرف، هي تلعب فقط، أي شيء ينقذها من فقدان الهبة التي منحت إياها.

عبرت الشارع، عدت البواب كأول شخص، جيوب جلابيته سوداء، عند العدد خمسين، ركبت تاكسي، سألها: أين ترغب في الذهاب. قالت: فقط انطلق. ووعدته أن تهبه فوق عداده مئة جنيه.

انطلق التاكسي، غفت، باكية.

لما صحت طلبت من التاكسي التوقف، بدأت في العد من واحد وخمسين، سائرة، لا تعرف أين هي، دخلت شوراع جانبية، عرفت أنها في الدقي.

من شارع إلى شارع، ومن ميدان إلى ميدان، عند الرقم تسعة وتسعين اختفى الأسود من الملابس، لم تر سوى فراغٍ مكان أي قطعة ملابس تحمل اللون الأسود.

تأخرت. في وقت سابق لم تكن تستطيع، لكن عبد الجبار لن يسألها عندما تعود، كيف؟ هي فقط تعرف أن زواجهما انتهى.

كادت أن تعود، لكن حذاءها الأحمر بدأ في العمل، ساقها إلى بيت

fb/mashro3pdf

كبير تحيطه حديقة صغيرة، أشجارها عجوز ومخيفة.

طرقت الباب، فتح لها شاب في الثلاثين بملابس غارقة في السواد، أذنه اليمنى كبيرة وميتة، البيت كان غرفة واحدة كبيرة، أنا الذي شاهدت من فوق أو في بللورتي السحرية، التي تمنحني مشاهد تلك الرواية متفرقة وتلضمها على طريقتها، يمكن لي أن أؤكد أنه نفس الرجل الذي قطع أذن عبد الجبار اليمنى، ووجهه نحو متاهة أخرى للتخلص من متاهته القديمة، ويمكن لي أن أؤكد بقليل من الحدس ليس إلا –والذي قد تثبت الأيام القادمة خطأه– إن ذلك الشاب نفسه هو جو المخلص المنتظر أو المزعوم في ماندورلا السحرية.

ريهام لم تعرف ذلك مرة واحدة، بل على دفعات، فهي لم تر في الرجل الغارق في السواد، سوى الشخص رقم مئة، الذي ينهي لعبتها بمضاجعة.

أول كلمة نطق بها الشاب: ألكسندرا.. هل سامحِتني؟.

لم تدافع عن هويتها كريهام، بل عن هويتها كراهبة الأكورديون.

لكنه لم يستمع إليها، عرفت أنه جو.

سألت: أنت الذي ينتظره الحمقى في ماندورلا؟

قال: لم أطلب من أحد انتظاري.. لا أعرف شيئاً أكثر من استماعي لمتاهتي الخاصة.

أجّلت انتهاء لعبتها، حكت له قصتها هناك، عن انقطاع الهبة وغضبها الذي دفعها إلى اختراع لعبة المئة شخص.

سألها: هل أنت متأكدة من الباسورد؟ أومأت بالإيجاب: أكثر من

fb/mashro3pdf

تأكدي من أني موجودة.. نظر لها متشككاً.. صمتت، ثم قالت: حسناً.. أحياناً أشك أني موجودة.. هل أنت موجود؟

ضحك جو: كنت.. لكني الآن لست كذلك.. ولا زوجك عبد الجبار.. لم يعد هناك..

قالت: نبتت له أذن كبيرة ميتة.. و لم تنبت لي واحدة.. أعطوني أذناً بلاستيكية.

جو: لأنها قطعت في ماندورلا.

ثم أشار إلى حائط، كانت هناك آذان موزعة عليها.

سألت: ما هذا؟

قال: لا أعرف، لم يتضح لي الأمر بعد، أنفذ الأوامر بقطع الآذان اليمنى، ليس أي أذن.. ثمة علامات للآذان المختارة، لا أعرفها ولكنها تعرفنى.. الأذن هي من تختار سكيني.. آتي هنا لأجدها تعرف مكانها على الحائط.. أضعها وأظل أتاملها دون أن أفهم ما تعنيه، لقد انفلت هذا العالم من سيطرتي، رغم أني صانعه.

هل تعرف لعبة البازل؟ قالت ريهام.. تلك الآذان تقول شيئاً، لكن ثمة آذان ناقصة.

أو خريطة. قال جو، ثم أوضح: أعتقد أنها تشكل خريطة لعالم ماندورلا المفقود، الذي فقدته.. خريطة لأصل مجدداً.. أو.. لا أعرف ربما هي مثل جميع الأسرار، هالة مقدسة تخفي كيس فشار كبير.

قالت ريهام: فهمت من كلامك أنك لا ترغب في العودة.

fb/mashro3pdf

رد غاضباً: ومن قال إني أرغب في العودة؟ أنا أتبع متاهتي فقط.. من قال إني أرغب في أن أضاجعك؟ أعرف أنك لست ألكسندرا.. ولكنها ستتمثل فيك الآن.. ستسكن بين فخذيك.. وفي الأغلب أنت جئت لأنام معك دون أن تعرفي حكاية ألكسندرا.

ما الذي يعنيه هذا؟ قالت ريهام... قال جو: متاهة.. فقط متاهة كبيرة.. صنعتُ بدايتها.. ثم انفلتتْ لتسحقني مع الجميع.

فتحت فخذيها مباشرة، لكن ذلك لم يعجبه، كان يريد مزيداً من التقبيل، اللحس، أن تداعب خصيتيه بأصابعها، أن تهمس له كسابق عهدها مثل ألكسندرا (التى لم تكنها) بكلمات حب خشنة، بسباب وعض، لكنها كانت تريد أن تنهي اللعبة وتعود إلى عشيقها بعد أن تنفث غضبها في ذلك القضيب الذي اختاره لها الحذاء.

لم يقف قضيبه... سخرت ريهام: لقد فقدت أشياء كثيرة.

"لم تسكن في فخذيك بعد... لم تأمر بالدخول".

تلك العاهرة، سبت ريهام ألكسندرا فصفعها جو.

سأذهب، قالت ريهام التي بدأت في البكاء.

لكن شيئاً ما بين فخذيها، أحست به حارقاً كبركان، فرج آخر يسكنها الآن أضيق، وأكثر تقديساً للشهوة والأورجازم.. لم تعرف ريهام الأورجازم، سمعت عنه، لكنها تعرف أنه كأشياء كثيرة، تسمع عنها

fb/mashro3pdf

ولن تحصل عليها.. لم تحصل عليه من الذئب، ربما الأكورديون منحها أورجازماً مجازياً.

انتصب جو، أدخله فيها، وهي تحولت إلى لبؤة أخرى، غريبة عنها، لها نفس الجسد، لكنه "ليس جسدي"، لم تكن تضاجعه كانت تمتصه، تأكله.

انتهى مرة، فأدخله أربعاً، ثم خمساً، ثم عشرة. بينما جو يتحلل، يهرم.

عندما انتهت. وقف جو، ثم انهار كرماد حرفياً. ذرات تجمعت، ثم طارت لتستقر في برطمان مربى صغير.

ارتدت ملابسها، لم تشعر بشيء.. سوى عودة جسدها الطبيعي، وفرجها المسن.

اقتربت من البرطمان بجزع "هل قتلته؟".

"لا تقلقي، سيعود من جديد" عنكبوت ضخم هبط أمام وجهها، مصوباً مسدس ماء نحوها، رشها وضحك صرخت.

"تلك لعنة ألكسندرا.. تقتله بالمضاجعة.. وكلما قتلته عاد.. لتقتله من جديد".

"و لم تفعل؟"..

صعد العنكبوت على خيطه ثم قال "رداء جميل.. هل ترغبين في مضاجعة جميلة من عنكبوت لطيف..".

fb/mashro3pdf

باشمئزاز، التقطت ريهام حقيبتها وخرجت، عادت إلى بيتها، لقد أفسدت عليها تلك الألكسندرا كل شيء، لم تشعر بأي متعة، فقط شهوة محمومة، تجبرها على استقبال المزيد والمزيد، دون شبع أو لذة، فيما حصلت ألكسندرا على كل شيء.

عبد الجبار لم يكن في انتظارها، كان جذلاً. طلب منها أن تحضر حقائبها، قال لها دون أن ينظر إليها "عمي كتب لي ثروته.. صرنا أغنياء كما في الأفلام، لا تحضري أي حقائب، سنشتري ملابس جديدة، فقط استعدي، سننتقل إلى قصري الجديد في الفيوم، خلال فترة وجيزة".

دخلت غرفتها، أخرجت الأكورديون من تحت فراشها، بصقت عليه، صفعته، حكت به فرجها، بكت من غيابه، من افتقادها للأورجازم في ماندورلا.

سمعته يقول: "سنعود.. تلك مسألة وقت".

المرة الأولى، التي يكلمها فيها، هزته "هل أحد بالداخل؟".. لم تحصل سوى على الصمت، لكنها اطمئنت قليلاً، جسدها انهار من الإرهاق، احتضنت أكورديونها ونامت غير عابئة بمتاهات العالم كلها.

***

fb/mashro3pdf

السوبر سوبر مان

في اليوم الثالث، خرجت ريهام وجاء الرجل الأخضر ببشرة آدمية إلى المنزل، ومعه أوراق.

في غرفة المكتب، عادت الخضرة إلى بشرة الرجل.

كيف تفضل القهوة؟ قال عبد الجبار.. لكن الرجل رفض: لا.. لا.. نحن لا نفضل القهوة.. هل أطمع في حمّص الشام؟ لقد حاولنا تصنيعه على كوكبنا.. لكن لم ننجح.. اكتفينا باستيراده.. الأرض رائعة رغم كل شيء.

سأل عبد الجبار: أي كوكب؟.

تنحنح الرجل الأخضر: لم نتعارف جيداً.. كنا مشغولين بإنهاء المهمة وقتل العم.

fb/mashro3pdf

اسمي تيرا، جاركم في المريخ.. قدمنا هنا منذ أربعين عاماً، هبطت أول مركبة فضائية لنا، بجوار عربةٍ حمص شام، اضطررنا لقتل صاحبها.

هبطنا في مصر، ونكره جدا إلحاح الأمريكيين المتكرر على كوننا هبطنا هناك أولاً. في الواقع كنا سنهبط في مدغشقر، لكن خطأ صغير أجبرنا على النزول للمقطم.. الصدفة.

أعجبنا حمّص الشام، احتكرناه تقريباً.. كانت وسيلة جيدة للاختباء والتلذذ. قتلنا كل بائعي حمص الشام، وعملنا مكانهم.. الخطة اقتضت أن لا نعلن أي نشاط في الخمس سنوات الأولى.

قال عبد الجبار: كرأفت الهجان. هل تتجسسون على الأرض؟.. لا شيء مفيد.. الشمس تشرق وتغرب على نفس الحمق.

لذا جئنا، قال تيرا.. لنمنحكم الخلاص.

ما كنا نظنه فيما مضى، هو حاجتكم إلى صفات خارقة، في رحلتنا الاستكشافية الأولى منذ خمسئة عام، لم نُقمْ في الأرض، سرّبنا الرسالة وعدنا، فكرة تصنيع الإنسان السوبر مان.. لا تندهش.. أعماركم قصيرة ورغم ذلك أنتم أبطأ شعوب الكون.. احتاجت الفكرة إلى قرون كي يبدأ شخص ما في تنفيذها.

كانت مخطوطة، تسلّمها بدوي لا يجيد القراءة، وحتى لو أجاد لم يكن ليفك شفرة تلك الفكرة العميقة في نظرنا وقتها. لم يكن لذلك البدوي وجود، اخترعناه.. ومارسنا عملنا وطقوسنا السحرية وظللنا، نحكي حكايته لأطفالنا، حتى صار حقيقة، عاش وتزوج وأنجب ومات، ونقل

fb/mashro3pdf

إلى سلالته السر المقدس، المخطوطة، دون أن يفكوا طلاسمها.. لكن بقي لتلك الحكاية الخيالية أن تسير على الأرض.. أن تصير حقيقة من لحم ودم وتنفخ فيها الروح، حتى أتى ولد يُدعى جو، كنا نعلم أنه سيأتي، كتبنا المقدسة قالت هذا، طفل هرب من أسرته في التاسعة بحثاً عن فراولة لا تجلب له الحساسية، استطاع أن يخلق حياة افتراضية لنفسه.. كان يملك الموهبة، كل ما يتخيله يصير حقيقة.. اخترع مدينة اسمها ماندورلا.. ثم انقلبت تلك الحياة عليه، طاردته حتى طردته من المدينة إلى عالمكم، وحولته من سيد إلى عبد يعمل تحت إمرة الكائنات التي اخترعها خياله.. لكن قبل أن يفعلوا كان وصل إلى سدرة المنتهى في مدينته.. برزخ التراب والنار.. وأطلق سراح الحكايات الخيالية التي يختلقها البشر ليواصلوا حياتهم ويتخففوا من حمل عالمهم اللامفهوم والمحبط.. كيف فعل ذلك؟.. لا نعلم، لسنا على يقين أصلاً. أنها الرواية الوحيدة لما حدث... لكننا استفدنا من ذلك، فقد تحولت حكاية البدوي إلى حقيقة ووصلت المخطوطة إلى عمك.. أكبر الذكور في نسل البدوي... لا نعلم يقيناً إن كانت تلك هي القصة الدقيقة والوحيدة للأمر.

حتى الآن لازال هناك جدل على كوكبنا، إن كنا موجودين فعلاً أم نحن نتيجة مخيلة عمك الذي قد يكون من مخيلة جو.. دارت حرب أهلية على المريخ بسبب تلك النظرية التي تبناها أحد الفجرة في كوكبنا.... دمرناه.. لكن الأفكار.. يا لشناعتها.. ترقد كالحرباء.. وتنمو في الظل.. ثم تنتفض كالعنقاء من موتها.. نعلم أن فكرة الفاجر الذي قتلناه، تجد من يعتنقها سراً.. ويوماً ما سيتحتم علينا محاربتها من جديد.

fb/mashro3pdf

عبد الجبار يستمع كالمذهول، لا يفهم شيئاً، أراد أن يثبت أنه على اتصال وعلم بحديث تيرا المريخى فقال: هل تقصد سوبرمان نيتشه؟

بتأفف قال المريخي: يا للضحالة!!.. لا نحن لا نقصد ذلك، لكن نقصد السوبر مان الذي يطير ويضرب ويرى ما وراء الجدران... لقد أفسدتك القراءة.. كتب الكوميكس تحمل من العلم أكثر مما قدمته قرون من هراء الفلسفة.

ليس واحداً ولا اثنين بل جيش جرار من السوبر مين، يتحكم في العالم، تحت إمرة سوبر سوبر مان، والذي يعمل بدوره تحت إمرتنا -طبعاً لمصلحة الأرض- يعيد تنظيمه ليمنحه العدل، ثم ينتظر المسيخ الدجال ليسلمه العالم لتخريبه، والذي ينتظر بدوره المسيح ليقتله ويعيد العدل، عدل المسيح مختلف، فأهل الأرض سيكونون مساكين جداً وقتها ومنهكين، لذا سيتحملون ذلك النوع من العدل، ثم تقوم القيامة وينتهي هذا العرض بسلام.

هل تشرب القهوة؟.. كرر عبد الجبار الأمر ناسياً أمر حمّص الشام، فرفض تيرا العرض مرة أخرى بأدب.. فسأله: هل تقصد أن عائلتنا بأكملها هي خيال مريخي.. أنني لست موجوداً أصلاً؟

تجاهل تيرا الإجابة وأكمل: عمك احتاج إلى تمويل، فعل كل شيء من أجل تصنيع السوبر مان.. كيف فك طلاسم الشفرة؟.. لم يفعل. نحن أوضحنا له كل شيء.. لقد مللنا من غبائكم.. عمك توحد تماماً مع الفكرة، كانت تمثل متاهته الخاصة، أن يكون الأقوى.. سرق وغش

fb/mashro3pdf

وتحايل وفسد وأفسد بل وأمر بالقتل من أجل جمع المال اللازم لتصنيع السوبر مان.

بالفعل أقام المصنع في ذلك القصر الذي قتلته فيه، مصنع كامل تحت الأرض.

كانت حساباتنا تقول إننا نحتاج إلى خلاصة ما عرفه البشر.

تتجمع في أمخاخ المكتئبين، المعرفة هناك، تقلقهم وتحيل حياتهم إلى جحيم.. المنتحرون والمجاذيب ومن هم على الأعتاب.. نصهر أمخاخهم في المصنع.. لكن كل مخ أو جسد لم يشكل سوى قطرة واحدة.. لذا احتجنا إلى سنوات بلا عدد، وقتلى فاقوا قتلى حروبكم العالمية.

ضحك عبد الجبار، ضحكاً هيستيرياً، نجح في إغاظة تيرا: من منا المتخيل الآن؟.. أنا أم أنت؟.

بلع تيرا الإهانة: أعلم أنها حكاية غير محبوكة، ولكن من أخبرك بأن العالم يسير هكذا. الروايات؟ دستويفسكي؟.. الذي اقتطع العالم كأنه مسيَّر بخطة معدة سلفاً؟ انتهى كل هذا منذ قطعت أذنك.. المتاهة التي دخلتها يوم نطقت في المحكمة بكلمة جنون ثم تبعت سارة، وانتهت باغتصابك.. تلك كانت مكتوبة سلفاً.. أعددناها مع عمك.. لنسفك.. لتصل إلى الجنون.. لكن الصدفة وحدها التي جعلت جو يقطع أذنك.. يفعل ذلك تابعاً متاهته الخاصة، وهو يظن أنه يخدم الماما، الصدفة هي التي أهّلتك لتتولى المهمة خلف عمك.. أن تحكم الأرض.

كانت لديك فرصة للهرب من متاهتنا، فرصة وحيدة، لكنك أهدرتها

fb/mashro3pdf

بعدم التصديق، الطفل الذي عرض عليك الذهاب معه، بعيداً لحياة تقدر جنونك ولا تنتهي باغتصابك.

الآن جاءتك تلك الفرصة مرة أخرى، أن تساير جنونك.. أن تخلق عالمك.

والقتل؟.. سأل عبد الجبار: ألم يكن معداً سلفاً؟ كان ينتظرني ويعلم أني جئت لقتله، وأنت ساعدتني.. كنتم تريدون ذلك؟.

قال تيرا: لا شيء معد سلفاً.. نحن فقط نلعب.. دعنى أكمل، نجحنا في تخليق أول سوبر مان، فعلاً.. كان عمك.. صار قوياً.. وخارقا.. بل ولف العالم طائراً في أقل من ساعة، لكن... لم يتحمل.

أربعٌ وعشرون ساعة فقط، أسقطت نظريات دهور في المريخ.. الجسد البشري لا يصلح كي يصبح سوبر مان.. حسابتنا لم تكن خطأً.. لكن قوتكم تتضاءل من جيل إلى جيل.. انتشر السرطان في جسده، لم يتبق في حياته سوى ست سنوات على الأرجح... كان علينا أن نبدأ من جديد.. حتى قطعت أذنك.. كنت تسير نحو المتاهة: قتلِ العم وسارة والشاعر والجار... لم نكن نريد أكثر من هذا.. أن تقتلَه وتشرب دمه.. أنت الشخص المناسب الوحيد من سلالة البدوي، الذي يمكنه تحمل الإرث.. الصدفة وحدها.. هي التي جمعت بين رغبتك ورغبتنا.. أرأيت؟ كل شيء معدّ سلفاً، لكن لا شيء معد سلفاً.. فصرت خليفته... لقد ضحى عمك بدمه كقربان على مذابح بشريتكم التعسة.. علماؤنا استطاعوا تحديد مكمن الخطأ.. ليس السوبر مان ما تحتاجه البشرية وتتحمله

fb/mashro3pdf

أجسادها الهشة. واهتدينا إلى فكرة أخرى. الشخص النموذج، شخص متوسط الذكاء والقوة. نصنع منه آلاف النسخ المتشابهة والمكرورة. هذا ما يتحول إليه جسدكم البشري. تتجمعون وفقا لنماذج.. تتقاتلون كي يسود نموذج على الآخر. من يحيا داخل نموذج ويرغب في الخروج عليه تقتلونه بكل الطرق. بالتشهير بالوصم بالجنون بالنبذ بالاغتيال. أتعرف لَم استجاب كل هؤلاء البشر قديماً للشيوعية؟ لأنها في صلبكم. حتى بعد أن اسقطتموها تكررون الأنماط بطرق أخرى. حتى الأمريكان مدعو التحرر. يرغبون في أن يصير العالم أمريكياً. في المقابل تعلو نبرة الاسلام في مواجهة الغزو الأمريكي، لكنها لا ترغب في أكثر من أن تمحو النموذج الأمريكي لتفرض نموذجاً آخر على البشر. لذا قررنا أن نمنحكم نموذج المريخيين. سنصنع آلاف البشر على شاكلتك. لتصبح أنت سيدهم. سيد العالم. السوبر سوبر مان الحقيقي. لن يكون هناك شرق أو غرب أو متحضرون ومتخلفون أو إسلاميون وكفرة. فقط عبد الجبار. والمزيد والمزيد من عبد الجبار. ستمنح السلام للعالم.

مؤخرة عبد الجبار، بدأت في الانقباض والاتساع، منذ دخل تيرا ومؤخرته تحاول أن تخبره شيئاً، حتى تبين عبد الجبار حروف الرسالة. شخر.. ثم أطبق بيديه على رقبة تيرا، وهو يهتف: كله إلا الأم يا ابن الكلب، كله إلا الأم يا ابن الكلب.

لكن تيرا لم يتأثر، بل رد بهدوء: نعم كنت أنا من فعلها بك.. أمسك

fb/mashro3pdf

يديه، ثم ثنى ذراعيه وأداره ثم خرجت أذرع مخفية لتطبق على خصيتي عبد الجبار ثم قال: لو لم تمتثل سأفعلها بك ثانية.

ركله بعيداً: أعرض عليك فرصة ذهبية لامتلاك العالم. عمك قطع شوطا بعيداً. كان سيموت، لو لم تقتله. لو لم تفعل. لو لم تشرب دمه. لتوقف المشروع تماماً. أنت الآن السوبر سوبر مان. ليس كاملاً بالطبع. لن تمتلك أي قوى خارقة. لكن البذرة داخلك. مجهود عشرين عاماً من التجارب على عمك. وآلاف الجثث التي أكلنا شحمة آذانها وقتلناها.

مد عدداً من الأوراق التي وقعها عبد الجبار وهو يتأوه من الألم.

ما إن وقعها عبد الجبار. حتى انحتى تيرا مبجلاً: اغفر لي سوء أدبي يا سيد العالم.

سأل: ما تلك الأوراق؟.. قال تيرا: ميراثك يا سيدى. عشرة مليار دولار أمريكي، بخلاف القصور في كل أنحاء العالم، وأكوام الذهب والماس في البنوك، أما تلك الورقة الصغيرة الخضراء، فهى تخصنا في المريخ.. حقنا.. حق المؤخرة.

قرأ عبد الجبار: من حق أي مواطن مريخي، مهما قل شأنه، اعتلاء مؤخرة السوبر سوبر مان في أي وقت شاء.

قال تيرا: لا تقلق يا سيد الأرض.. بمجرد نجاحنا في صناعة السوبر مين.. سيخف الضغط عليك.

لماذا تحتاجون إليَّ إذن؟.. أنا بشرى ضعيف من حق أي مريخي اعتلاء مؤخرته.

fb/mashro3pdf

أخذ تيرا الأوراق من يده.. فكر قليلاً في سؤال عبد الجبار ثم قال: يبدو سؤالاً ذكياً.. لكنهم لم يخبروني على كوكبنا لِـمَ يجب أن يكون بشريٌّ هو السوبر سوبر مان؟.. سأنصرف.. انتظرك في القصر.

بمجرد وصوله لباب الغرفة، أوقفت المريخي الفكرة الشيطانية، توقف "ماذا لو كنت أنا السوبر سوبر مان؟"... جسد المريخيين يصلح كي يتحمل قوة السوبر مان.. لماذا منحوا ذلك التافه الأرضي فرصة أن يكون كوكب بأكمله على شاكلته؟

لكنه قرر أن يطرد الهواجس، وينصرف.. فكر في الموت الذي يُفرض على كل من يخالف النموذج في المريخ.

عبد الجبار، الذي باع مؤخرته –أخيراً– بثمن مُرضٍ.. قرر أن مهنة سيد العالم ليست سيئة.. هو فقط مشتت بشأن متاهته السابقة.. هل يواصلها؟. يقتل سارة والشاعر والجار الذي اتضح أنه المريخي؟

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

القسم الثانى

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الأحداث التي وقعت لحلزون مغامر

يرويها جو، أو كتبها في أوراق ووجدتها، أو أية حجة أخرى.

في الغرفة الضيقة، عديمة التهوية، يجتمع أشباح مسنون، يتحدثون كل يوم عن الفرص الضائعة للخلود، لدوام الفتنة، عن مخلص ينقذ الجسد البشري من الانتهاك.

في غرفتي الضيقة، عديمة التهوية، لم أكن أرى الأشباح، ولم أكن مشغولاً بالخلود أو دوام الفتنة، ولا أنتظر مخلصاً.

كنت فقط أتسلى بملاعبة عنكبوت، أنتظر كلما بنى غزله، المتربص بفريسة، لأهدمه وأتركه حيران يرقص غاضباً، ليبدأ من جديد في النسج.

اسمي جو، اختصار تقليدى لجوزيف، يوسف، قصة المفتون الفاتن الخالدة، رمز النبوة في قصة الغرائز الأزلية.

أما العنكبوت، فخبأ اسمه جيداً، وفضل الصمت، الفارق بيننا نحن البشر وبين الآخرين، أن الكلمات لا تقتل أحداً سوانا، رغم أنها كغزل عنكبوت، بيت من وهن.

أكتب الشعر، والشعراء يختارون الزوايا البعيدة عن مقشة العالم.

بيتي غرفة واحدة، معلقة بخيط طويل، غير مرئي، في سحابة.

جربت كل أصناف الطلاء، أتسلى من وقت لآخر بتلك اللعبة، الأزرق وحده يستدعى الغجري الذي كنته، ذلك المغامر، طواف العالم، الذي اخترق الممالك، وصادق جني سليمان.

fb/mashro3pdf

لا تطير الغرفة مع السحابة، تهبط من على خيطها غير المرئي، أحياناً، كائنات لطيفة، تستجديني أن أقطع ذلك الخيط، أن أحرر السحابة والغرفة.

كنت مشغولاً بملاعبة العنكبوت، فقدت الغجرى والرغبة في الطيران، الخيط الحقيقي الذي يربطني بأي شيء هو البقاء حياً، ولأن الجوع شخص كافر ولا يحترم نبوة الشعراء وفتنة يوسف، كنت أطرد الكائنات اللطيفة، ساكني السحابة.

لم أعرف بأمر الأشباح المسنين، الذين يجتمعون يومياً في غرفتي، سوى من طقم أسنان نساه أحدهم، كان الطقم ثرثاراً بما يكفي ليحكي:

"الأشباح ستحول غرفتك إلى مبنى ضخم أزرق، سيكون التصميم رائعاً ومبتكراً، أقترح أن يكون على هيئة متاهة".

"......."

"مصنع مثلاً؟ نعم، مصنع، أحذية من قشر الفاكهة، السادة لا يقدرون القشور، والبشر حفاة".

".........."

"الإنفاق على الخلود مكلف كما تعلم، ومخلِّصو البشرية، بشر مثلنا، يأكلون ويشربون ويلبسون، وبعضهم يدخن، من أين ننفق على المخلص المنتظر في رأيك؟ سنربح كثيراً من أقدام في العراء".

"............."

ثرثرته ممتعة، ومثيرة للضحك، حتى لو سددت أذنك، أو كنت أصم،

fb/mashro3pdf

أي طقم أسنان يفتح فكيه في فراغ مطبق، قادر على انتزاع الضحكات.

***

قدت حرباً في التاسعة من عمري بحثاً عن فراولة لا تجلب الحساسية.

كنت وسيماً، رأيت ذلك في صور الطفولة، جذبتني معارك الزمن إلى القبح، إلا أن صورتي عن نفسي، ظلت لذلك الولد الذي لا يشيخ، كبيتر بان.

لكن الأمور لا تسير على هذا النحو.

بأقل قدر من الكبرياء، أحاول الإيضاح: صرت عبداً ذات يوم، تحررت، تكرر الأمر، صارت حياتي هي ذلك الفخ، دوامة السقوط في الرق، وقتل السيد، الذي يتخفى دائماً في أشكال عدة، ناعمة في البداية، وتغري بالاقتراب، ثم سرعان ما تتحول إلى حبال موثوقة بإحكام، تعوق الرؤية، وتندس في مسام الروح.

الروح؟

يخيل لي دائماً أنها مجرد نكتة، أو حيلة لجسد آخر سواي، ضل طريقه إلى جسدي ليثرثر عن الفرص الضائعة للخلود، لدوام الفتنة، لخلاص الجسد البشري من الانتهاك.

الجوع، السيد الكافر، ملك الغرائز، الذي انتصر عليه نبى الله، لم أحمل منه سوى اسمه، لا تنصرنا الأسماء، ولا تقوى خيوط العنكبوت على فعل شيء.

fb/mashro3pdf

خرجت لشراء طعام، أحمل جنيهات قليلة، وخيالاً فقيراً، يضاعف من قلة ما أملك.

على مقهى، أخرجت قرطاس الطعمية، وجدت الأسئلة، رسائل الآخرين المخيفة، أجبت:

مفرد "آخرين": أنا.

مرادف "سوية": ألكسندرا.

جمع "عقل": جنون.

في ظرف، وضعت قرطاس الطعمية، الملوث بالزيت والإجابات، عنونته: إلى المخابرات الأمريكية، التي لا تصادق أحداً.

على هيئة صاروخ، طويت الظرف، ثم قذفته في زحام لا يراني، التقطه منقار يحمل لسان ثعبان، مطمئناً إلى وصول الرسالة، التي لم أنس أن أكتب فيها بالشفرة أن الأشباح ترغب في تحويل غرفتي إلى مصنع أحذية. مضيت في الطريق مستمعاً إلى تعليمات جون لينون: imagine (تخيَّل).

تبقى معي جنيهٌ، اشتريت به الكرة الأرضية من بائع متجول، لم يكن بائعاً، كان غجرياً مثلي، ربح العالم في رهان، وخسره بسبب نكتة، أما الحمار البائس الذي يجر بضاعةً كانت يوماً من مقتنيات هتلر والإسكندر وهانيبال، فقد كان فرسا شارك في معارك تحرير البيوت الزرقاء من غزو الأشباح، وانتهت بالهزيمة والتنكر.

حرصت أن أسير متزناً وأنا أحمل الكرة الأرضية، لكني تعثرت في حجر، فانسكب ماء الأطلنطي، وتحطمت أستراليا، وسقطت قبائل

fb/mashro3pdf

الباتشو، فدهستْها أتوبيسات النقل العام، أما الجبال فحررتها الدهشة واحترقت.

عدت بما تبقى من الأرض إلى بيتي، ظللت في انتظار الإشارة، أمي كانت تطبخ، جاري كان يضاجع، قدمي كانت ثقيلة، ألكسندرا لم تكن هنا.

***

الطفل جو، على مشارف الخامسة والثلاثين، يدمن الخمر والشيكولاتة، يشاهد أفلام البورنو بنفس حماسة مشاهدته لأفلام الكارتون. لم يختلف الأمر كثيراً عن الطفل الذي كنته في التاسعة من عمري، فجوهر تصرفاتهما كان واحداً، ففي المرتين اللتين قابلت فيهما عروس الشمس، تصرفت على نفس النحو: أفلتُّ الفرصة.

***

عثر الشبح المسن على طقم أسنانه، فتوقفت ثرثرته عن مشاريع احتلال غرفتي.

جاءني الغجري الذي كنته، على ظهر الفرس، كظل في الحائط.

كان شاحباً من أثر بكاء، ألكسندرا تاهت من كلينا كعروس الشمس.

قال الغجري: انتظر الإشارة ولا تسلّم دمك لأحد.

fb/mashro3pdf

ثم مضى.

لكن الأشباح صارت أكثر صفاقة، فلم تعد تخشى أن أراها، كانت تتحرك بحرية.

لم يعقْها شيء، إلا خيوط عنكبوت اصطاد منها ثلاثة.

لم أعهد صديقي العنكبوت بتلك الشراسة، كان كديدن الضعفاء، خاملاً ينتظر لحظة القنص، ويختار زاوية بعيدة عن مقشة العالم.

لم أتدخل، امتطى العنكبوت ذبابةً وبدأ في إطلاق السهام لمحاربة الأشباح التي استحضرت خبرة غزو البيوت الزرقاء.

التصقوا في الخيوط، كل محاولة للإفلات، هي التصاق أقوى.

تلك هي المرة الأولى التي أتأمله فيها، ذلك الضعيف الماكر، لم كان يتركني إذن لأهدم غزله دون أن يشهر سيفه مكتفياً برقصة الغضب والحيرة؟

كان وسيماً، إن كان من الممكن إطلاق ذلك الوصف على عنكبوت.

ثمانية أرجل تصلح للجري والغزل والرقص، ثمانية أعين، يستخدم اثنين منها كمنظار للتلصص والمغازلة في حالة السلم، وللمراقبة والتربص في حالة الحرب.

لم يبد عليه رغم حالة الحرب التي أعلنها، بارتداء خوذة وامتطاء ذبابة، أنه لا يعرف سوى القتل، بل فتىً أسمر ورشيق، ومضاجع بارع، مهووس بالحياة.

fb/mashro3pdf

أخرج الشبح الأول طبقاً كدرع لصدّ السهام، بينما استعان الثاني بشوكة لتمزيق الخيوط، أما الثالث الّذي بدا عليه أنه كاهنٌ لقبيلة منسية، فبدأ في قراءة تعاويذ غير مفهومة، على الأقل بالنسبة لي.

العنكبوت الضعيف، الهش، لم يفلت فرصة قتال كهذا، طار بفرسه نحو الثلاثة، ثم خلع خوذة المحارب، وارتدى قبعة راعي بقر، قذف أنشوطةً، التفّت حول رقبة حامل الشوكة.

جذبه بعنف نحو قفص فولاذى، تكة قفل، أعقبها صيحة انتصار، هرب الكاهن، لكنّ تعاويذه ظلت تدور في الهواء، حروف غريبة متفرقة، مسمومة حتى لو بدت بلا تأثير، أما حامل الدرع فسلّم الطبق، وطلب الرحمة من العنكبوت، الذي ركله في مؤخرته، بعيداً عن الغزل.

رفع العنكبوت راية منتصر، رقى نفسه إلى رتبة جنرال، صفر بفمه لحناً حماسياً، كافأ نفسه بجرعة شراب، عرفتُ بعدها أن العناكب تسكر أسرع، ثمانية أرجل، التهبت كلها بالرقص، على أنغام تبحث عن شريك، ثم قفز عدة قفزات في الهواء قبل أن يباغتني: هل صورت هذا؟!.

أدار ظهره قبل أن أجيب، ومضى لتجهيز التوابل، وإعداد السلطة على شرف شبح مسن.

***

أمي غادرت أمس بصحبة ملائكة، وتركتني وحيداً بصحبة عنكبوت،

fb/mashro3pdf

كلاكس السيارات في السماء بلا أصوات، نجحت الملائكة في مغازلتها، عرفوا نقاط ضعفها، أعوام كثيرة بلا رجل، تجعل مهمة الملائكة أسهل.

أمي ستعلمهم الرقص، الطبخ، التجاوز، وستحصل على توقيع شخصي من المسيح، نجمها المفضل.

لكنها لن تأكل الفراولة التي لا تجلب الحساسية، لن تضع في فمها ما لا أستطيع أن أضعه في فمي.

في التاسعة من عمري، غرست سكيناً في الطاولة، لأميز الرسالة "الفراولة التي لا تجلب الحساسية، موجودة في الأرض وليست في الجنة".

أبي تألم كثيراً بسبب تركي للمنزل للبحث عن الفراولة، حتى إن صانع الكلمات الذي نحتفظ به في أفواهنا، هاجر يائساً من المرارة، وترك له صندوقاً من الأحرف العاطلة، فاضطر أبي لتأجير عازف بيانو، لتكف حنجرته من ذلك الحين عن الحديث، وتبدأ في العزف.

قال الأطباء إن ذلك كان دفاعاً نفسياً من صدر مليء بالإيمان، لأنه تحدث للأم الرب كثيراً، لكونه لم يوفر لابنه فراولة لا تجلب الحساسية، لذا اكتفى بأن يحول صندوق الأحرف إلى صندوق موسيقى، ثم غاب بعدها في متاهة الجنون.

لم أعرف ذلك إلا عندما عدت من حربي، وحيداً، بدون الفراولة، بدون ألكسندرا الإيطالية.

fb/mashro3pdf

كانت تملك حرارة القرفة بالحليب، وعلمتنى كيف أطفئ ألم ضروسي بالقبلات.

إيطاليا، حذاء السيدة العجوز، غالي الثمن، على جسدى علامة منه، يملكها كل من وقعوا في غرام ألكسندرا، كانت السيدة العجوز تغار منها، رغم أن ألكسندرا لم تملك أبداً حذاء غالياً.

***

أعلم منذ صغري أن الانتصارات أمر زائل، لا شك، تشهد على ذلك الحرب التي قدتها في التاسعة.

تبقى الجروح أكثر أثراً من النياشين، لكن العنكبوت، أخطأ حين انتشى ورفع علمه الأخضر فوق بيته.

الأشباح عادت مرة أخرى لانتقام بدا أنه سيتميز بالشراسة، كانت تعاويذ الكاهن، حروفه المبعثرة، تحومً حول المنزل الهش، كانت آثار الاحتفال لا زالت عالقة، ولم يضبط العنكبوت خطوته بعدُ من أثر السكر.

كانت بقايا الشبح المسن، مغلفة بخيوط تحفظه من ألاعيب الهواء، وجبة تكفي عنكبوتاً هشاً لأشهُر.

على رأس دبابة من البلاستيك، تحركت فرقة مسرحية من الأشباح المسنين، نصبوا مسرحاً أمام بيت العنكبوت، وشرعوا في أداء أدوار مأساوية عن الحياة.

fb/mashro3pdf

العنبكوت السكران، أحضر مقعداً وجهز نارجيلة، وبدأ في الاستمتاع بالعرض، وهو يقضم من وقت لآخر قضمة من الشبح المسن، دون أن يظهر عليه إدراكه أن ثمة حيلة أو هجوماً منتظراً.

كان العرض يحكى عن بيت أزرق يتحول إلى متاهة.

كان البطل حلزوناً يحاول الفكاك من صدفة، يتألم، يبكي، يعترض، يثور.

يكتشف الحلزون، أنه مربوط بسلاسل خفية إلى كل شيء، وأن ثورته تؤلم الآخرين وتربكهم.

العنكبوت، من وقت لآخر، يخرج منديلاً، ويبكي متأثراً بالعرض.

شبح مسن يلعب دور شبح مسن في المسرحية، وجَّه النصح إلى الحلزون، بصوت عميق ومؤثر:

"صديقي الحلزون المغامر، الصَّدفة التي تحملها هي كل شيء، لا فكاك من القدر إلا بالولوج في متاهة، ولا فكاك من المتاهة إلا بالولوج في القدر".

بكى الحلزون، وركع عند قدمي الشبح الحكيم، وطلب التوبة، انتظم عقد العالم من جديد، وظلت الأصداف التي يحملها الآخرون مستقرة، ليعلن الشبح المسن انتصار الحلزون على الصدفة: بالاستسلام لوجودها.

أصوات تصفيق وصفير من جمهور الأشباح، لكن فيما الممثلون مشغولون بتحية الجمهور، كانت حبة طماطم قد قذفت في وجه الشبح الحكيم، بينما العنكبوت يهتف: لا أحب النهايات السعيدة.

fb/mashro3pdf

الدبابة البلاستيكية، حوت داخلها جنوداً تمركزوا حول البيت.

بدأوا في إطلاق نيران من الليزر، أصابت إحداها قدم العنكبوت السكران، ليصبح بسبعة أرجل.

لم أعلم خطته، كنت ألومه لأنه انتشى بالنصر، لكن العنكبوت الذي أصبح جنرالاً في المعركة الأولى، كان تحت إمرته، ابن العاهرة الماكر، جيش من النمل.

من شق خفي، هبط النمل على خيوط ليست من غزل العنكبوت، إنها خيوط الغزل التي تخص أمي، عمرها كله يساوي تلك البكرة، فلم تكن تطمح قبل حصولها عليها في أكثر من شراء السماء، بالصبر.

النمل توزَّعَ في أماكن استراتيجية، وصنع من بكرة الغزل مصايدَ وأقفاصاً للجنود، الذين اصطاد بدوره عدداً منهم بنيران الليزر.

جثث القتلى من الجانبين، كانت كقطع خارجة من رقعة شطرنج، صعدت أرواحهم في سعادة بعد أن خلصهم الموت من أسباب القتال، لا كراهية بين قتلى الحرب.

العنكبوت السكران، وجَّه فرقة من النمل إلى الدبابة البلاستيك.

ضحكات قائد الدبابة، من هجوم النمل، كانت قميئة ومؤذية، تشبه سخرية زملائي في العمل، من انسحابي عن الجمع.

قتلت ضحكات السخرية بعض النمل قبل الوصول، لكن اثنتين منها نجحتا في رفع علم العنكبوت فوق الدبابة، ماتت واحدة، ولحقتها

fb/mashro3pdf

الأخرى بعد أن بصقت على قائد الدبابة، التي تقدمت في غرور، نحو العنكبوت نفسه.

تركها تتقدم، وما إن اقتربت نحوه حتى هبطت مصيدة من غزْل أمي لتقتنصها.

قال العنكبوت، وهو يضحك ضحكة آل باتشينو في فيلم محامي الشيطان: مصيدة الغرور.. حيلة قديمة لكنها فعالة، ثم لامني مرة أخرى لأني لم أصور هذا كانت ميوله الاستعراضية تسبقه.

طارت فرق نمل موزعة بإحكام على هيئة ذباب، وبدأت في رشق الجنود، الذين تراجعوا خوفاً من الحصى المتطاير بلا رحمة.

موسيقى النصر بدأت في العزف، رقى العنكبوت النمل إلى رتب أكبر، حصل أغلبهم على رتبة عريف، بينما وُزعت رواتب سكّر لأسر الشهداء منهم، أما الجائزة الأكبر، فكانت حصول عشر نملات على لقب شهيد، رغم أنهم أحياء، وهو ما يمنحهن ميزة الحصول على جثث القتلى كوجبات.

العنكبوت، رفع صورة أمي على علم دولته الصغيرة، ثم أعطاني بكْرة الغْزل، قائلاً: أشياء كهذه لا تترك أبداً كطعام للحشرات والأشباح، فالمنح السماوية لا تتكرر كل يوم.

الأشباح الغاضبون، اختفوا.

لم أعد أسمع أصوات أطقم أسنانهم تثرثر عن شيء، خرجتُ لإرسال إشارة أخرى إلى المخابرات الأمريكية "كل شيء تحت السيطرة، لكن ثمة

fb/mashro3pdf

صوت قادم لمذبحة، أنقذوا عينى من الرؤية".

***

في الشوارع تعميني الروائح، رائحة ألكسندرا تفوح من الجاكيت، أهدتني إياه قبل لقائنا الأخير، "هنا رائحتى، إن هربتْ منك تلاشيت".

الجاكيت كان يفقد سحره رويداً رويداً، لم يتبق منه سوى ذلك السراب القاسى الذي تخلفه الروائح قبل استسلامها للموت.

بعينين خاملتين، ألتقط أثر محطة المترو، تغيم الرؤية أحياناً، أو تضيء، أرى محطة المترو ميناء يعج بسفن ضخمة تُقل الأشباح من أركان العالم الأربعة، وهي تحمل حقائب الموت، حقائب الإقامة، فيما يصطف سكان المدينة وعلى وجوهم ابتسامة الخلاص، يتكالبون على قطع التذاكر إلى الميناء الذي أتت منه السفن، محطة الجحيم.

لأسبابٍ كتلك أتأخر عادة على عملي.

لم أحب عملي ككناس، لكنها كانت الوظيفة الأفضل لظروفي كهارب من غزو الأشباح، وللاتصال بالمخابرات الأمريكية التي أخفت عملاءها ككناسين وراقصي تنورة وباعة عرقسوس.

لست كناساً بطبعي، بل إني لا أجيد المهنة، والسبب الوحيد لاستمراري فيها، أن لا أحد يميز الكناس الماهر عن الكناس السيىء.

تقلبت في مهن عدة، غجري، شيف، صانع أشكال: بالزجاج

fb/mashro3pdf

والصلصـال والطين، طبيب، دجـال، محام، وقائد جيوش بالطبع، لكنّ أفضـل مهنة حظيت بها كانت شرطي مـرور، لم تفقد تلك المهنة سحرها بالنسبـة لي أبـداً، ظلت صورتها أنيقة في مخيلتي منـذ طفولتي، لقائد يمنح الضوء لمن شاء ويحجبه عن من شاء بعصا مسحورة.

كانت عصاي تجعل العربات تطير، لكن الأشباح كسرتها واتهموني بالجنون.

أتحسس بَكرة الغزْل في جيب الجاكيت، عمر أمي الضائع، وأوقن أن لا مجنون سوى من أنكر سحر العصا.

ركبت عربة المترو، كانت مزدحمة بالأشباح، تجاهلتهم تماماً، الهيدفون في رأسي يقيني شر العالم، لا يخفيهم ولكن يجعلهم يتوقفون عن الصراخ، أسمع "I m not afraid" لإيمينيم، دائماً ما تنجح تلك الحيلة.

عمل الأشباح بسيط: التقاط كل ما يقع من البشر.. قشور الفاكهة.. النقود.. دبابيس الشعر.. الأعمار.. الذكريات.. الفرص.. الأحلام التائهة..

أعلم كل تفصيلة في ذلك العمل، في عمر ما، كنتُ أنا من أدرِّبُهم على مهنة الالتقاط.. لكن عندما تدخلت الماما.. وفرضتْ سيطرتها على "ماندورلا " مدينة الأشياء التائهة.. تغير كل شيء.. صارت مدينة تحمل قلباً أسود وشمساً قاسية.. وتحولت مفقودات الناس إلى نذير بتدمير عالمهم.. بعد أن كانت تُستخدم كوقود يعطي أهل المدينة أعماراً لتجربة

fb/mashro3pdf

كل شيء، حتى يصلوا لعمرهم المثالي بخبرة لا تفلت الفرصة، حينها فقط يأتي الموت بوجه مبتسم ونستقبله برضى وأدب جم.

كنتُ قريباً من الانتصار علي الماما بفرقتي الجوَّالة.. حتى جاءت ألكسندرا.. تائهة من إيطاليا.. حولتها السيدة العجوز إلى حورية بحر.. أعادتُها إلى طبيعتها البشرية بقبلة تعلمتها من حواديت الجنيات.. أقنعتني بالعودة معها.. لم أقاوم كثيراً.. تركت عالمى لتأكله أشباح الماما.. وجئت معها إلى عالم ينتحر.. دون أن أملك فرصة إنقاذه.. أفلتُّها.. ألكسندرا.. حورية البحرً. خسرتُ كل شيء.

في محطة المرج، صعدت فتاة، بساقيها عرج خفيف تحاول إخفاءه، بدا أن حياتها كلها تدور حول إخفاء هذا الفارق الضئيل بين الساقين، لكن في الواقع لم أكن لألحظَها أبداً لولا محاولتها تلك.

كانت فتاة عادية، محجبة، سُمرة وجهها لا تدهش أحداً، حتى إنك من الصعب أن تجزم بتلك السمرة، شائهة وسطحية، من أثر سوء التغذية ربما.

عرفتُ من حركة شفتيها أنها تتكلم بسرعة الضوء، وهي تحاول أن تشرح لركاب المترو أهمية شراء الأشياء المتناقضة التي تحملها في حقيبة بدا أنها لا تنضب أبداً: أقلام تنير في الظلام، شواحن بطاريات بلا أسلاك، ماسكات شعر، بدل رقص (!!)، عجينة سحرية لقتل الحشرات، فواحات لتعطير الحمامات، حقائب مدارس.. بدا أن لديها طريقة جذابة، عرفتُ هذا من وجوه الناس، التي بدأت في الاهتمام مع حيوية شفتيها وحركة

fb/mashro3pdf

ذراعيها الصاخبة، كأنها تُلهي الجميع عن حركة ساقيها البطيئة المحسوبة لإخفاء العرج البيِّن.

شيء ما جذب فضولي أنا الآخر، جعلني أخلع الهيدفون، غير خائف من الأشباح التي بدأت في التوقف عن الصراخ والاهتمام بعرض الفتاة، خاصة تلك الفقرة الأخيرة.

بصوت صاخب وفم مكور بآلاف الكلمات كانت تبيع معجزتها الصغيرة، هكذا بدا من حديثها الحماسي:

بطارية جيب، انتظر قبل أن تحكم، أراهنك بعشرة جنيهات، إنك تجد الأمر عادياً، هو بالفعل كذلك، في الواقع ليست اختراعاً مثمراً، فهي لا تعمل سوى بالطاقة الشمسية ولا تختزن الطاقة، كم مغفلاً يرغب في شراء بطارية لا تضيء إلا في النور؟ ليس مثمراً، ما فائدة شراءِه؟ العزاء، ستتذكر بها أن هناك من هو أكثر منك غباء، أنفق أحدُهم عمره لصنع هذا الاختراع الفاشل بجدارة، من الصين، اسمه تشي لونغ، أسماء الصينين كوجوههم تتشابه، وأنا أضيع عمراً آخر لبيع مخزون كبير من هذا الهراء، عزيزي العميل، لست وحدك، الأعمار كأسماء الصينيين تتشابه وتتبدد كعطر مسكوب، وأنت أفضل من هذا الصيني المعتوه، كان يملك محل بقالة، أضاعه من أجل إشارة خاطئة، صدقوني، أنتم محظوظون فأنا أبيع أكثر اختراعاته فشلاً على الإطلاق، تخيلوا أن لا أحد سيربح سواكم والسيد محمد الفار وشهرته لولو، مستورد كل هذا من بلاد الصين، إنه يتحكم بي، تماماً كما يتحكم فيكم رؤساؤكم في العمل. إنهم مقززون، أعلم،

fb/mashro3pdf

سادة مصيركم البائس، انتبه، هنا يكمن الربح. أنتم تحصلون على العزاء، والفار يحصل على النقود، وأنا أحصل على الفتات، الرجل الصيني؟ لا أعلم، ربما يحصل على قوته من الجنون، لقد جن تماماً، وهو ما وفر له مأوى وطعاماً مجانياً، والسيد الفار يملك كرشاً يناسب خنزيراً لا فأراً.. بشرائكم هذا ستتساوون مع السادة، ستربحون في عملية أغلب أطرافها خاسرون، ستتندرون بقسوة على الصينى المجنون، والفتاة التي ستنسون تفاصيل وجهها بمجرد مغادرة المترو، ستتذكرون خيبتها فقط.

قال أحد الركاب: لكني أذكرك، اشتريت منك مجموعة أقلام الأسبوع الماضى.. وعندما استعملتها لم تكتب حرفاً واحداً.. أريد نقوديً.

ردت الفتاة بتلقائية: كنت سأعيدها لك لو كانت الأقلام تكتب.

ضحك الجميع بمن فيهم المتذمر.

نجحت بالفعل في بيع عدد لا بأس به من بطاريات تضيء النور.. وكان المتذمر أول المشترين!!.

رغبتُ في أن أجرب، في حاجة ماسة إلى شراء العزاء، الإشارات الخاطئة، هي ما أفقدني -كذلك الصيني- كل شيء، لكني دهست تلك الفكرة في سماعات الهيدفون التي أعدتها.

شيء ما أقلق الأشباح بشأن تلك الفتاة، كانوا يتهامسون وينظرون نحوها بتساؤل أو بإعجاب خلعت السماعات مرة أخرى لأتنصت:

- حورية البحر الأخيرة؟.. تلك هي.. أقسم على ذلك..

- مستحيل.. إنها عرجاء وبلا أي ميزة سوى الثرثرة.

fb/mashro3pdf

– ومن قال إن الحوريات يختلفن عن النساء في هذا الأمر.

– أراهن بسبعة نجوم مشتعلة وخالصة الضرائب على أنها هي.

– أقسم بشرف الماما الكبرى على أنك أحمق.... آآآآآه.

– المسكين.. احترق..

الأشباح حمقى.. حورية البحر الأخيرة كانت ألكسندرا.. ولا وجه للمقارنة بين عروس الشمس وبائعة الهراء تلك.. ثم إن الماما لا تملك شرفاً يصلح للقسم.

أعدتُ الهيدفون، رفعت الصوت بما يكفي لإصابتي بالصمم، لكن تلك الرائحة التي اشتعلت من جديد في الجاكيت، أوقفتني مرة أخرى، رائحة ألكسندرا كانت كأنها حية من جديد "هنا رائحتي إن هربت منك.. تلاشيت".. هل من المعقول.. هي؟.. لكن لا.. هي لم تعرفني.. كما أن كل محاولاتي لتعليم ألكسندرا العربية كانت تنتهي بعرض مضحك.

عندما همت الفتاة بالنزول تبعْتُها دون تفكير.. العمل؟.. لا أحد يلحظ غيابي.

***

تبعتها من عربة إلى أخرى، حتى وصلت إلى محطة الإسعاف، كان ذلك سهلاً بخطواتها البطيئة، أغاظنى أنها لم تلحظني، دخلتِ الحمام، انتظرتُ بالجوار حتى خرجتْ ترتدي فستاناً أسود يقبّل الرَكبة، شعر

fb/mashro3pdf

أصفر، لم يقربها هذا لحظة من ألكسندرا، باروكة، خرجت أخيراً من متاهة المترو، تبعتها، تساءلت أين ذهبت حقيبة العجائب التي كانت تحملها، كان مكياجها متزناً كسيدة راقية.

ركبتْ تاكسي، ثم تاهت في الزحام.

أهذا كل شيء؟.

ليست ألكسندرا قطعاً.. عم أبحث؟ عن إشارة خاطئة أخرى؟.. هع.. فراولة لا تجلب الحساسية. سأعود إلى بيتي، حاملاً أطناناً من الفراولة سآكلها حتى أموت، قبْلها سأقتل ذلك العنكبوت الذي يظن نفسه جنرالاً، فليصنع الأشباح ببيتى ما شاؤوا، مصنعاً للحفاة، متاهة، العالم لم يلحظ غيابي، ولن يلحظه بموتي، ألكسندرا لم تصدّقْ تأثيري على أحداث العالم، انتقمتْ لي المخابرات الأمريكية، عندما غضبتُ منك يا ألكسندرا أكلتْ افغانستان، وعندما طاردتني الشرطة الإيطالية، احتلت العراق، صنعت من أجلي الزلازل وأجرت الفيضانات وأشعلت الحرائق وفجرت الكنائس ومحطات المترو، حذرتُ الجميع من أثر غضبي لكن لم يعبأ أحد، كأني لست هنا.

لم أطلب من الأمريكيين أن يأخذوا غضبي على محمل الجد، أشعر أحياناً بالخجل والذنب العميق، لكني طلبت منهم كثيراً أن يتوقفوا عن كل هذا الدم، هذا العالم قميء، لكني لا أرغب حقاً أن ينتحر، كل ما أريده أن تعود ألكسندرا إلي، ولو دقيقة، سأحتضنها فقط، وأخبرها بأني لم أقصد كل هذا الأذى، وأني لم أندم لحظة على تركي ماندورلا، فقُبلتُها

fb/mashro3pdf

كانت قادرة على أن تحيل رغبتي في الفراولة التي لا تجلب الحساسية إلى رماد.

عدت إلى غرفتي، كان العنكبوت يشاهد التليفزيون، قناة بورنو خاصة بالعناكب، غيرَ المحطة مرتبكاً لحظة دخولي، لم أعره اهتماماً.

جلست على أريكتي غير منتبه لا أفكر في شيء، لا أشعر بشيء، لا أتذكر أي شيء، فارغاً كعلبة البيبسي التي قذف بها العنكبوت الذي قال "ما أصعب الحياة دون شريك.. حتى لو كنت جنرالاً كبيراً وتهزم الأشباح ببساطة تدخينك لسيجارة.. الأنثى.. إنها سر العالم.. أتعلم؟ عندما ستأتي سيكون موتي.. لكني أنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر. أنا مضاجع بارع وستبكي على أنثاي كثيراً.. لا تخف لن أتركك.. ستفتقدني.. أليس كذلك؟".

تثاءبت، وبدأت في تقليب المحطات بلا هدف، وبلا رغبة في مشاهدة أي شيء.

"أموالك بدأت في النفاد، ولم تعمل هذا اليوم أيضاً؟.. قلت لك إن لا شيء يدوم.. المعنى الوحيد لأن تجني أموالاً كالتي جنيتَها في إيطاليا هي أن تفتح مشروعاً ما، لا أن تصرفها على الكسل.. يوماً ما ستجني ثمن هذا.. سيعضك الجوع.. ولن ينقذك أحد".

العنكبوت الوقح كان يردد كلمات أمي.. طفح الكيل.. أحضرتُ مقشة وذهبتُ لقتله، واجه الأمر بارتعاد ساخر جعلني أصمم أكثر.. لم ينقذه سوى جرس الباب.. ذهبت لأطرد القادم أيًّا كان.. حتى لو كان

fb/mashro3pdf

عمي الذي يزورني بدافع الشفقة والتلذذ بمشاهدتي أحتضر وأنا أقبل نقوده التي يدسها في قبضة يدي قبل رحيله.. لا أرغب في شهود على جريمة قتل أخرى.. ربما هو ذلك السمج الذي يصر على أن تركي لصوت التليفزيون عالياً يزعجه، ويسألني أن أراعي حق الجيرة.. أحمق.. لا أملك أي جيران.. فبيتي غرفة واحدة معلقة بخيط في سحابة.

لكنه لم يكن عمي، أو الجار المزعوم، كان فقط: ألكسندرا.. أكثر وزناً، وفي عينيها وحشية مخيفة، ألقُ جمالها لازال مبهجاً، كانت ترتدي سواراً لإخفاء جرح بعرض الرقبة، أعرفه تماماً: فأنا صانعه.

دلفتْ إلى الباب ببساطة، ألقتْ تحية المساء على العنكبوت الذي ابتسم ابتسامة إغواء، رافعاً قبعته الكاوبوي، وأشعل لها سيجارتها التي أخرجتها بمجرد جلوسها على الأريكة.

لم أنطق، جلست بجوارها منكِّس الرأس، قالت: كنت أعلم أنك ستجدني.. نظرت إليها مندهشاً.. فأكملت: ذلك الصباح في المترو.. البائعة.. تبعَتنى.. وكعادتك فقدتني ثانية.

علق العنكبوت: مغفل.

الأشباح تكومت في ركن السقف تتفرج على حورية البحر الأخيرة.. فيما التزمت هي الصمت.. رغم شوقي الشديد إليها إلا أن شيئاً فيها قد تبدل.. شيئاً لن يمنحني الغفران.

كان الفضول لرؤية عينيها يعتصرني، لكن الخوف جثم على صدري كجبل.. عيناها.. مأساتي.. بلّورتان سحريتان أرى فيهما كوارث العالم

fb/mashro3pdf

المقبلة.. أجبرتُها من قبلُ على ارتداء نظارة شمس نهاراً وليلاً لحماية عينيَّ من الرؤية.

"ألا ترغب في احتضاني؟".. قالت ألكسندرا.. ثم أخذتني بين ذراعيها.. أطلق العنكبوت طلقة من مسدس فاختفى الأشباح.. ثم انسحب بدوره دون أن ينسى أن يغمز لي.

"هل غفرتِ لي؟".

"لا أعلم.. من الصعب على شخصٍ غفرانُ قتله مذبوحاً".

".......".

"أنا في مهمة.. لا أكثر.. لا أقل"

"......"

"الإشارة اقتربت.. وكل ما عليك هو اتباع التعليمات".

"الأشباح تسمع كل شيء".

"ستنام معي.. تلك هي الوسيلة الوحيدة لنقل رسالة المخابرات".

"والعرج؟.. ساقاك كانتا الكمال ذاته"

"الكمال؟.. ومن منا لا يعرج؟".

كانت ليلة آلية.. بلا أشواق أو خيالات شبقة.. ألقت رسالتها.. ثم مضت بعد أن تركت لي بطارية لا تضيء إلا في النور (فيما بعد سأضاجعها آلاف المرات في أجساد نسوة أخريات أتحلل بعدها كلعنة).

"اتبع بكرة الغزل.. وحافظ على رائحتي.. دونها ينهار كل شيء".

fb/mashro3pdf

"أحبك"

"يكفيني القتل مرة على سبيل التجربة".

***

لست قاتلاً.. كنت فقط خائفاً.. أحمي عيني من الرؤية.. في عينَي ألكسندرا كان الشيطان، قابعاً هناك.. ينبئني بأخبار العالم المجنون.

كسرت نظارة الشمس التي أجبرتها على ارتدائها.. لا أريد أن أرى.. لا أرغب.. ولا حتى في العودة إلى هيئتي كغجري.. فقط كل ما أتمناه أن يمر النهار بلا أذىً والليل بلا ضجيج.

كنا عمياناً رائعين يا ألكسندرا.. حتى أضاءت الظلمة.. وعرف الأشباح أين تكمن نقطة انكساري.. عيناك يا ألكسندرا.. هل كان انتقاماً من صديقي القديم القرصان الأعور.

هو من اكتشفك في مدينة الأشياء التائهة.. وأنا لم أختطفك، بل العكس هو ما حدث.. لم أفهم غضبه أبداً.. فلولا المطر الذي أنبت بذورهم في رأسى لما خُلقوا.. بطل الحكاية يفوز بحورية البحر الأخيرة.. هذا بديهي فيما أعتقد.. كان دوره محدداً ورائعاً ليلعب دور الشر.. السيد الذي يقهره سيفي في النهاية.. أعلم أني كنت قاسياً بتجاهلي رغبته في أن يلعب دوراً آخر غير القرصان.. كانت ملامحه تصلح لأداء أدوار القديس والمرابي وبائع الروائح والعاشق الذي كسره ظله، مثلي تماماً.. لكني كنت أحتاج فقط إلى قرصان أعور.. يخون صداقتي ويتحول إلى عدو يتحد مع

fb/mashro3pdf

الماما ويقنع الأشباح بالانضمام تحت لوائها.. كانت الحكاية في حاجة إلى إثارة.. لم أظلمه.. ليلو التافه تحول إلى قرصان يملك الهيبة في ماندورلا والمال خارجها.. كانت اللعبة ملكنا جميعاً.. وهو أيضاً كان الملل قد عرف طريقه إليه.

لم أتيت يا ألكسندرا؟.. قلبتِ الطاولة وزهدت في كل شيء.. من أجل أن أصير فرداً في عالم شديد الاتساع لا يحتاج إلى تافه آخر لا يلحظ حضوره أو غيابه.

***

سحبني خيط الغزل، إلى شارع عادي يكتظ بقشرة الحياة، صخب من الألوان والمقاهي والمطاعم والأسواق، للتشويش على ضجيج الأشباح.

توقف خيط الغزل عند كشك سجائر، ابتعت علبة، وقفت حائراً، بعد أن انقطعت أسباب التراجع أو المضي قدماً، حتى لمحتُ علامة الماما، تكوي كف البائع.

نظرت إليه كأبله حقيقي.

قال: تأخرت.. استدر واطرق الباب ثلاث مرات.

خلف الكشك لم يكن هناك ما يدل على شيء، فقط جراج صغير مغلق، يحمل عبارة تقليدية: ممنوع الانتظار.

طرقت باب الجراج، انفتح ببطء، وما إن دخلت، حتى انغلق بشكل خاطف.

fb/mashro3pdf

لم يكن هناك سحر خاص، أو غربة–على الأقل مقارنةً بما رأيت من قبل، وتلك ميزة أن تتبع أثرك في الحيوات السابقة –مجرد عمال بعيون واحدة يصنّفون قشور الأشياء وكل ما سقط من الناس، من أغلفة الحلوى إلى الذًكريات.

لكل عامل شبح موكل بخصيتيه، كتهديد إذا ما قصّر أو تثاءب.

استقبلني طيفٌ بانحناءةٍ خجولة، انحناءة الأيام الخوالي لي أنا سيد القدر.

أعرفه، كان ومضتي المفضلة، رسولي، عرفت اسمه منذ اللحظة الأولى التي ولد فيها بماندورلا، سليزي، ومضة تأكل الذكريات وتحيلها إلى متاهات مرصوفة، كان الأظرف بين الأشباح، يحب الخس وإقناع التائهين بالذهاب إلى ماندورلا.

كنت وسليزي موصولين بالحكايات التي لا يخبو أثرها إلا ليتجددَ ثانيةً، حتى اختطفه سائق ميكروباص يدعى ليلو، تحول فيما بعد إلى قرصان. كنا قد رأينا أنه يصلح لماندورلا، بعد أن يجتاز اختبارها الأول: متاهة سليزي.

سخره سائق الميكروباص.

سليزي، خبير الذكريات الهائشة، تعمد تجاهلي تماماً فور انحناءته الخجولة تلك. حدست أنه خائف، كيف أجادت تلك الومضة الطيبة إمساك خصية، والضغط عليها للتهديد؟.

كان مثل الجميع في ماندورلا، يحيا على قشور الناس، ويجرب

fb/mashro3pdf

أعماراً بلا نهاية، لكنه في تلك اللحظة بدا شائخاً، يقضم كالآخرين من عمره.

شبحان حملا لي عملي طائراً، مقشة.. وأفرول.. ما الجديد؟.. هذا عملي الذي لا يلحظ أحد غيابه.. امتثلت، هكذا سحبنى خيط الغزل، من سيد إلى عبد، تعودت الأمر، الصعود والهبوط، دائرة لا تنقطع، ولا تقطع حد الملل.

لكن تلك المرة، لا أرغب حقاً في أن أعاود الصعود، أرغب في التلقي والاستلقاء على عتبة سيد يتحمل مكاسبه وخسارته بعيداً عن مؤخرتي، وعندما يستنفذ احتمالاته، سألقيه كورقة كلينكس، وأسخر من ديناصورٍ آخر فقد زمنه، أو تأتي الإشارة فأحطم أعناقهم بعنف.

أشباح يجرون أقفاصاً زجاجية، تحوي عمالاً عراة، كُتب على كل قفص تاريخ الأسْر وغرض الاستعمال وتاريخ انتهاء الصلاحية، لم تدوَّن أسماء العمال، فقط أرقام.

لم يبدُ على العمال، الحزن أو السعادة، الخوف أو الشجاعة، الأمل أو اليأس، فقط عيونٌ تحدِّق في هواء راكد، هؤلاء مثلي لا ينتظرون سوى الإشارة، ربما كانوا غجراً هائمين في حيوات أخرى، أو سحقهم الإغواء الأكبر في الحياة: اختلاق العالم. سادة مصيرهم، الشاهدون غير المرئيين في الأحداث الكبرى، قادة المشاهد الصغيرة، رواة ما يستحق الحكي.. نحن منتظرو الإشارة، أسرى وهمنا العادل.

مقشتي لا تكنس، مقشتي غربال، يفصل القشور عن تراب الأرض.

fb/mashro3pdf

سليزي، فتح الأقفاص الزجاجية، وسلَّم كل عامل أفرولاً جيداً، ثم أطلقهم للشارع.

تقدم مني قائلاً بخجل مفضوح: سيدي يرغب في مقابلتك.

ابتسمت، ثم تبعتُه متمثلاً هيئة الكناس الذي كان سيداً، ذلك مضحك، فمشيتي كانت مفتعلة، وحلت الشفقة مكان الإحساس بالدّين والاحترام في نفس سليزي، وهو ما تجسَّد في هيئته المتقلبة كومضة، دمعة تبلل إصبعاً وسطى كعلامة استهزاء.

حدست أن سيده هو القرصان، صديقي الأعور في ماندورلا، كل شيء كان مهيئاً لاستقبال ذلك كحقيقة، الآن سيعلن انتصاره، وأعلن صمتي.

وحيدٌ، كملك محاصر، يجلس في مكتب يكره الأجساد، ضيق كأنه صُمم لطرد الآخَرين، أكدَّ ذلك عتبةٌ مرتفعةً، تصعِّب موقف الزائرين.

كبر ليلو، صار بُحيرةً من الألوان المتناقضة والمجروحة، شعره، ملابسه، كرشه الذي يحيل الجسد إلى علامة استفهام مضحكة، هيئته الأخرى في ماندورلا كقرصان كانت أبهى.

جلست. أحمل مقشتي كسلاح في معركة لا تخصني، لكنْ بدونها لا معنى لحياتي.

"الماما.. أوصت بحضورك".

صمتّ، تأملت يده اليمنى، الخطاف المثبت مكانها، كانت دليلي الوحيد على أني كنت سيده، وعلى انتصاراتي الهشة يوماً، سرقها الأشباح

fb/mashro3pdf

من منزلي، لكن لم يسرقوها من ذاكرتي.

"هل تظن أن العنكبوت قادر على حمايتك؟".

كان يرغب فقط في أن أشيح ببصري عن إصبعه المقطوع، فعلت.

"لم تكن صدفة أن تقابل ألكسندرا في المترو.. صرت سيدها الجديد".

"محمد الفار؟.. مستورد العجائب من الصين!!".

"الماما اختارت لي الاسم والهيئة".

"ألم تكفِها ماندورلا؟".

ضحك بشراسةِ أحمق، ثم طلب حلبة وشيشة، ندمت على السؤال، ليلو لا يفكر أبعد مَن عضوه ومعدته.

"غداً تستلم عملك.. جمع القشور.. سليزي سيكون موكلاً بخصيتيك وسيعلّمك كل شيء عن عملك.. نعلم أنك كناس سيء، لكن لا نطلب منك أن تكنس".

"والمقابل؟".

"ستعود إلى ماندورلا"

"لا أريد"

"لا تملك أن لا تريد"

وأشار لي بأن أنصرف.

fb/mashro3pdf

ضغط سليزي على خصيتي أمامه، وما إن خرجت، حتى تركها واعتذر.

ألكسندرا انضمت للماما؟ وطلبت مني أن افعل؟ لا أفهم شيئاً، لكني فقدت ما يميزنى عن العبد.. أنتظر إشارة الغجري.. سحقاً لبكرة الغزل.. هههههههه.. عمر أمي الضائع... هههههههههههه... ماندورلا.. لكن من قال إني أرغب في العودة؟!

***

لم تكن خطيئتي الكبرى هي قبول ليلو في عالم ماندورلا، فقط، لأني ارتكبت ما هو أفظع.

لازلت أذكر كيف استمات سليزي لإقناعى بذلك الولد:

"ليلو ليس شراً خالصاً، فقط تلقى إشارة خاطئة.

عندما بلغ ست سنوات من عمره، وهي سن كافية ليتعلم المشي والنطق والكذب والتبول بمفرده، وتحديد ما يريده من الحياة، سأله صديق والده الضرير عن ماذا يريد أن يصير عندما يكبر، أجاب بثقة لا تناسب أعوامه الستة: سائق ميكروباص".

"تمنى ليلو ذلك فعلاً، لم يعبأ بسخرية الآخرين، لم يسمح لشيء بأن يعيق رغبته تلك، قبل أن تحطمها شهوة الحياة في أن تقتلع أوهامنا، لتحتفظ هي على الأقل بعقلها".

fb/mashro3pdf

"لم يصرخ في حياته سوى مرتين، عندما قاد ميكروباصاً للمرة الأولى في حياته، والمرة الثانية عندما سمع فيها هاجساً لعوباً ركب عقله كبرغوث وامتلك روحه كسوسة تنخر: أنت لم تنصت جيداً يا ليلو، لم تُخلق لتصير سائق ميكروباص".

"بسمل واستعاذ بالله من فعل الشيطان، وهي الحيلة التي لم تُجد نفعاً، استمر في حيلته اليائسة، حتى تسرب الشك: ربما كان نداء من الله ذاته، لم ولن يتسنّى له الوقت الكافي للتأكد، إن كان النداء من الله أم من الشيطان، خاصة أن النداء لم يقترح عليه اختياراً بديلاً".

"علينا أن نتدخل، هواجسه ستصرعه، علينا أن نحميه من إشاراته المخلوطة، ماندورلا مكانُ أمثاله، التائهين والحمقى".

"هواجسه بلغت مرحلة مؤسفة، كان يبدو من الخارج هادئاً، لكن من داخله كان يحتقر سائقي الميكروباص، وحمّلهم مسؤولية هواجسه، فبفضلهم، صارت مهنةَ من لا مهنة له".

لم يكن يرى أنهم دخلاء على المهنة فقط، بل على الحياة أيضاً: إنها مهنة من لا مهنة له، مهنة الموظف الذي لايكفيه دخله، ومهنة المجرم التائب، والعاطل الذي انقطعت به أسباب الرزق، العائد من دول النفط، وفاقدي المواهب، مهنة تعلمك أن تصير خشناً، سليطاً، جائعاً، محباً للسيطرة، أرأيت في حياتك أحداً –يقول ليلو– يحب سائق ميكروباص؟ إن الركاب ينتظرون خطأه بفارغ الصبر، ليدينوه، ليسخروا منه ومن سلطته الزائفة المؤقتة التي ستنتهي بنزولهم، بنفس الطريقة التي ينتهزون

fb/mashro3pdf

بها الفرصة لتملُّقه، ثم يقذفونه من نوافذ الذاكرة عند أول محطة، اللحظة التي يرفع فيها قدمه عنهم.

كان ليلو يرى أن على المهنة أن تتخلص من هؤلاء، أن لا تقبل سوى رخصة من كانت تلك مهنتهم الأولى وعشقهم الأزلي، أن تكون نداءهم الخاص. هكذا استعد ليلو لمواجهة مصيره كمجنون ومرتاب ووحيد في مواجهة العالم.

"هادىء ووديع، لإخفاء ذلك الإيمان الكبير بالدم، وأن الحل هو ذبح كل سائقي الميكروباص".

"هكذا استعد للحياة، كضائع لا يبرح الخمر، ويسرتن على نساء وهميات، ويضرب سائقي الميكروباص في خياله".

"علينا أن نعبر به إلى الرصيف الآخر من العالم.. عالمه فسد.. وماندورلا تحتاج إلى من يقاتل معنا ضد الماما".

اعترض صديقي مولا حافظ الأسرار وقتها.. ماندورلا لا تحتاج إلى مخابيل جدد، المخابيل يسكبون الزيت في أوقات الحروب.

كانت العلاقة المتوترة بيني وبين ماندورلا هي ما دفعتنى لقبول شر بحجم ليلو في عالمنا.. الغرور والصلف ولا شيء سواه.. هو ما يجر البشر إلى تدمير ما بنوه.. كان مولا محقاً.

المرة الأولى التي تجلى فيها سليزي لليلو، كانت أثناء مشاهدة ليلو لفيلم القراصنة. ليس فيلم قراصنة الكاريبي، ولكن فيلم سكس اسمه القراصنة، يحاكي فيلم جوني ديب، ظل ليلو يسرتن ويسرتن طيلة ثلاث ساعات،

fb/mashro3pdf

كأنها المرة الأولى التي يعرف أنه امتلك عضواً يستطيع الانتصاب، حتى نزف دماً وأغشي عليه، ذهب به أصدقاؤه إلى المستشفى، عندما أفاق، أسقط الثلاث ساعات من ذاكرته، لم يسطع أمامه سوى مشهد واحد، المشهد الأكثر رقة ورمانسية في فيلم به الكثير من المشاهد الخشنة والمقرفة والغرائبية والمعجزة أحياناً، كان المشهد لامرأة بيضاء جميلة عارية لها ملامح رقيقة توقظ رجلاً نائماً بوضع حلمتها في فمه، تذكَّر ليلو ذلك المشهد، تمنى امرأة كتلك توقظه بوضع حلمتها في فمه، ساعتها فقط، سيشعر أنه إنسانٌ كامل، سينسى حقده على سائقي الميكروباصات، حينها فقط ظهر سليزي له للمرة الأولى كومضة قائلاً له: بإمكاني تحقيق ما أردت.

ثم اختفى ليفاجأ بحلمة الممرضة العارية في فمه، استيقظ على حلمتها، ليجد إضاءة الغرفة صارت حمراء خافتة، وحوائط غرفة المستشفى تتحول إلى رسومات لأوضاع جنسية وقطيع متحرك من الأثداء والحلمات، بينما ملابسه تحولت إلى ملابس قرصان، خلعتْها الممرضة بسهولة وهي تقبله بعشق حقيقي غير مصنوع كالذي رآه في فيلم القراصنة، كانت تلتهمه كشيكولاتة، بينما هو يعزف بقوسه في فرجها وهي تقول له: لم يشبعني أحد مثلك.. أنت أفضل من أن تكون سائق ميكروباص.. عضوك يخبرني أن شيئاً آخر كان نداءك الحقيقي الذي لم تسمعه.

عندما انتهى منها للمرة الثالثة، همست جميلته في أذنه: أشكرك. فارتجف من اللذة، لذة أعظم من المرات الثلاثة السابقة، لذة الإشباع التام لا الرضى.

fb/mashro3pdf

أعترف أن الأيام على نداوتها لم تمنعنا من استعمال بعض الأساليب الملتوية.

خرج ليلو من المستشفى بعد ذلك، ثم نسي أمر سليزي وأمر الممرضة العارية، ظنهما حلماً، لكن أثناء قيادته ميكروباصه، وبعد جمع الأجرة، لاحظ أن هناك أجرة شخص ناقصة، أوقف الميكروباص وأقسم ثلاثة أيمان غليظة أنه لن يتحرك من مكانه قبل أن يمسك بيديه أجرة الشخص الناقص، وبعد مجادلات وتملقات عديدة من الزبائن للتحرك، اكتشف أن جنيهاً فضة قد وقع من يديه أثناء تسلم الأجرة في الدواسة. اعتذر ليلو للزبائن، لكنهم انقلبوا كلهم ضده بعد أن أيقنوا ضعف موقفه، فنال وابلاً ضخماً من السخرية، كان يبكي في صمت، لأنه تصرف في لحظة غضب مثل سائقي الميكروباص الذين يحتقرهم، كادت ورقة التوت تلك تنكشف لولا ظهور سليزي كومضة. لتفوح رائحة جميلة داخل الميكروباص، جعلت الركاب ينسون أمر السخرية منه، وعندما علق الميكروباص في الزحام، وجد ليلو فراشتين ترسمان كوبري بنفسجيَّ اللون يمتد من عند ميكروباصه، فصعد فوقه ليعبر الزحام وسط تصفيق حاد من الركاب، الذين اعتذروا له، بل وعاملوه كما يليق بسائق ميكروباص أصيل لم يحترف المهنة لأنه لم يجد غيرها، بل لأنها نداؤه الخاص.

عندما عاد ليلو إلى بيته وجد سيلزي في انتظاره.

كنت أنا من أرسلته إليك يا ليلو، لأعوضك عن الإشارة الخاطئة. ستنقذ مع سيلزي الرصيف الآخر من العالم، من هجوم الماما.

بدا سليزي لليلو غير مقنع على الإطلاق في تجليه المفضل، جو: صبي

fb/mashro3pdf

في السابعة من عمره، له بشرة بيضاء كحليب لم يمس، وعين زائغة كأنها تبحث عن شيء تائه، كان يرتدي قبعة من قش لا تداري شعره الأكرت الكبير والأشقر الملفوف ككرات، وبين شفتيه كان يضع عود ثقاب، ويتسلى بمحاولة قذف وتلقف ثلاث تفاحات، فَشَل سليزي في تلك اللعبة جعل ليلو يضحك ساخراً.

قال له سليزي خجلاً: سأجيد تلك اللعبة يوماً، أنا ساحر جيد، تعلمت حيلاً عديدة، لكن لازالت لعبة قذف التفاحات صعبة بعض الشيء.

شرح له سليزي الأمر ببساطة: مدينة سحرية، كأنثى لها بهجة أربع فصول اسمها ماندورلا.

مدينة نسجت من خيوط رديئة، في الرصيف الآخر من العالم، لا شبيه لها، أجمل المدن على الإطلاق، رغم رداءة الخيوط إلا أنها جيدة النسج.

هناك نداؤك الحقيقي، لست سائق ميكروباص يا ليلو. أنت قبطان، تقود سحابة، ويأتمر بَّحارتُها بأمرك.

حاول سليزي أن يقذف ثلاث تفاحات ليلقفهن، لكنه فشل مرة أخرى، ثم قال: لا أمل في ذلك العالم، لا أمل سوى في الرصيف الآخر منه، إنها مدينتنا: مدينة الغرباء والشحاذين والمجاذيب والعشاق والحمقى والبنات المجروحات والتافهات، وكل من اختلط عليهم النداء واستسلموا للخيوط الرديئة.

كاد ليلو ألا يوافق.. لكن سليزي حسم الأمر: هناك لن تضطر أن تسرتن.

fb/mashro3pdf

كنت أعلم أنك ستوافق يا ليلو، أنا الرواي، لم تكن أنت الأول الذي وقع في غواية ماندورلا، الجميع وقع، وأنت لست الأول، أنت آخر من اخترته لمدينتي وآخر من أرسلت إليه رسولي سليزي، هناك جمعتُ أحبتي وأعدائي وذكرياتي ومن فقدتهم ومن سأفقدهم. هناك جميعهم، نسجت من خيوطهم الرديئة عالماً.

"لكن القاعدة واضحة من البداية، قال سليزي: أنت ستدخل إلى وهم كبير، لاحجة لك إذن لتنعتني بالمخادع والغشاش، أنا واضح معك منذ البداية، لاوجود لماندورلا، إنها خيال.

لكن حتى في تلك المدينة التي قُدَّتْ من وهم، لا تثق في الكلمات، ولا في من يجيد استخدامها، فهم محض سفلة."

ثم ختم سليزي خطبته بعبارتي المفضلة، التي فهمها ليلو لاحقاً:

"نفضل أن نكون سيمبا في فيلم "ليون كينج" إلا أن بداخلنا سكار، العم المخيف، المخادع، القاسي، الذي لا يهتم كثيراً بمصيرك قدر اهتمامه باستكمال اللعبة.

لا تأمن للكلمات."

لكن سيطرة الماما قلبتْ كل شيء، أغوت ليلو.. عرف أسرار متاهة سليزي، اختطفه وعاد ليقطف عالمي، ليحيله إلى متاهات، تضيع ألكسندرا وتقتل أمي بحسرتها على عمرها الضائع.

***

fb/mashro3pdf

الحياة معقدة، الكل يعلم هذا، حتى أن ذلك التوصيف، أصبح اكليشيه سخيفاً، كنت أظن أني اعمل لصالح الماما، حتى يأتيني العون من المخابرات الأمريكية.

حصل الأشباح على غرفتي الضيقة، وحولوها إلى مصنع أزرق لتصنيع أحذية من القشور والذكريات، ومنحوني فيلا صغيرة، لن يظن أحد أن قاطنها مجرد كناس.

اصطحبت العنكبوت، الذي سلم أسراه من الأشباح.

قطعتُ أذن عبد الجبار، وضاجعت زوجته ريهام، التي حلت ألكسندرا بجسدها، لم أكن أعلم أني أسدي خدمة للمريخيين.

رسولهم تيرا، جاءني، شرح لي فضلي في مصنع السوبر مان الذي سيمنح السلام للبشر، وإدراكهم المتأخر بأن الجسد البشري لن يتحمل، فاستبدلوه بالإنسان النموذج، كان من المفترض أن يكون النموذج، هو عم عبد الجبار، لكنه قد هرم، فجاء عبد الجبار كهدية، بشرٌ على هيئة رجل راقٍ، يتشابهون ويحكمون البشرية.

المطلوب مني كان بسيطاً: أن أظل في خدمة الماما كجاسوس، حتى يستولوا على ماندرولا بجيش من الأطباق الطائرة والآلاف من عبد الجبار.

أرسلتُ إشارة للمخابرات الأمريكية: الحرب القادمة ستكون بين الأشباح والمريخيين.. أنقذوا الأرض.

انتظرت الـرد طويلاً وطويلاً جـداً، وعندما جاء، وكانـت المتاهة قد

fb/mashro3pdf

تعقـدت أكثر وأكثر، لم يزد عن تلك الكلمـات الغبية: اتبع بكرة الغزل.. وانتظر الإشارة.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

القسم الثالث

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الإله المغلوب

انتقال عائلة عبد الجبار إلى قلعة الباشا، حدث جلل بلا شك في تاريخ الأرض التي تنتظر الحرب الكونية الكبرى، التي يروج أنصارها أنها تحمل السلام لمقلب القمامة الذي تحمل كثيراً.

الولدان (التامر والشاهر) انبهرا في البداية، لكنهما سرعان ما فقدا الاهتمام، وعادا لممارسة حياتهما كما عرفاها في غرفتيهما الضيقتين، تامر غارق مع أفلام الليزبيان، وشاهر يحلم بالهروب من كل هذا الجنون.

لكن الأمور لن تعود إلى طبيعتها أبداً.

تيرا أقنع عبد الجبار بضرورة إخضاعهما للتعميد -قطع الأذن اليمنى-، وافق عبد الجبار مرغماً، ليس خوفاً عليهما، بقدر استهانته بهما. يعاملهما أحياناً معاملة مخنثين لم يعرفا شيئاً عن الحياة، التي تقنع الواحد منا بأنه

fb/mashro3pdf

امتلكها، ثم.. هوووووب.. تركبه، يكره لا مبالاتهما بالأفخاخ المنصوبة في الطريق.

عمّدهما تيرا نياماً، مبدِّلاً الآذان بأخرى بلاستيكية، آذانٌ مُحكمة، حتى أنهما لم يلحظا أي تبديل.

ريهام، انشغلت عن كل شيء بالأكورديون، كالمجذوبة. استعادت الباسورد، وعرفت الطريق مرات أخرى إلى ماندورلا.

عبد الجبار، لم يُبدِ حماساً حقيقياً لمشروع تيرا، ولا لتركة عمه الضخمة، همه كان مواصلة تفجير المتاهة المعدة سلفاً، سارة ثم الشاعر الرامي، ثم الجار الذي عرف أنه تيرا، أجل، قتل الأخير لوقوعه في نهاية المتاهة، يعرف أن خلاصه النهائي، سيكون بالقضاء على المريخي الذي جُعلت قرةُ عينه في حمّص الشام، كما أن حسابات القوة، ليست في صالحه الآن، ولا يعرف شيئاً عن المصنع الذي سينتج عشرات الآلاف من العبد جبار.

في اليوم الأول لبدء العمل، عرّفه تيرا على عمال مصنعه بوصفه المالك الجديد، عدد كبير منهم كانوا من بائعي حمّص الشام، الذين احتل المريخيون مكانهم لمراقبة الأرض.

قُسموا إلى مجموعات، أطلق على الأولى مجموعات الصيد، وهي المكلفة بتتبُّع المكتئبين والمقبلين على الانتحار والمجاذيب، وجلبهم أحياء إلى المصنع. المجموعة الثانية، كانت للذبح وفصل الأمخاخ، فيما تعمل

fb/mashro3pdf

المجموعة الثالثة على تقطير المعرفة التي دفعت تلك الأمخاخ للاعتراض على العرض، يسيطر على العمال عددٌ كبير من العلماء من مختلف الجنسيات، بل إن بعضهم من كواكب أخرى.

انحنوا جميعاً للمالك الجديد الذي سيصير عما قريب ملكاً، هتف أحدهم بحياته، فيما هتف آخر "بمائه المقدس".

عرف أن عليه أن يمنح دفقة من منيه كل أسبوع، كجزء أساسي من عملية التصنيع للنيو عبد الجبار، لم يكن يعلم أبداً أن لمائه كل تلك القداسة، إلا عندما رأى العمال يتلون صلوات، بدت له وثنية بعض الشيء، هو نفسه كان عليه أن يضرب عشرة أمامهم، بينما هم يصفقون بحماس، في انتظار المعجزة.

رغم أن الأجواء أعجبته بشكل أو بآخر، إلا أنه لم يكن يفكر سوى بسارة، النقطة الثانية في مأسأته.

أين هي الآن؟ فكر.

لعلها هرمت، تزوجت الشاعر الرامي وأنجبت منه سحالي، تتلون مع العالم، هل أبناؤها يعقدون المتاهة؟ هل عليه قتلهم.

بدأ في اكتشاف القلعة، لم تكن مجرد قلعة. كانت قرية صغيرة، معدة لتصبح عاصمة العالم.

شاهد مختبراً واسعاً، به آلاف الجثث المحنطة والمشوهة، التي تحمل لطشة من عمه الخروبي، جرب أن يأمر. أمر العمال بدفن تلك الجثث

fb/mashro3pdf

لتهيئة المكان للمزيد من التجارب على جثث يجب أن تحمل بصمته هو، لكن تيرا أمر عبد الجبار بالتوقف عن هذا العبث. فالمختبر لم يكن سوى متحف يذكر الجميع بالقربان الذي دفعته البشرية للحصول على المخلص.

فهم عبد الجبار الرسالة، هو يملك ولا يحكم، أهميته في منيه. قضيبه الذي بلغ الذروة والنضج بوصوله إلى سن الأربعين، ليس إلا ثور المزرعة.

لكنه بدأ يكتشف مزايا أخرى في وضعه هذا، مزايا تحتاج إلى التمرس والتدريب، وهي أمور عمد غريزياً إلى إخفائها عن تيرا، كقدرته على الطيران لارتفاعات قصيرة، وتعلُّمِه لفنونٍ من القتال. قرأ مرة أن العبيد الأفارقة كانوا يخفون إجادتها عن سادتهم البيض تحت ستار الرقص.

كما اكتشف قدرته على الانتقال من مكان إلى مكان قريب آنياً.

لكن كلها قدرات محدودة، عرف أن باستطاعته تطويرها. "سوبر مان حقيقي" قال لنفسه، لكن ينقصه المِران.

تذكر البلوك نوتات التي يدون فيها نظرياته عن العالم، للوصول للمبدأ الأقصى، الذي ينقذه من المتاهة، عاود مراجعتها، وتدوين المزيد من الملاحظات، كتب تلك العبارة "خلاصي الشخصي، أهم من خلاص العالم، على العالم أن يكتشف طريقه بنفسه، أما أعمارنا فأقل من أن تمنح الفرصة نفسها مرتين".

fb/mashro3pdf

بمجرد أن كتب تلك الجملة، امَّحت، أعاد كتابتها ثانية، لكنها امَّحت، ثم تبقت تلك العبارة "انتظر الإله المغلوب".

تأمل العبارة، قلب في البلوك نوتات كلها، امَّحى كل حرف ورقم ونتيجة، لم تتبق سوى تلك العبارة "انتظر الإله المغلوب".

قلب مئات الصفحات التي كتبها، سنوات من الحسابات والجمل البليغة وثمر الحكمة المعصور، كلها امحت و لم يتبق سوى فعل الانتظار من آمر مغلوب.

بعد دقائق من تأمله الملتاع في شقا عمره الضائع، اختفت العبارة اليتيمة أيضاً، وظهر رجل يشبه باباي، يقود قارباً صغيراً وسط عواصف، ويحاول التشبث بيأس، صورة متحركة، عليها شعار "لايف ستريم".

وجد في أسفل الصفحة، علامةً تمكنه من تقريب الصورة، زوم على الوجه. لم يره من قبل، لكنه بدا شاباً مجهداً يملك كبرياء مكسوراً، لم يشبه باباي، سوى في البايب وملابس البحار، والذراع الرياضية الضخمة، بعلامة الهلب.

فاجأه باباي الذي ليس باباي، بأنه ينظر في عينيه مباشرة، لم تكن نظرة تفحص، ذلك الشخص يعرفه، بل كأن رحلته الطويلة المنهكة في عرض البحر تلك، انتهت برؤيته لعبد الجبار.

لا يبدو كإله مغلوب، فكر عبد الجبار، بل مجرد تائه كبير، أبعدَ الصورةَ

fb/mashro3pdf

مرة أخرى، فلاحظ أن القارب يدور في دائرة، ولا يتحرك للأمام أبداً، وسع المساحة أكثر، لكن ذراعاً طويلة سحبته واختطفته للداخل، كانت ذراع أخطبوط، ألقت به على قارب البحار التائه، الذي ربت على كتفه وصاح بمرح: مرحباً بك في قارب الإله المغلوب.

أين أنا؟.. سأل عبد الجبار.. قال الإله المغلوب: حيث امَّحى عالمك القديم، وبدأت دائرة جديدة... حيث امَّحى سجني وبدأ انتصاري... ثم فكر في عبارته بإعجاب: ذكرني أن نفتتح كتابنا المقدس بتلك العبارة كآية، ستكون ملهَماً وأنت تبعثها للمؤمنين كرسول.

غضبٌ اعتمل للمرة الأولى منذ وقت طويل في نفس عبد الجبار، كان قد روض نفسه على أن يتقبل الأمور ويساير العالم، لكن هذا "الأحمق" المسجون في متاهة أفكاره، هل هو الإجابة التي ستنقذه من متاهته الخاصة؟ هل الخلاص في بحار مهزوم؟

شعر البحار بحسرة رسوله وغضبه، فبدأ في الشرح:

في الواقع لستُ بحاراً، لكني حبيس تلك الهيئة، حتى أستعيد قواي، وأخوض حربي.

بسخرية، رد عبد الجبار: قطعاً لست بحاراً، أنت من كوكب المشتري، جئتَ لتسيطر على الأرض، آسف، لتمنحها الخلاص.

قال البحار: يا ليت.. أنا حتى لست شخصاً.. أنا إله، قتلني جوجل، واتخذ مقعده فوق العرش.

fb/mashro3pdf

أنا ياهو، رب الأرباب.. سيد محركات البحث وملك الملوك.. غدر بي وحُبست في المتاهة.. لصالح ذلك التافه.

لم يستطع حتى أن يحفظ عرشه، بل صار عبداً، تستغله روحٌ مبهمة تُدعى الماما.

كان كل شيء في يدي، انتصرت على آلهة الصغار في وادى السليكون، حيث عباقرة الفراغ السيبري، لم تكن هناك خطوة أخرى متوقعة سوى القفز وامتلاك العالم.

وفي يوم تعميدي من الآلهة المهزومين، قفز ذلك البرغوث ليطلبني في مبارزة، ولأنه لم يكن سوى برغوث وافقت، لكنه كان طور بحثاً معقداً، أسماه البيج رانك، صرعني، وقفز نحو العرش، وقفز بي في المتاهة، قارب فوق البحر، كان يملك خططه أيضاً لاحتلال العالم برفق، قبل أن تستعبده الماما وتحوله إلى إله سابق مثلي، سلبتْ عقله قبل روحه، فصار مجرد مهرج، يتسلى به الفشلة والعبيد في ماندورلا، كمجذوب يظن نفسه مارشالاً.

لكن كعادة أي فاشل لا يجد عملاً فيحمل فكرة، لازال أتباعه بالملايين، ومنهم من عرف ألوهيته التي اكتسبها بعد هزيمتي في وادي السليكون، فشُيدت له الكنيسة وتليت له الصلوات.

متاهتك تداخلت مع متاهتي، لا خلاص لكلينا، إلا باتحادنا سوياً، أن أهبك من روحي، لتصير رسولي، العالم يحتضر وعليك إنقاذه. وما أن يستتب الأمر، تخلص من المريخيّ، وانقل إيمانك بي إلى النيو عبد الجبار،

fb/mashro3pdf

واقتحم ماندورلا مدينة الماما، وقاتل بجوار جو، معمِّدِك وقاطع أذنك، المخلص، واهب الحياة لكل هذا الجنون.

سأمنحك المعرفة، معرفة تجعلك أقوى من المرِّيخيين والماما التي تستعد للقضاء عليك، معرفةً تحمي مؤخرتك. لا يرغب المريخيون في نجاتنا، لا يريدون أكثر من مؤخراتنا.

سأل عبد الجبار: ولم ترغب تلك الماما في القضاء علي؟.

قال ياهو البحار: لأن شمس هلاكها قد سطعت، يوم قُطعت أذنك.

قبل أن يرد عبد الجبار، صاح ياهو: ما رأيك في تلك العبارة، هل نضمها إلى الكتاب المقدس؟.

عبد الجبار كاد أن يصفعه، لكنه تذكر وضعه كإله، حتى لو كان مهزوماً، وينتظر الفرج على يد فسل مثله، فضغط على نفسه، كي تخرج الجملة هكذا: لا أوافق على عرضك.. أنت مجرد فاشل كبير.

– وأنت مجرد عبد كبير.. سلم مؤخرته لسيده.

– وما الذي يدفعني لأن أسلمها لسيد سواه؟.. ثم إن لدي خططي.

– لن تستطيع قتله وحدك.. قدراتك تحتاج إلى المعرفة.

– أنا لا أحتاج إلى سيد جديد يدَّعي أنه إله. إنك لا تستطيع حتى تأليف كتاب مقدس.

fb/mashro3pdf

– صَدَقْت، ليس بإمكاني تأليفه.. لكنْ بإمكاني سرقتُه.. وأنت ستأتي به إليّ.

– أنت لم تفهمني بعد.. تيرا دفع لي ثروة مقدرة بالمليارات، وسيمنحني السيطرة على جيش من صورتي.. مؤخرتي مسعرة بشكل جيد كما ترى.

– ومتاهتك؟...

– سأجد سارة والشاعر الرامي وينتهى الأمر.

– ألم أقل إن متاهتك تداخلت مع متاهتي؟ لقد كان لديَّ أمل بعد هزيمتي، ولازال لدي كأي فاشل يحمل فكرة، بعض الأتباع.

– قدم عرضك.

– رأس سارة ومؤخرة الشاعر الرامى.

– أين هما؟

– في متاهتهما، تزوجا.. بعدما أتما الصفقة مع عمك بدفعك للجنون.. هي فقدت السحر وهو فقد الشعر. لم يجدا بضاعة سواي، الترويج لي.

حدث ذلك بالصدفة، كانا قد قررا احتراف النصب، كنت أرسل من آن لآخر رسائل استغاثة، أُخفيها تحت عنوان على غرار "هل ترغب في تكبير عضوك؟، "تهانينا لقد فزت بالجائزة الكبرى"... أشياء كتلك، يعاملها المستخِفَّون معاملة السبام، لكن الشاعر الرامي وزوجته التقطاها

fb/mashro3pdf

وبدآ في مراسلتي، كنت فرصتهما الذهبية للنجاة من المتاهة واكتساب بعض الاحترام.

بدأ في الدعوة لإنقاذ الإله المغلوب، لم تنجح في البداية، لكنهما مع الوقت نجحا في كسر حاجز المئة تابع، قبل أن يقررا تحويلها إلى ديانة سرية، أعدا لها الطقوس بناء على وحي مني، لكنهما بالغا في تقديره، ألفا كتاباً مقدساً ادعيا أني من ألَّفه، ينص على تقديسهما بالضرورة، ثم اجتذبت دعوتهم الآلاف من أجزاء مختلفة من العالم، جمعا على إثر ذلك ملايين الدولارات من أجل إنقاذ الرب المغلوب، ثم عقدا مؤتمراً سرياً في جزيرة نائية: حضرها مؤمنون بي من أركان العالم الأربعة.

الخبر وصل إلى الماما في قلعتها بماندورلا، أرسلتْ مندوباً، يدها اليسرى، لأنه لا يملك خطافاً بدلاً من اليد اليمنى. يدعى القرصان.

كانت تواجه خطراً في ماندورلا، حيث يقطن جوجل، كانت سلبته روحه وعقله، لكنها لم تسلبه فكرته، فالجماعة التي تنتظر جو ليحررها من بطش الماما، وجدت في جوجل رمزا لحريتها المسلوبة، فمنحوه رتبة إله من جديد، رغم أنه ليس أكثر من معتوه، واستطاعوا تحريره من سيطرة الماما. لم ينجح سوى في أن يظل رمزاً، لم يمنحهم سوى الأمل.

لذا كان من مصلحة الماما، أن يرتفع نجمي من جديد، لأواجه الخطر الذي مثله جوجل رغماً عنه.

كان عرض القرصان على سارة وزوجها الرامي، واضحاً، أن يبيعا

fb/mashro3pdf

للماما كل حقوق رعاية الإله المغلوب، أن أصير عبداً، باعوني بالتراب.

قال عبد الجبار: العرض ليس كافياً.

رد ياهو: ستحرر مؤخرتك.

ثم بدأت الأمواج في العلو، طردت عبد الجبار مرة أخرى من مركب الإله المغلوب، وبينما صورته تضيع في دوامة، كان يصرخ في عبد الجبار: العروض لا تتكرر مرتين، أنِقذ العالم، إشارتنا شخرة تغلق عين الشمس.

اختفى البحار، وعاد عبد الجبار إلى غرفته.

تحسس حريته/ مؤخرته، وفكر في أن الأمور ليست بتلك البساطة، وأن الخيارات المعقدة تحرمنا أحياناً من السيطرة على الحياة.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رسالة الماما

عرفت ريهام مع الوقت، طريق العودة إلى ماندورلا، حلمها الضائع.

فقدانها لكلمة السر، لم يكن سوى حيلة من القرصان، لتعرف بالطريقة الصعبة أن حياتها الأولى انتهت وإلى الأبد، وأن خلاصها في مدينة يقطنها الأشباح وإله معتوه.

في المرات الأولى، كانت تعاني من نوبات حمى وهذيان، تشعر باعصار يمد يده بعطف المنافق، لكن في المرات التي تلت ذلك، صارت هي الاعصار.

تدخل المدينة كملكة، لا كأسيرة. وهو الخبر الذي أساء للماما كثيراً.

لا شيء على لسان المدينة، سوى راهبة الأكورديون، تلك التي تغوي الحجر قبل البشر، (البشر كما تعلمون تعبير مجازي في ماندورلا، فلا يوجد بشر في تلك المدينة، بل أشباح وهواجس، علقت بمخ جو).

fb/mashro3pdf

لكن الماما، تلك التي تعرف كل شيء، وتقتل بحكمتها البالغة كل شيء، تعاملت مع الأمر برؤية عارف، بل شعرت بالفخر مع الوقت، رغم أن ذلك الشعور، لم يكن المسار المتوقع لقصتها مع راهبة الأكورديون.

كان على ريهام/ راهبة الأكورديون، أن تكون عبداً جديداً في مسبحة الماما.

لكن الأمور سارت على هذا النحو:

لراهبة الأكورديون قدرات، بدأت في اكتشافها مع الوقت، عند مضاجعة أكورديونها في برج، ينبت لها شعر طويل، طويل لدرجةِ أن أهل ماندورلا يغافلونها ويبدؤون في قصه، شعر من ذهب، حتى أن سَوقاً جديدة فتحت لشعر ريهام، لا لبيعه، بل لمشاهدته، معروضاً في أقفاص عصافير.

أما الموسيقى والتأوهات التي تصدر أثناء مضاجعتهما، فلم تكن سوى الحياة الأكثر غرابة من حياة أهل ماندورلا، كانت سحراً يفوق سحر تلك المدينة، أجمل مدن العا لم.

امتلكت ريهام أيضاً قدرات قديس، البركة تحديداً، كل فضلاتها من بول وعرق وبراز، كانت تحوي حساً كهنوتياً وملغزاً وسحرياً و... (اختر التعبير المناسب أو اخترع واحداً مناسباً).

الماما أرسلت القرصان إلى البرج، بهيئة مختلفة: هيئة عبد.

انحنى رغماً عنه في حضرة الراهبة، كان يحمل رسالة من الماما، رسم القرصان بإصبعه شاشة في الهواء، لم ترى ريهام الماما، لكنها رأت سُحُباً

fb/mashro3pdf

سوداء وبرقاً، بينما تتساقط الكلمات كمطر على الشاشة:

من الماما التي قتلت بحكمتها كل شيء، إلى ابنتي.

كل شيء بأوان، لدي مُلك أنت وريثته الوحيدة، فحكمتي التي قتلت كل شيء، لم تثنِ يد الماما التي وصلت كل شيء بكل شيء، حتى قتلتها حكمتها.

لكن لم يمت من أَنَجب، أنا أمك التي اختفت، وآمن الجميع بموتها، عداك.

كنتُ حورية بحر، قبل أن ألتقي أباك.

لا توجد حوريات بحر، لكن الخيال صنعها. أبوكِ لم يكن صياداً يبحث عن كنز، بل عامل في مصنع.

لكن هوايته الليلية، هي البحث عن الآثار، كان يعلم أنه يبحث عن سراب.

وأن الآثار التي يجب أن تسرق، سرقها الكبار بالفعل.

لم يكن يحلم بالعثور على سرابه، لكنه استيقظ ذات يوم صارخاً: لا أرغب في الموت.

كان الكابوس الذي راوده بسيطاً، خلاصته: أن لا شيء حقيقياً في هذا العالم. وأن ما يحدث حوله محض تمثيلية، لا معنى لشيء، لذا عندما أعد لنفسه فنجان القهوة، ومع أول نفس لسيجارته الأولى، عرف أن عليه أن يعدِّل صرخته، من: لا أرغب في الموت، إلى: أنا ميت بالفعل.

لذا بحث عن سرابه بيديه، عن شيءٍ ما يمنعه من الانتحار. قضى لياليَ

fb/mashro3pdf

طويلة في الحفر، جاب بلاداً لم تخطر على باله، أصبح زبوناً مهماً لدى كل السحرة والعرافين في المدينة.

في كل مرة، كانوا يقدمون إليه خارطة لا تصل به إلى شيء، وحكمة ملغزة، كلما وصل إلى مغزاها، اكتشف أنهم مهرجون.

لم يعثر على شيء. لكنه واصل البحث، كعاشق، بلا كلل أو ملل.

حتى وصل إلى عراف، قدم إليه كالآخرين خريطة وحكمة، لكنه طلب منه طلباً غريباً ليعثر على تمثال في قبو: أن يقدم إليه دموع حورية بحر في قارورة.

والدك لم يكن يهذي بخصوص قراره: أن يتبع الجنون عله ينجو من الوهم الذي تقدمه الحياة.

لم يعرف من أين يبدأ، لكنه كعادة المجانين، ارتجل، فعثر على جو.

طفل في التاسعة، لا يرغب أن يكبر كبيتر بان، ويبحث عن فراولة لا تجلب الحساسية، ذلك الذي ضاجعك ووهب زوجك الحياة والموت في متاهة.

لم تكن هناك حورية بحر، لكن جو اخترع لأبيك البحر والمتاهة. كنتُ أنا متاهة أبيك، حوريته، كل ما فعله هو قطع أذنه اليمنى.

كيف عثر جو علينا، كيف اخترع وجودنا؟ بالصدفة. فقط الصدفة هي ما أوصله إلى برزخ التراب والنار، ليفك أسر الأشباح والهواجس، والحكايات الخرافية في العقول، ليجعلها حقيقة. سيطر عليها في البداية، ثم جاء دورها لتهيمن عليه، وتحاول قتله.

fb/mashro3pdf

لكن الحكاية ليست جو، الآن.

وجد والدك نفسه فوق ظهر سحابة، كانت السحابة تخفي سفينة لا تظهر إلا إذا سارت في البحر. كان عليه ليجدنى أن ينقل شحنة من الكراميل، وأن يقايضها بشحنة أخرى مِن أفلامٍ لنجمة البورنو كاي باركر، وأن ينقلها إلى ماندورلا.

كانت تلك المهمة الأولى التي وضعها جو، في متاهة والدك الجديدة، التي سيجد في نهايتها حورية بحر، مفتاحه لامتلاك العا لم.

والدك، تخلص فجأة من أدائك كرئيس وردية في مصنع، وبدأ في التصرف كقبطان، حتى أنه أوقف السفينة، عند أحد محلات وسط البلد، ليشتري بايباً، فكل معلوماته عن البحر لم يعرفها إلا من كارتون باباي.

لكن الرحلة لم تكن باليسيرة، وكشفت المواجهة الأولى للسفينة مع حوتٍ مخمور، أن التصرف كقبطان لا يعني فعلاً أنك صرت قبطاناً، احتاجَ الأمر إلى ما هو أكثر من شراء بايب، فكر أبوكِ، وعرف أن الأمر الناقص، هو إيمانه بأن الأمر محض تمثيلية كما الحياة، لذا أمر بحارته، الذين لم يكونوا أكثر من رفاقه العمال في المصنع، أن يبدؤوا في تصويب المدافع على الحوت.

صرخوا: لا توجد مدافع في السفينة.

الحوت المخمور، ضرب السفينة بذيله، أصر والدك: أطلقوا المدافع.

الصرخة، أظهرت المدافع بالفعل، خرجت من رحم السفينة فجأة، بدأ البحارة، في الإيمان بقدرة قبطانهم، كإيمانهم بقدرته على إدارتهم في

fb/mashro3pdf

العمل، بدؤوا في اطلاق النيران، لكن المدافع لم تطلق نيراناً، فقط ألعاباً نارية، وأطباق جيلي.

شخر البحارة، لكن الحوت المخمور أعجبته الألعاب النارية، واهتزاز الجيلي أغرقه في الضحك.

لما انقلب على قفاه من الضحك قال: جو، الحقير، سيظل طفلاً حتى تلتهمه كاي باركر بفرجها، بلغ تحياتي لها.

ثم بصق على السفينة، قائلاً قبل أن يرحل: أنتم مثيرون للشفقة.

بلع والدك الإهانة، مصمماً على إكمال الرحلة.

في منتصف الطريق، قابل ملاكاً يحاول إصلاح جناحه، بإبرة وخيط.

قرر والدك أن يعطيه قليلاً من الكراميل.

أرسل له أحد البحارة، بطبق.

لكن الملاك رده.

فذهب إليه والدك بنفسه، وما إن اقترب بالسفينة من الملاك، حتى فوجىء بإعصار يبتلعه، وجد نفسه مقيداً وسط مجموعة من الشياطين والمردة، والإنس العالقين بذنوبهم.

ضحكوا أول ما رأوه: لقد وقع في الخدعة مغفل آخر.

عرف أن الملاك ليس ملاكاً، وإنما حارس قلعة كبرى، تملكها حورية بحر، تستغل الشياطين والمردة والمذنبين من الإنس، في أعمال السخرة، بعد أن تحولهم إلى اشباح.

fb/mashro3pdf

سأل: و لم ملاك؟

أجابوه: الفضيلة، أفضل غطاء للشياطين.

قبل أن يسأل والدك عن خطيئته، تقدم حارس القلعة، وجره إلى حيث تقطن صاحبة القلعة.

أول ما رآها عرفها: كانت كاي باركر، الساحرة، تماماً بهيئتها في فيلم البورنو "ذا إنديان". لم يرها في أفلامها الأكثر انتشاراً والأقل سحراً "برايفت تيتشر" وسلسلة أفلام "تابو".

عارية على العرش، تؤدي طقوساً غريبة أشبه بالصلاة، قوية، تملك الأثداء المحببة لأم وعاهرة، للمرة الأولى يراها في ذيل حورية البحر.

رفعت رأسها نحوه، فأصابته رجفة، لقد وقع في العشق، هي حوريته التي بشر بها جو.

لم تكن تلك الكاي باركر، سوى أنا، إحدى هيئاتي الأكثر اكتمالاً، أميرة البحار، وسيدة العرش المهدد بالفناء.

شخر القرصان الذي يعرض رسالة الماما على الشاشة، أطفأها ثم قال: لَمَ علينا أن نروي تلك القصة أصلاً؟، لم لَمْ ندخل في الموضوع مباشرة؟. لكنَّ لسعة كرباج من يد غير مرئية، أخرسته، ليستكمل نقل رسالة الماما، على شاشة في الهواء:

ركع والدك أمام عرشي، ركعة عاشق، فيما انتصب عضوه بكرامةِ من يأبى الركوع.

سألتُه: أي خطيئة اقترفت؟

fb/mashro3pdf

قال: تبعت سرابي.

قلت: لماذا أعطيت الملاك الكراميل؟

قال: بدا جائعاً.

قلت: لكنه لم يكن مُلكاً لك. كان عليك أن ترسله غير منقوص، لتبعث بأفلامي إلى ماندورلا. لقد خنت الأمانة.

تكلم عضوه الذي لا يعرف إلا الانتصاب: أي أمانة؟! أنت مجرد ممثلة بورنو.

قلت بهدوء: الرذيلة أفضل غطاء للملائكة.

ثم أمرت بحبسه في غرفة، وتقييده، وتعذيبه بمص قضيبه –صاحب الكرامة– لكسره.

لكنه تحمل أربعين ليلة، حتى كسرت كرامتي، وتجردتُ من ملكوتي وهيبتي، لأجد نفسي مجرد زوجة عادية في حي شعبي، بهيئة ممصوصة لامرأة تأكل أنوثتَها بنفسها، بعد تسعة أشهر، أنجبتك، وهو الأمر الذي اعتبره والدك امتلاكاً للعالم.

كرهتك منذ الطلة الأولى، كنت علامة خسارة ملكي. قبل أن أرحل، وأجد طريقي مرة أخرى إلى ماندورلا، وبقدراتي اللانهائية، نزعتُ منك الرغبة انتقاماً.

ربما لهذا، كنتِ أنت الوحيدة التي لم تؤمنْ بحكاية موتي التي أشعتها، بجثة أشعلت النارَ في نفسها وألقت نفسها من فوق السطح، والدك

fb/mashro3pdf

لم يتحمل موتي، وقرر المغادرة في أول قطار للموتى، ذهب بك إلى خالتك، لم يكن لها وجود، قبل أن أنزل إلى الأرض كامرأة عادية، كان من الضروري اختراع عائلة، كان لا بد أن تكون ثرية لتواجهي معها قصة سندريلا، الأجمل تخدم البَلَهَ والشر.

وجدتُ طريقي إلى ماندورلا، وطردتُ جو من عالمه الذي اخترعه، سلطت عليه عالمه، أشباحه وهواجسه، صار عبدها بعد أن كان سيدها.

لست قاسية القلب، أنا فقط أحرر العالم مما زرعه جو، أملك مشروعاً أفضل، فوق الفضيلة والرذيلة.

ليس للهامش وجود. الهامش تخيُّل. الهامش قوته في ضعفه، في زلاته، في اختراقه للمحرم، في اشتهاء الأم لولدها، والأخ لأخته، في المقاومة الضعيفة الهشة للغواية، ثم التحرر كليةً من الذنب، لم أكن لأعذب المذنبين لذنوبهم، بل لإحساسهم بالذنب.

الهامش، قوته في لا وجوده.

أنا ذاتي، لم أكن سوى هاجسٍ في عقل جو.

لكنَّ جو عاد وقتلني دون أن يعرف.

ألكسندرا التي أجبرته على قتلها، أقنعته بأن يرسل إليك طرد الحذاء الأحمر، الذي أتى بك إلى هنا لتقتليني بذنبي الأكبر، الذنب الذي لا تعلوه خطيئة، نزعي للرغبة من جسدك، الرغبة التي عاودْتِ اكتشافها هنا.

علمنا منذ اللحظة الأولى بالخدعة، لكنْ علينا أن نستغلك أولاً، في تغيير كل ما دونه عبد الجبار في بلوك نوتاته الصغيرة، كي لا يقع في المتاهة.

fb/mashro3pdf

ذلك التافه، كاد أن يفعلها، أن يصل إلى المبدأ الأقصى للحياة، مما يعني تدمير الخيال، وانهيار ماندورلا.

لم تعلم ألكسندرا، أنك ستصيرين واحدة منا، بقبولك لخيانة الزوج وتغيير خلاصه إلى متاهة جديدة.

ألكسندرا، الروح التي تهيم في عقل جو، تظن أنها تخدعنا، أعلنتْ خضوعها التام لنا، لكننا نعلم أنها تدبر خلاصاً لجو.

لم أكن أنوي أن أسلمك أي مُلك، كانت نيتي هي التخلص منك، لكن وجودك أحيا الذنب الأكبر من رماده، تسلل كسم إلى عروقي. لا خلاص منه.

أنا الآن أموت، إن لم يكن اليوم، سيكون غداً، ولا وريث لملكي سواك، لفرجي الذي ابتلع كل شيء، الذي يحرر العالم.

لا أملك نصائح لإدارة الأمر، ستعرفين طريقك جيداً، كل ما يمكن أن أذكِّرك به: لا وجود للفضيلة أو الرذيلة والخير أو الشر في الأمر.. نحن فقط نلعب، وعلى الخاسر أن يبتسم، وعلى الفائز أن يعرف أن اللعبة ستبدأ دورتها من جديد.

انطفأت الشاشة. كانت ريهام تتثاءب، بينما القرصان يهرش في خصيتيه، ثم انتبه فانحنى لمليكته الجديدة.

***

fb/mashro3pdf

بلّورة ألكسندرا

لولدَي عبد الجبار، تامر وشاهر، حياتُهما الخاصة، الأول كما أشرنا مدمن لأفلام الليزبيان، والثاني يبحث عن هروبه الكبير.

تيرا، رسول المريخيين للأرض، عمدهما بقطع الأذن اليمنى، دون أن يعرفا.

لم يلحظا الفارق في الآذان. كانت محكمة التثبيت وتشبه الأصلية إلى حد كبير، حتى أن كلمة "صنع في الصين" لم تكن ملحوظة.

لكنهما وبفضل قطع الأذن اكتشفا قدرات رائعة.

تامر، اكتشف أنه تمرس على الخيال طيلة حياته التي قضاها في مشاهدة أفلام الليزبيان، تمكن أخيراً من اختراق شاشة الكمبيوتر، ومضاجعة أي فتاتين تعجبانه.

fb/mashro3pdf

بينما استطاع شاهر، أن يجد نفسه في أي نقطة في العالم، فقط يلف الكرة الأرضية الصغيرة في مكتبه، ويضع إصبعه على نقطة عمياء، ليجد نفسه فوراً هناك.

لكن تلك اللذات لم تكن نهائية، كان عليهما العودة مرة أخرى، إلى قلعة الباشا، بعد أقل من ساعة.

شاهر لم يكف عن الضجر، حتى اكتشف الطريق إلى جو.

حدث هذا كعادة القدر: صدفةٌ تدَّعي السذاجة، ثم نكتشف أنها مجرد غرزة جديدة في الثوب المطرز بدقة.

عندما وقعت يده على نقطة عمياء وهو يدير الكرة الأرضية كعادته كل ليلة، لم يجد نفسه في قلب المدينة، بل داخل نفق.

وجده هناك، جو، بأدوات حفر، وخوذة من قش.

لم يسمع شاهر عنه من قبل. بل لم يرَ في حياته رجلاً بأذن كبيرة ومفلطحة، ورغم ذلك عرفه من اللحظة الأولى، وعرف ما الذي جاء به إلى هنا، عليه استكمال المهمة، الحياة المؤجلة لجو، التي قايضها بثمرة بطاطا.

سيرحل جو الآن إلى الرصيف الآخر من العالم، حيث لا يعيش الإنسان في كبد، حيث لا نعلم الكثير عن متاهات أخرى.

من آخر النفق، جاء الضوء ليرحل بجو.

تسلم شاهر/ جو الجديد، ثمرةَ البطاطا وأدواتِ الحفر.

fb/mashro3pdf

لجو ثلاثمئة عام في تلك الحياة، بدأها كثمرة مشمش حائرة، ثم قنديل بحر، ثم حلزون. دُهس في المرات الثلاث. قبل أن تتجول روحه في بدن قديس، ثم عاهرة، ثم رجل أبكم، ودهس في المرات الثلاث، ثم تحول إلى محارب وقواد، وبائع عرقسوس، ودهس أيضاً في المرات الثلاث، لم يستكمل في أيٍّ من حيواته خطته. كان يُدهس دائماً.

حتى تحول إلى صبي، بيتر بان الذي لا يكبر أبداً. كانت تلك هي حيلته الأخيرة، لاستكمال الخطة، هنا وجد برزخ التراب والنار الذي مكنه من إطلاق الحياة في هواجسه، لم يعلم أبداً أن تلك الهواجس ستصير المتاهة التي ستدهسه، وتحطم صدفة الحلزون، ليجد نفسه في الثلاثين بروحٍ عجوز، تقرضها الهواجس.

كان بإمكانه استكمال الطريق، ألكسندرا منحته الدليل: بكرة الغزل.

كانت تلك خطته، لكن روحه التي انطفأت، لم تستطع أن تستكمل الرحلة، كان عليها أن تجد جسداً آخر، جسداً يشبه تلك الروح، في الخروج من متاهة الجنون بالدخول في متاهة الجنون.

شاهر وجد نفسه رجلاً في الثلاثين، يحمل أذناً كبيرة وميتة، وفي روحه إثم قاتل حبيبته.

الطريق يبدأ من بكرة الغزل، إلى برزخ التراب والنار.

لكنه وجد نفسه في مسار آخر، كان عليه أن يحيا مشاهد قديمة في حياة جو الأخيرة، قبل أن يواصل الرحلة.

fb/mashro3pdf

مشاهد مبعثرة ولا تمثل الحقيقة، لم يعلم تحديداً، هل عليه أن يغير المشهد أم يعيد تمثيله.

في ايطاليا، لدى ساحر في كهف: يزيل اللعنة عن صبي وحورية بحر.

جثا شاهر الطفل على ركبتيه، ممسكاً بذيل حورية البحر، بينما الساحر، يلقي بتعويذة فك اللعنة.

تحول جو إلى شيف ماهر، وحورية البحر إلى ألكسندرا: أمهرِ مَن صَنعَ الأحذية في تاريخ العالم.

ولأنهما تعلما من الشمس، كان من السهل أن يجيدا الإيطالية، الأمر الذي تبقى من اللعنة، هو إجادتهما لكل لغات العالم.

الحياة الحقيقية، كانت ممتعة لجو، كعادة كل شيء في البداية، يبدو زلقاً ومغرياً لكن سرعان ما يمحوه قانون الهدس.

كانت حياتهما بعد العمل، مزيجاً من اللعب والجنس والفرح، كل شيء كان مهيئاً كي لا يندم جو على قرار عودته من ماندورلا وتنازله عن ملكه.

لكن سرعان ما انقلب كل شيء بسيطرة الماما على هواجس جو، وعالمه، الذي ارتد عليه بإشارة منها.

إيطاليا التي استقبلتهما في البداية كعروسين زُفا إلى الجنة قريباً، تحولت إلى سيدة عجوز وشمطاء تأكلها الغيرة.

جو، أصابته لعنة البصيرة، تهمس له الأشباح في أذنه اليمنى، عن

fb/mashro3pdf

مصـير كل شـيء، الكوارث تحديـداً، التي "لم يعرف أحـد حتى الآن هل كتبت على البشر لتطهيرهم من خطاياهم أم لتسخين الدراما، في المسلسل التركى الطويل المعروف بقصة العالم".

وصفوه في العمل بالمجنون، مهارته كشيف، لم تمنعه من التشرد، عمل كعراف في الميادين، لكن تجارته بارت لأنه لا يرى سوى النذير، بينما يبحث الناس لدى العرافين على البشري.

أفسد أذنه اليمنى، قتلها. فتراخت بثقل ما عرفت، لتصبح مجرد أذن كبيرة ميتة.

لكنَّ الماما كانت لديها خطة أخرى.

لم يعد يسمع الأشباح، لكنه يرى كل شيء في عين ألكسندرا فقط.

لم يصدق عينيها في البداية، أنكرهما، أجبرها على ارتداء نظارة الشمس، أثخن جسدها الجميل بالضرب، كان الجنون يأكله، صار بين خيارين، أن يفقأ عينيه، أو يقتلها.

ذلك ما كان على شاهر، أن يبدله، لتغيير مسار الحكاية، لهذا هو هنا، كي لا يقتل ألكسندرا، أن يغير خريطة البازل، وأن يجد مخرج المتاهة.

لكن شاهر قتلها، تماماً كما فعل جو، بسكين نحر الرقبة، لكن على عكس جو، فعل ذلك بقلب بارد، وعقل يفكر "كمخلص حقيقي، وليس كما يحكون عنه في الأساطير، قادر على التضحية بالآخرين، لا بنفسه لإنقاذ العالم"، اقتلع عيني ألكسندرا ووضعهما في بلورة صارت بفضل عينَي ألكسندرا سحرية.

fb/mashro3pdf

ما إن فعل حتى وجد نفسه في بيت جو، برفقة عنكبوت يقاتل الأشباح بمفرده. دهس العنكبوت.

كان لقرارات شاهر/ جو بارد القلب، مفعول السحر على مسار الحكاية – المعقد سلفاً.

فقد دلته بلورة ألكسندرا على شفرة متاهة الآذان على حائطه.

دهس جو العنكبوت، لم يقتله بل حرره من جسده الضعيف ليتحول إلى فيل أزرق قادر على الطيران.

وجد شاهر نفسه في ماندورلا، في قصر جو القديم، صدفة الحلزون القرمزية، شاهر يعرف طريقه، سيستعيد الملك الغائب، برفقة الفيل الأزرق، وبلورة ألكسندرا.

الخبر تسلل لماندورلا بين الحوريات اللاتي يسمينهن في الواقع، ساقطات، بينما هن حوريات طيبات، يتكسبن من عملهن بالأرض بتصوير أفلام سكس، طاقة تعينهن على استمرار الحياة، لذا يدعكن اللبن الفائر بأجسادهن ويلعقنه بألسنتهن، لا عن شهوة، لكن لاستمرار سر الحياة في أجسادهن الهشة في حقيقتها، لمقاومة قانون الفناء.

وصل الخبر إلى أمين المكتبة وحافظ السر، مولا.

لم يصدق تلك المرة، جوجل استفاق من غفوته كعبيط القرية، واستعاد نشاطه.

سليزي تحول إلى أبهى هيئاته: طبق جيلي، فيما فتش الذئب عن ببيونه الملون، بينما قدم ربيع ورفاقه عرضاً بالدراجات النارية.

fb/mashro3pdf

الاحتفالات البسيطة، لم تصل إلى ريهام/الماما الجديدة، فقد كان اليوم هو يوم تتويجها كماما، ظنوا أنها علامات الفرح والولاء لراهبة الأكورديون.

في بلورته الجديدة (عيني ألكسندرا)، شاهد جو الجديد مراسم التتويج:

السحابات تتشكل كأعضاء جنسية، تتضاجع بمودة يتغير إيقاعها، إلى عنف دام، تمطر سائل الحياة، مخلوطاً بقطرات دمِ أبكارٍ يكتشفن المنبع والمصب.

تظهر الماما/ ريهام بأياد أخطبوطية، واحدة تمسك بالأكورديون كعلامة تميزها، والباقي يوزع الرغبة في الأجساد الميتة، بينما يبتلع فرجها العالم.

أطلق القرصان صيحة أسد عجوز، إيذاناً ببدء الانحناء.

انطلق ثلاث وعول يؤدون ألعاباً بهلوانية، نصبوا سيركاً على هيئة الكرة الأرضية، ليبدأ المرح.

جو الجديد/ شاهر القديم، لم يشعر بألم من كس أمه الذي يحاول ابتلاع العالم، بل على العكس شعر بالارتياح، فقد تحررت من دورة اليوم الميت لجسدها الميت، (لم يخلط بين ذلك وبين واجبه المقدس بالقضاء على أمه لاستعادة ماندورلا).

قام سليزي الرسول بطلب البركة من الماما، وقرأ على الجموع المحتشدة، النص الذي يمنح الماما صكاً نهائياً باستعباد أعضائهم:

fb/mashro3pdf

باسم اللاشيء، الباقي فينا كجذر ناصع لكل شيء، تحكمنا اللعبة ولا نحكمها، أوفياء لبكرة الغزل، نتبعها ولا تتبعنا، تشيد مصيرنا كقصر من رمل.

تمنح الماما، بكرة الغزل، التي سرقتها من جو، ثم.... آآآآآآي

ضربة بالسوط من القرصان، جعلت سليزي، يتحول إلى هيئة مذيع في قطاع الأخبار: تلك التي امتلكتها الماما منذ قديم الأزل، بل اختراعها الذي يجعل أهل ماندورلا أسعد، ينتقل ببركة اللاشيء إلى يد الماما، راهبة الأكورديون العظيمة، التي حلت في كل شيء، وأحلت كل شيء... التي التي..

"كفى" صرخ القرصان، ثم سرق بكرة الغزل من بين فخذي الماما، واختفى.

تحول حفل التتويج إلى مأتم، واختفى العرش من تحتها لتسقط وحيدة وهي تحتضن الأكورديون، وهي تمتم بكلمات غاضبة، تحولت إلى غمغمة، اقترب منها الذئب الذي عرف هويته الجنسية بعد أن قابلها، اختطفها على ظهره وطار إلى كهفه.

قال الذئب: لا شيء.. أنقذك الرب من حفل ممل، كنت ستتوجين ماما جديدة، في طقوس تفتقد إلى الخيال، لم تعرف ماندورلا من قبل فقر الخيال، لو تم التتويج لانهار كل شيء.

قالت ريهام بصوت خافت: أريد العودة إلى مطبخي، فرجي لا يجوع هناك، لا أخشى فيه الدفء أو البرد، لا أعرف تقلبهما على جسدي،

fb/mashro3pdf

هناك مفتاح العالم، ملكة بلا طقوس خائبة.

قال الذئب: لو كان أحد منا يعلم أين الخير وأين الشر، لما كانت هناك حاجة لأن يخترع جو ماندورلا... لقد عاد، جو الفاتح ليسترد عرشه ويرد الألوان لماندورلا.

"يسترده مِن من؟"

قالت ريهام، رد الذئب: من الماما، لكن الآن لا توجد ماما، أنت الآن مجرد مسكينة تتوق لتقشير البصل.

قاطعته ريهام بشموخ ملكة: أنا الماما أيها الأبله، وسأظل.. ثم أطلقت من عينيها لهباً من ثلج، دب في أوصال الذئب وبدأ في تجميده ببطء سمح له أن ينطق: لم؟ نحن أصدقاء.

قالت بضحكة باردة كلهبها: لا تأخذ الأمور بحساسية.. نحن فقط نلعب.

تأملت أذرعها الأخطبوطية، وهي تستعيد نفسها في الجسد الذي تحول إلى فرج جائع، قالت: أجمل ما في الأمر أن المصائر هنا تتقلب بسهولة.

تمطعت لتتثاءب، لم يكن تثاؤباً كان إشارتها السحرية، ليستيقظ كل شيء، حورياتها الجائعات، اللاتي يسرقن ماء الحياة بادعائهن أنهن مجرد ممثلات بورنو جائعات.

تحولن من حوريات لطيفات، إلى قناديل بحر تنفث السم بلطف، وتضيء الطريق لعيني الماما الجديدة، الجائعة لامتلاك كل شيء.

fb/mashro3pdf

سجدن تحت فرجها الجائع، ونلن البركة بلحسه، بينما هن في الحقيقة يصببن رحيق ماء الحياة الذي جمع طيلة يوم شاق من العمل.

أعلنت آهةَ الاكتفاء، لتبدأ عهداً جديداً، تعرف هدفها بدقة: بكرة الغزل من القرصان، وبلورة ألكسندرا من جو العائدِ ليقتل، أو ليقتلها.

***

fb/mashro3pdf

القائـد

عرضُ ياهو -الإله المغلوب- على عبد الجبار، لم يكن رائعاً للحد الذي بإمكانه أن يحرك عبد الجبار، لينحو ذلك المسار، لكنه فاجأني وقرر أن يقبل العرض (لا يمكن التحكم في شخصيات رواياتك في هذه الأيام، لقد صاروا سيئي الطباع، كما أنهم يفتقدون للنضج).

لذا فبمجرد أن جاءته الإشارة (شخرة تغلق عين الشمس)، وهو ما ظنه السذج كسوفاً، هرع عبد الجبار، إلى الصفحة التي ظهر فيها الإله المغلوب كبحار عجوز، ظهرت له علامة الزوم أسفل الصفحة، كبّرها، بحر هائل لا يحمل أكثر من قارب وحيد. سحبته ذراع باباي العريضة، ليجد نفسه في القارب مع ياهو، الذي غير البايب، لشيشة.

قال: "لا أحد يقدّر الفحم الجيد، لا أحد يبيع الفحم الجيد، لا أملك المال لشراء الفحم الجيد".

fb/mashro3pdf

شد نفساً تلو آخر، بينما عبد الجبار يقتله الضجر، حتى سأله ياهو: هل تعرف كاي باركر؟

قال عبد الجبار بنفاد صبر نافذ: جئتُ لتنفيذ اتفاقنا، رأس سارة، ومؤخرة رامي.

تجاهل ياهو رده وتابع: لقد كانت زوجتي ذات يوم، قبل أن أكتشف حياتي الثانية في وادي السليكون، كنت مجرد عامل بسيط، يخشى الموت، ويقتل أمسياته بمسرحيات محمد نجم.

انتصب عبد الجبار: أريد أن أنصرف، سأعود إلى تيرا وأكمل مشروعه، لا فائدة من الحديث معك.

تابع ياهو دون أن يلتفت إليه: لقد فقدت هيئتها كماما اليوم، وانتقلت للعيش في جسد حلزون، ومنحت عرشها لابنتنا.. زوجتك، ريهام، تلك التي تفضّل مضاجعة أكورديون على ادعاءتها بأنها تحصل معك على الأورجازم... لكني تذكرت الآن.. أنت تبحث عن متاهتك، الماضي الذي يكبل قدميك، سارة ورامي ومن بعدِهما تيرا المريخي، الجار الذي خرق مؤخرتك في شبابك، ويمتلكها الآنَ برضاك الكامل.

عبد الجبار، لم يفكر منذ دخل الجنون حياته في ريهام، لم يسألها عن شرودها، وغيابها المفاجىء، كان يعلم أن عقلها اختُرق مثله، وأن حياتها لم تعد كسابق عهدها، لكنه لم يكن يهتم، على العكس، كان ذلك يريحه من ذنب زواجهما الوهمي، هما منفصلان منذ اللحظة الأولى التي أغلق عليهما فيها باب واحد، ذلك الباب الذي كان صريره وهو خارجٌ للعمل، يحدد المد والجز في العلاقة بينهما.

fb/mashro3pdf

هي الآن ماما متوجة على بلاد لم يفهم وجودها، ماندورلا، التي تكرَّرَ اسمها وحكاياتها. فكَّر، هل هي أكثر سعادة الآن؟ الإله المغلوب يؤكد ذلك، مع أكورديون.

هل هو الأكورديون الذي شاهده معها عدة مرات؟ هل هو مجاز لشخص بعضو أكبر؟ لكن ريهام لم تعرف الرغبة أبداً، يعلم أنه ليس مسؤولاً عن هذا، هي هكذا في كل شيء، ليس على السرير فقط، إن كان قد أدرك شيئاً عنها خلال السنوات الفائتة، فهو أنه ليس مسؤولا عن ذلك قط، بل لو كانت تكن له مشاعر، فسببها أنه منحها حياةً لا تضغط فيها الرغبة عليها.

هل يعود إليها؟ هل يكرهها؟.. لا يعرف، لكنه وجد نفسه يقول: ساستعيدها، فور أن أنهي متاهتي.

الياهو، لم يبد عليه أنه تفاجأ من رده... أخرج ريموت كنترول من جيبه، ونام على القارب، طالباً من عبد الجبار أن يفعل الشيء نفسه ليشاهد السماء الزرقاء، ضغط الياهو على الريموت، لتتحول السماء إلى شاشة تليفزيون عملاقة كانت تعرض مباراة.

كان ميسي، يراوغ القتلة في الملعب، فيعيد العدل إلى نصابه، ويؤكد لأولاد القحبة أن الخيال ممكن.

"البعض تخيل أن رقصة ذلك الولد، ليست بشرية، ربما للمرة الأولى يؤمن الكافرون أن للكائنات الفضائية وجوداً" قال ياهو، بينما عبد الجبار يتابع المباراة، غير عابىء بالمتاهة أو بخيانة زوجته له مع أكورديون، كان مشدوهاً بالرقصة.

fb/mashro3pdf

"لكنه ليس كذلك، إنه بشري أكثر من كثيرين يمرون في حياتك، دون أن تعرف أنهم قدموا من كوكب آخر، لقتل الحياة في الأرض. ظنوا أنه كذلك ربما بسبب جسده، الذي لا يبدو كمثال لبشر معلبين، إنه النقص ذاته، ضئيلٌ حدَّ أنك يمكنك أن تطويه براحة يدك، كان من المفترض أن يصير ذلك الميسي قزماً، لم يشرب من نبع الخلود، لم يتعرض لأشعة من طبق طائر، لم يُداوِه السحرة بالتعاويذ، إنه فقط مثلكم، لم تقتلوه، لأنه لاعب كرة تصادفَ أنه يمتعكم بأكثر الطرق مباشرة، ملعب وكرة وعدد لا بأس منه من القتلة، يحاولون ذبحه، هل سخر منكم أم من القتلة؟ كم مرة ذبحتم شخصاً مثله؟ الغريب أن خيالكم لم يذهب أبداً، لأن كريستيانو رونالدو ليس أرضياً، كلكم تبغون كماله، جسده المتناسق، خطوته الواثقة، وجهه الذي لا يحمل شكاً، بينما الخابور هو النتاج الأول لمشروع المريخيين في الأرض: السوبر مان. فَشِلَ فلم يعرفوا أين يخبئونه، فزيفوا له تاريخاً وجعلوه لاعب كرة، بينما هو في حقيقته: مجرد مشروع فاشل، يصلح فقط لإعلانات شامبوهات القشرة".

قال عبد الجبار: تحليل سطحي ومعلومات غير دقيقة، الحياة أكثر عمقاً من ذلك.

رد ياهو ببساطة: وما ذنبي؟. أنا مجرد محرك بحث، لا أحد يطالب محركات البحث بالعمق أو الدقة، ولا أحد يقدر الفحم الجيد.. ثم ضغط على الريموت كنترول، محطة تعرض فيلماً لكاي باركر، ليس فيلماً جنسياً. لكنها كانت تعرض فيلماً قصيراً عن تقلباتها من ممثلة أفلام بورنو، إلى حورية بحر تملك قلاعاً في السماء، إلى زوجة عادية تمضغ الأيام وتمضغها

fb/mashro3pdf

الأيام في حي شعبي بالقاهرة، إلى ماما متوجة فوق بلاد مغتصبة، إلى حلزون يخطو ببطء يتعارض مع سعيه لمغامرة تحبس الأنفاس، وتجعل الوقت شيئاً شيقاً.

انتهى الفيلم القصير بعبارتها الأهم: لا يوجد خير أو شر.. نحن فقط نلعب.

ضغطة أخرى على الريموت جاءت بسارة والشاعر الرامي، لم يكونا في برنامج تليفزيوني، كانا يعملان في ترويج منتجات ليلو السيد الذي يعمل عنده جو القديم، في المترو، ومحطات القطار، وعلى المقاهي: منتجات اللاشيء، بطاريات لا تعمل إلا في النور، مجموعة أقلام ملونة ومبهرة، لكنها لا تعيش لأبعد من كتابة سطرين.

كانا منهكين، ويخطون بسرعة نحو الشيخوخة، كانا يتلقيان الإهانات والسخرية، ببساطة من اعتادها، إلا أن سارة كانت أكثر حيوية مقارنة برامي، الذي حاول أن يبيع المنتجات عن طريق تأليف رباعيات شعرية بالعامية، لكنها لم تلق رواجاً، لإصراره على منح رباعياته تلك أصالة مَا يظنه شعراً: حيث يحشو عباراته الفارغة بمجازات واستعارات معقدة.

كيف وصلا إلى تلك الحالة، رغم ربحهما الملايين من بيع الياهو إلى الماما؟ لم يفرح عبد الجبار بذلك، بل على العكس شعر بالغيظ: لماذا سبقه الزمن؟ أي ميتة أبشع من ذلك قد يوجهها إليهم؟.

قال ياهو: أعرف ما تفكر فيه، لكن الانتقام هو المساحة الوحيدة التي لا يمكن التنبوء فيها بمدى خيال الانسان، أنت الآن تملك المليارات والعبيد، اذهب واشتر مصنع ليلو... ستصير سيدهما الجديد.

fb/mashro3pdf

أغلق ياهو الشاشة العملاقة، شد نفساً من النارجيلة: ربما كان لمصيري أن يتغير لو اشتريت يوتيوب قبل التافه جوجل.

فجأة هجم أربعة مريخيين، بقيادة تيرا على القارب. قفزوا على مؤخرة الياهو العجوز، بأعضاء ذكرية لا تلين، تشبه اليو إسى بى، فشخوا تلك المؤخرة التي –على عجزها– تمتلىء بالأسرار، وزعوا المعرفة عليهم.

بعد أن انتهوا منه، أجهزَ عليه تيرا بنفس السكين الذي قتل به عبد الجبار عمه.

التفت تيرا إلى عبد الجبار، وانحنى أمامه في تبجيل كأنه سيد حقيقي، بينما المريخيون الأربعة يغمزون بسخرية، على المسرحية الهزلية التي يؤديها تيرا.

قال تيرا: أحسنت يا سيدي، تثبت كل يوم، أنك أهل لتخليص العالم.

قال عبد الجبار وهو يرتعش: أتعد تلك خيانة؟

قال تيرا: قطعاً، في عالمك القديم: أنت خائن وابن شرموطة أيضاً، لكن منذ انتهى العالم وبدأ السحر.. نحن فقط نلعب.. ثم أن لا أحد يقرر أن يمتلك العالم دون قليل من الخيانات، ذلك قانون اللعبة.

كان عبد الجبار، هو من أعد كل شيء، أبلغ تيرا بالعرض غير المقنع للياهو، لم يكن عبد الجبار في حاجة إلى أن يذهب إلى الياهو، ليعرف مكان سارة والشاعر الرامي، لأن تيرا أبلغه، كانت تلك ضربة حظ لتيرا، فقدرات الياهو التي تسربت إلى المريخيين الأربعة، إحدى المهمات التي كُلف بها تيرا من قادته في المريخ.

fb/mashro3pdf

الشيء الوحيد الذي تكتم عليه عبد الجبار: هو أن في نيته قتل تيرا، الجار، إنه آخر نقطة في متاهته القديمة. لكن من يدرى؟ يظن أحياناً أن تيرا يعرف كل شيء، كمحرك بحث.

بعد أن انتهت مسرحية التبجيل تلك، تحول الاحترام في لهجة تيرا إلى أمر لعبد الجبار: انحن.

سأل عبد الجبار: لم؟

تحول الأمر إلى غضب: علينا أن نجعلك أكثر قوة، وأن تمتلك معرفة الياهو، ثم قال صارخاً: انحن.

دقت نظرية الاحتمالات مرة أخرى في رأس عبد الجبار: هل يمكنه النجاة، قلب الوضع؟، هل أخطأ بقتل الرجل العجوز؟ هل رمى مفتاح نجاته في البئر؟. ما الذى يقصده تيرا بالانحناء، هل يغتصبه مرة أخرى؟ هل يريد المعرفة؟ هل يريد حقاً أن يصبح السوبر عبد الجبار ويحكم شعباً من النيو عبد الجبار؟ هل يريد كل هذا أم فقط يرغب في القضاء على متاهته؟.

تقدم المريخيون الأربعة نحو عبد الجبار، أربعة أعضاء لا تلين، اغتصبوه، بينما الصدى القديم يتردد"كله إلا الأم يا بن الكلب".

هكذا انتقلت إليه المعرفة، وتغير مصيره عدة مرات، باغتصابه.

بعد أن انتهوا، لم يبك، لم يتألم، بل سأل تيرا عن واحدٍ "محبة"، وهو ما فعله تيرا عن طيب خاطر.

لكن لا أحد يستطيع أن يدرك ما الذي تغير في عبد الجبار، بعد أن نال

fb/mashro3pdf

المعرفة، تلك التي دفع ثمنها بشكل لا يمكن إنكاره، ياهو، ذلك العجوز الذي خانه، منحه خلاصاً مؤقتاً. أول ما بحث عنه: كيف تقتل مريخياً؟

كان الأمر يحتاج إلى الحظ ليجد الإجابة، وجدها في مدونة كتبها شخص ليسخر من مخترع صينى فاشل اخترع بطارية لا تعمل إلا في النور.

مدونة مهملة بلا زوار، إلا أنها بدت أمله الوحيد، لكن أين يجد البطارية؟ لم تكن بطارية عادية، كانت أداة قتل للمريخيين، تطلق ثلجاً من البيروكسيد، بكميات كافية لقتل فيل مريخي، لو كان عندهم واحد.

لكن الأمل يتبدد، عضو تيرا لازال داخله، يضيء باللون الأحمر، علامة اقترابه من الذروة، ولا وجود لبطارية، عندما ينتهي كل هذا سيشتري كل البطاريات في العالم.

لكن المعجزة حدثت، انبثقت نافذة جانبية من صفحة التدوينة، فُتح فيها فيديو: كان الرجل الصيني نفسه، المخترع.

نطق بالصينية التي صاحبتها ترجمة مكتوبة: أخيراً، وجدت من يفهم لم اخترعت هذا. خرجت يده من الفيديو، في الشاشة المرئية لعبد الجبار فقط، أعطاه البطارية، ثم أخرج مسدساً. وضعه على رأسه وفجر جمجمته بطلقة، لكنه مات سعيداً.

أما عبد الجبار، فلم يضع وقتاً، لم تكن البطارية تحتاج أكثر من وجود مريخيٍّ في الجوار، كان تيرا قد انتهى من "الواحد المحبة" الذي يعلم عبد الجبار وحده لم طلبه إن كان يبحث عن الانتقام. ضغطة خفيفة قتلتْ تيرا

fb/mashro3pdf

على الفور، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها عبد الجبار مريخياً يموت، لم يسقط واضعاً يده على قلبه، بل تحلل إلى أفكار، بائسة وذابلة، واحدة منها فقط كانت نضرة، أن يقتل عبد الجبار، وينقلب على الخطة التي أُرسل بها إلى هنا، فما إن ينتهي تصنيع النيو عبد الجبار، حتى يبدأ في مخططه الخاص ليصير سيد العالم.

المريخيون الأربعة، تراجعوا بعد أن هددهم عبد الجبار باستعمال مطر البيروكسيد، تلويحة البطارية جعلتهم يسجدون.

"الآن، يمكن أن يبدأ فصل أكثر واقعية في مشروع النيو عبد الجبار" قالها بثقة ومهابة زعيم، لكنْ من داخله كان السؤال يحطم أعصابه: هل أخطأ بقتل تيرا، قبل سارة ورامي؟ كان تيرا هو النقطة الأخيرة في متاهته أي مخرج له الآن؟.

رغم أن السؤال يكفيه للانشغال عن ما سواه إلا أنه وجد نفسه يصرخ "لا أحد يقدرِّ الفحم الجيد، لا أحد يبيع الفحم الجيد، أريد الفحم الجيد".

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حافظ السر

مولا لم يكن يعامل نفسه كأمين مكتبة، لذا رقَّى نفسه إلى رتبة حافظ السر. كان عقله مليئاً بكل الكتب الإلكترونية والأفلام والموسيقى في الكون الفسيح على الإنترنت، وهو المسؤول الأول عن جعلها مادة متاحة للجميع. الثورة التي سيحاربها الجميع باستثناء الجميع، بدعوى اختراق النظام وخسائر الشركات، هو الذي دسها على الشبكة العنكبوتية، ليضرب كل من أراد أن يجعل المعرفة حكراً على الأشباح. الاستنساخ اللامتناهي لما زرعه مولا أخفى الحقيقة، وجعل يده التي زرعت السكين في شرايين السادة، غير مرئية.

في حياته التي سبقت حضوره إلى ماندورلا، كان يعمل طبالاً في فرقة راقصة مغمورة. لم يكن يقرأ حينها، بل لم يكن يفك الخط، لم يكن يجيد سوى النقر، لم يكن يعلم شيئاً عن ديستوفسكي أو موزارت أو ستانلي

fb/mashro3pdf

كوبريك أو أي من تلك الأسماء التي سيتولى إحضارها، وهي العملية التي تطورت فيما بعد وأسماها "تعشير الثقافات"، يتناكح المعزولون أمام الشاشات، مع الصلب الحقيقي للحضارات، وليس مع قشورها، ليس مع الكولا أو الكنتاكي أو ستار بكس، هدفه النهائي الذي أقنع به جو هو خلق كائنات أخرى: أكثر تسامحاً وجرأة ومعرفةً وأقل عنصرية، القرصان وحده هو من أبدى اعتراضاً على مشروع مولا الطموح: لا يمكن نزع العنصرية من الإنسان، لقد خلق بها، من بين مليارات المواد المطروحة على الإنترنت، سيختارون أن ينكحهم ما يعزز أفكارهم عن تفردهم ككائنات مختارة، مايؤكد لهم أن الآخرين محض خراء ويؤكد احتكارهم للحياة.

لم يكن مولا، الذي كان يدعى عبد المولى في حياته السابقة كطبال، يعرف أنه منذور للمهمة الثقيلة، جلب العالم تحت قدمي العالم.

لكن ذات يوم، بعد انتهاء أحد الأفراح، ذهب إلى عشيقته، التي كانت تخلع كل عام سناً قديمة، وكان عليه أن يكسي فمها سناً ذهبية، ليخبرها أنها هدية الشمس.

طبعاً لم تكن عشيقته تصدّق حكاية الشمس تلك، كانت تعلم أنه طفح الكوتة ليجلب السن، لم تكن تهتم، طالما يأتي بها.

مولا لم يكن عاشقاً مثالياً كما يبدو على السطح الخادع. لكنَّ فم عشيقته نوجا، كان خزانة جيدة لتحويشة عمره، يوماً ما، عندما يكتمل الطاقم، وتخونه يده فتكف عن النقر، سيقتلع تلك الأسنان بأي طريقة.

لكن في هذا اليوم، وجدها مقتولة خنقاً، وفمها خاو من كل شيء، إلا

fb/mashro3pdf

السخرية من عمره الذي ضاع لسوء في التقدير، أي غبي يخبىء كنزه في أكثر فاترينة متاحة في العالم: فم امرأة؟

مولا، عبد المولى، الطبال، التافه، الذي لم يدرك سر حياته بعد، سأل نفسه السؤال الذي كان يهرب منه منذ بدأ تخزين حياته في أسنان عشيقته، ما الذي كان يعنيه بالحصول على أسنانها بأى طريقة، هل كان سيقتلها كالشخص الذي سرق عمره، في خبطة؟

للحظات كاد أن يصدق إجابة أكثر راحة: بالقطع لا.. لا.. أو ربما.. احتمال ضئيل.. ثم سرعان ما تأرجحت الإجابة نحو مؤشر الربما، ثم انتقلت إلى الرصيف الآخر من الميزان: قطعاً نعم.. كنت سأقتلها، عمرها مقابل عمري. انتبه إلى رائحة لبن الذكر الذي عاشرها ثم قتلها، أو هكذا خيل له ليبرر حقيقته الأولى: ليس طبالاً، لم يكن أبداً.. إنه قاتل، هو من قرر موتها منذ وضع عمره في فمها.

نظر إلى الجثة، وأكمل عملاً رأى أنه مازال قابلاً لبلوغ الكمال، مثَّل بجثتها، اكتشف جنيناً ميتاً، لتبدأ الحقائق بالجنون والرقص.

انتزع الكبد، ثم خرج إلى الشارع: بيده اليمنى طبلته، وباليسرى يعلن انتصاره على الوهم، ثم بدأ في النقر، والدماء تفوح كرائحة شهية من جسده، تمتزج مع العرق والجنون لتصنع الطريق الأول إلى ماندورلا، حين رأى سليزي الرسول يتراقص كشبح، ويحيل الشماتين إلى سميعة، والمرعوبين من جنونه إلى جمهور منتش، والحجارة التي تقاذفت على جسده إلى نقطة، أما عواميد الإنارة، فتحولت إلى راقصات، تتحكم طبلته وحدها بإيقاعهن، العالم كله ملك نقرة يده.

fb/mashro3pdf

لكنه لم يعرْ بالاً لسليزي رسول ماندورلا، اعتبره تفصيلة أخرى مبهجة منحها جنونه في سخاء.

الجنون أعفاه من الموت. في مستشفى المجاذيب، كان أكثرهم صمتاً، لا يلحظ أحدٌ وجوده، إلا عندما يشتم رائحة الدم. يصبح مرئياً كالشمس، وهائجاً كقضيبٍ عفيّ.

عُزل، وكُهرب وضُرب، وظل متمسكاً بوحدته، حتى لو لم يفهم أحد إشارة الدم.

في عزلته، تسرب خيط من النور من عقب الباب، خيط يحمل شكل سريان الدم، ورائحتة.

لم يكن خيطاً، كان سليزي الرسول، يعرض فرصته الأخيرة على الطبال القاتل، للإفلات من الجنون كوصمة، وتحويله إلى شرف، وطريقة حياة.

إقناع عبد المولى، كان أسهل من إقناع ليلو، لم يكن يملك أي خيارات خارج العزلة، كما أن شُرب الدم، لم يكن محرماً في ماندورلا، بل كان هناك نهر من الدم، اخترعه له جو خصيصاً، كي يشرب منه مولا، وهو الاسم الذي لم يختره عبد المولى، ولم يعِدْ به جو ولو على سبيل دخوله إلى العالم الجديد، لكن ماندورلا هي التي اختارته له بعد أن تعرف على حكايته بنفسه: لم يكن عبد المولى طبالاً، كان قاتلاً، ذلك كان نداءه.

لم يكن كما قلنا يجيد القراءة، ولا حتى فك الخط، لكنْ ما إن عمّده جو، بقطع أذنه اليمنى، حتى تبدت له الحقيقة، كوجه واحد. كانت أسنانها خربة كأسنان عشيقته، بدون هدايا الشمس، وخيالها فقيراً

fb/mashro3pdf

كحياته، قتلها، لتتبدى الكذبة بألف وجه، ألف شمسٍ تتضاجع، لتصبح شيئاً لا نهائياً. اختار الكذبة: وجدها في المكتبة.

لم تكن هناك، لكنها بُنيت حوله، لم يكن لأحد أن يدخلها إلا بإذنه.

بائع الكذب، هكذا سمَّى مولا نفسه، ثم رقى نفسه إلى رتبة حافظ السر، سر جو، الذي كان يمازحه: لكني لا أملك أسراراً.

ربما من هنا جاءت الفكرة التي غيرت حياة مولا للمرة الثالثة، وأنجته من سخرية القرصان ليلو الدائمة: ماذا لو أشاع السر؟ ليصبح حافظ سر العالم.

أول نسخة طيَّرها، على الإنترنت، كانت إحدى حيوات جو العديدة. كتاب بيتر بان، الكتاب المقدس في ماندورلا، والذي يحوي وصايا جو غير المباشرة، وفلسفته عن الحياة، قبل أن يتم استبدالها بحواديت الماما.

أضاف إلى نسخ الكتب على الإنترنت، الأفلام والموسيقى، والمقاطع القديمة للأفلام التي كاد الزمن يفرمها، صحح الألوان والصوت، ثم تحولت فكرته إلى عادة وطريقة حياة، ثم إلى مشاريع ضخمة.

لكنه توقف الآن عن ذلك: أقلع عن زرع جنون المشاركة في العالم، عندما أجبرته الماما على خيانة جو.

كان يعلم أنها وجه آخر من وجوه الكذبة، الوجه الذي يكمل ما بدأه جو، ربما كانت هي جو نفسه، لذا لم يكن غاضباً من محاولاتها محو كل ما ميز ماندورلا بالقهر "لا يوجد خير أو شر نحن فقط نلعب" جملة جو التي سرقتها الماما، وتداولها البشر والأشباح على أنها جملتها، لا يكرهها

fb/mashro3pdf

فقط لم يرغب في أن تكون سيدته "لا سيد بعد جو" كما ردد كثيراً أمام جوجل وسليزي، وكل من بدؤوا تلك الرحلة مع جو، لكنْ داخله كان يعلم أن جو لم يكن أبداً سيداً، كان مجرد راوٍ خائب، يحاول الهروب من المتاهة بصُنْعها بنفسه.

كان عليه أن يخلط الكذبة بالكذبة، أن ينسخ جملة جو "لا يوجد خير أو شر. نحن فقط نلعب"، على كل فيديوهات كاي باركر، جملها الحوارية، صوتها وهي تغوى الصبية، وهي تصل إلى ذروة نشوتها، صورها المنشورة كحقيقة. إنها مجرد ممثلة بورنو، وليست سيدة الرصيف الآخر من العالم.

رفض مولا في البداية خيانة سيده بصلابة.

لكن القرصان ليلو، لم يتركه لصلابته: وما أدراك أنها جملة جو الأصيلة، إنها مجرد جملة خائبة، استقاها من السر الذي أشيع في وادى السليكون، صنيعة الفلسفات القديمة، إنه يكرر ما يقوله الآخرون كببغاء، كمقرىء قرآن يعرف ما الذي يلمس الناس، فيضغط عليه ويلونه، لا فضل له في شيء. يا ليته جناها بجهد لا من عنوان كتاب "ما وراء الخير والشر" لنيتشة، الذي لم يقرأ منه أكثر من عشر صفحات، فهو أجهل وأغبى من أن يكمل كتاباً واحداً.

لكن كنت حاضراً، حين ضربت تلك الجملة نافوخه وأكلتها كدودة.

كان جالساً حينها في صدفة الحلزون، التي يعتبرها قصراً، لا لشيء إلا لضخامتها. كان يشعر بالملل، حمّل الكتاب من على فور شيرد، واحدةٌ

fb/mashro3pdf

من تلك الحسابات التي قمت أنت بتمرير فكرتها للعالم، كان الملل وحده هو ما دفعه للقراءة، أومشاهدة الأفلام أو الاستماع للموسيقى، أو مشاهدة اللوحات، من داخله –وصدقني يا مولا في هذا– لم يكن يؤمن بمشروعك كثيراً، لكنه رأى أن ما تمارسه لعبة لن تضر، تجعلك تؤمن به وبماندورلا أكثر، يمنحك التسلية وتمنحه الإيمان، لم يفقد جو عرشه، و لم تهزمه الماما إلا عندما فقدنا إيماننا به.

هذا ما حدث، قرر أن يتخذ وضع الحكمة الذي اخترعه: أن يجلس مستلقياً على الأرض، مشعلاً سيجارة، وهو يتأمل في السقف، ويهرش في خصيتيه، بينما كانت كلمات كتاب نيتشة تتراص على السقف الذي حوله إلى شاشة ليتلاءم أكثر مع كسله، الذي يحاول إخفاءه عنا بتسمية أخرى في غير موضعها: "وضع الحكمة"، كي لا ندرك أن الملل من ماندورلا، بدأ في التسرب إليه.

لم يفهم أي شيء من كلمات نيتشه، أغلق الكتاب عند الصفحة العاشرة.

طلبني لنلعب معاً ريد أليرت، كانت واحدة من تحديات حياته أن يهزمني، تلك لم ينلْها أبداً، لغبائه في استراتيجيات الحرب.

في المرة الوحيدة، التي كاد يهزمني فيها، اضطر إلى أن يحشد كل تفكيره ومخيلته وطاقته ليصل بعد جهد إلى واحدة من أكثر استراتيجيات الحرب استهلاكاً، تماماً كجملته "الكيتّش" "لا يوجد خير أو شر، نحن فقط نلعب".

fb/mashro3pdf

جاءته الفكرة التي ظنها عبقرية وجديدة، وهو مستلق في وضع الحكمة/ الكسل: أن يحشد قواته في مكان خفي، بينما يحرك سرية صغيرة من الدبابات والجنود لمهاجمة معسكري، وجر قواتي بعيداً عنه.

نجحت حيلته في البداية، فدخل بجيشه إلى معسكري ودمَّرهُ تماماً، أثناء انشغالي في الاشتباك مع سريته الوهمية، بعد أن حاصرني من قُبُلٍ ومن دُبُر.

ظن أنه انتصر، فظل يقفز فرحاً كالأبله، تاركاً الكي بورد، وهو يصرخ: Game Over.. Game over

لكنه وجدني مستمراً في اللعب، عاد إلى الانتباه. لماذا لم تنتهِ تلك اللعبة القحبة؟ قال جو غاضباً.

لم يكن يعلم ما أخبئه، لقد ركز على تدمير المباني، والدبابات، غافلاً عن جنودي المنتشرين في أرض اللعبة، استدعيتهم جميعاً، وبدأت في الزحف بهم نحو معسكره، كان قد أغفل حمايته بقوات احتياطية، بعد أن خسر أغلب قواته أثناء تدمير معسكري المباغت، لم أكن أبخل في بناء الدشم وأبراج الصاعقة، تلك التفاصيل الصغيرة التي كانت تربكه تماماً.

كان زحفي نحو مدينته التي بلا قوات، ساحقاً ومقدساً كهجوم الجراد على حقل عامر بالحياة، وسط محاولاته البائسة لتصنيع دبابة أو جندي للمقاومة.

أعلنت اللعبة انتصاري، وسط ذهوله وغضبه.

تدخل مولا قائلاً: لا تتفاخر، كلنا نعلم أنك كنت تغش، تلك الشفرات

fb/mashro3pdf

الغبية، التي لا تكلفك مالاً لصناعة قوات، فضلاً عن أنه لم يعرف أبداً كيف يستنسخ جنوده.

قال القرصان: لم يثبت أحد ذلك قط، ثم واصل: في ذلك اليوم، الذي كنا نلعب، بينما كتاب نيتشه الذي لم يقرأ منه سوى عشر صفحات يعبص في نافوخه كدودة، ولأنه لم يفهم منه شيئاص، لم يبقَ من الكتاب سوى عنوانه "ما وراء الخير والشر" كان يبحث عن حل يتكيف به مع هزيمته المتكررة، ووجده.

ترك جو اللعب فجأة، ليقول لي "لا يوجد خير أو شر في هزيمتي.. نحن فقط نلعب"، والتي صارت فيما بعد بدون كلمة هزيمتي "لا يوجد خير أو شر.. نحن فقط نلعب"، جعلته تلك الجملة يُهزم باستمتاع حقيقي، وخرج بها على ماندرولا كاكتشاف وقانون لجوهر المدينة.

ما رواه القرصان، لم يكن هو السبب الحقيقي لتغيير مولا لموقفه، كما ظن في البداية، لكن الحقيقة التي أدركها مولا بعد ذلك، أنه كان يرغب في خيانة جو، تلك اللحظات السحرية التي تمر بالمرء، اللحظات المخيفة التي تجعل خياراً كالخيانة، كتفضيلك آيس كريم الشيكولاتة على الفراولة، خياراً ممتعاً ولا يثقل عليك بأي ذنب إن تركت الفراولة.

كما أن مقاييس الأمور في ماندورلا مختلفة، فلا معنى للخيانة: "لا يوجد خير أو شر. نحن فقط نلعب".

مولا أعجبته اللعبة: ماذا لو تلاعب بالحقيقة؟ أعاد تشكيلها؟ ماذا لو كان مسؤولاً عن خلق إيمان جديد لدى الناس، إيمان يظل راسخاً في

fb/mashro3pdf

عقولهم، كخابور لو أُنتزع ماتوا، لذا هم على استعداد للقتل من أجله، رغم أنه من وهم صارخ.

ربما عرف القرصان ما تسلل إلى عقل مولا، عندما زغزغ مخيلته بتلك المرة "ستكون حافظ سر حقيقياً لأول مرة في حياتك، الرجل الخفي، الذي يدرك أن متعة الحقيقة ليست في إدراكها، بل في تخيل أوجهها العديدة الكاذبة، لا وجود للحقيقة إلا في مخيلة الناس، تلك فرصتك، ليردد القطيع السطر الذي أمليته أنت بنفسك".

فعلها مولا، مفضلاً أن يورط جوجل معه، مقابل أن ينصّبه إلهاً ولو على سبيل النكتة القاسية.

ولأن قانون ماندورلا الذي سنه جو نفسه، كان واضحاً، فلم يوصم مولا بالخيانة.

كان خبر عودة جو قد انتشر، لذا عبّأ مولا جوجل في زجاجة عطر، واختار أفضل الطرق لتعمية الأبصار عن الهدف، أن يفعل ذلك علانية وبأوضح شكل ممكن. "هكذا لن يرانا القطيع" قال مولا.

امتطى فيل جو الأزرق. أما سليزي فقرر التخفي على هيئة سحابة ممطرة، لكنه لما تبع مولا، لم يمطر إلا فوقه، وهو ما أزعج مولا، فنهر سليزي، الذي لم يجد وسيلة للاعتذار سوى أن يتحول من سحابة ممطرة إلى مظلة تقي مولا المطر الذي توقف، وهو الأمر الذي أجبر مولا ذا "الوجه الكئيب" –لأن من يحفظون الأسرار عليهم أن يبدو كذلك– على الابتسام.

fb/mashro3pdf

لم يشعر مولا، وهو في طريقه إلى قصر جو –ولو على سبيل الفخر– أنه يخوض معركة نبيلة من أجل الحق، ففي ماندورلا: الكل خاطئ، الكل يلعب.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حرباء الكهف

ربما من الغرابة أن يشعر جو/ شاهر، أن أذنه الكبيرة الميتة، تجعله أكثر وسامة، أدهشني حقاً أن يرى في تلك الأذن أكثر الهدايا التي حصل عليها في هذا العالم الجديد تميزاً وإبهاراً.

لم يكن شاهر يكنّ أي محبة لجسده، كان يراه عادياً، مكروراً ونمطياً، ولا يؤهله لشيءٍ استثنائي، مجرد رقم آخر في القطيع.

كان الأمر سيظل عادياً، لولا أنه تحول لهاجس شديد الإلحاح والقسوة، فقد ركز شاهر غضبه على جسده، في شكل قضيبه.

فقد شعر بالغضب عندما اكتشف أن قضيبه لا يختلف في شيء عن قضيب أخيه: نفس الطول في أشد حالات الانتصاب، نفس درجة اللون، نفس الحسنة الصغيرة التي تقف في مقدمة القضيب كذبابة.

fb/mashro3pdf

توأمة القضيب تلك كانت تثير جنونه، لا شيء يشبهه في أخيه، إلا ذلك القضيب.

رآه عشرات المرات، وهما يستحمان معاً في لعبةٍ حرص شاهر على أن يحافظ عليها أكبر وقت ممكن لعل المعجزة تحدثً. لم يكن يرغب في قضيب أطول، كان فقط يرغب في واحد مميز، حتى ولو كان هذا التميز مجرد لون آخر.

تحولت تلك الرغبة إلى شغف، ثم إلى هوس، تعامل معه شاهر كسرٍّ مقدس، بسببه جر شاهر شقيقَه إلى مسابقات حمقاء، تنتهي دائماً بمحاولات شاهر إقناعَ أخيه بأن قضيبه أفضل، وهو ما دفع أخاه إلى أن يكره الأعضاء الذكرية ويفضل مشاهدة أفلام الليزبيان.

هنا في ماندورلا، وجد حلاً بسيطاً، كان سيراه أحمقَ وشاذاً في حياته الأولى: ماذا لو لوَّن قضيبه؟ الفكرة بدت في تلك اللحظة واقعية، بل بدت خطوةً تأخرت كثيراً.

من السهل دائماً، عندما تجد نفسك في صدفة حلزون يملكها شخص بأذن ميتة ويعاملها كقصر، أن تعثر على ألوان لتلوين القضيب.

لم يعرف شاهر أي لون قد يناسب قضيبه، وجد يده تمتد إلى الأزرق الداكن، قبل أن يبدأ فكر أن انتصاب عضوه سيكون أكثر مثالية، كي يلون أكبر مساحة ممكنة من الجلد، وبأقل قدر من التشققات، فكر فوراً في مونيكا بوليتشي، لما تملكه من كرامات فيما يخص الانتصاب السريع، استبعد كاي باركر بعد أن علم أنها جدته.

fb/mashro3pdf

انتصب، فبدأ في التلوين بانهماك، وقبل أن يقارب على الانتهاء دخل مولا بفيله الأزرق وبصحبته جوجل وسليزي.

كان الأمر أشبه باليوم الذي قفشته فيه أمه وهو يلعب مع أخيه: من يقذف أسرع هو الأغبى.

مولا، تعامل مع الموقف بهدوء، حتى أنه خلع بنطاله، ليريه قضيبه الملون، والمنقوش بالرسوم أيضاً.

ارتدى جو ملابسه، وضحك بتوتر على قضيب مولا البمبى، لكنَّ ذلك لم يُخفِ فزعه.

اتجه سليزي إليه، متخذاً هيئة شارلي شابلن، أكثر هيئة يفضلها جو، وعانقه بحرارة قائلاً: كنت أعلم أنك ستهرب من مصنع ليلو، وستعود. أما الفيل فلف خرطومه حول عنق جو، ثم صاح صيحة أوقعتهم أرضاً، وسكبت جوجل من زجاجة العطر، لكنه تمكن من التماسك في هيئة صلبة، ملغزة.

أوقف مولاً الجو الهزلى والميلودرامي بعبارة رصينة وميلودرامية: لا وقت لدينا، نحن محاصرون بعدوَّين الآن، الماما والقرصان الذي لم نعرف نيته بعد استيلائه على بكرة الغزل، مما يعنى امتلاكه للمدينة".

شاهر/جو امتص مفاجأة رؤيتهم له وهو يلون قضيبه ليقول بانزعاج: أهذا كل شيء؟ أين حفلات الاستقبال؟ ألست جو المنتظر؟ المنقذ؟.

نظر مولا وجوجل وسليزي إلى بعضهم البعض نظرة استغراب، لم تؤثر في جو الذي قال في حسم: لن أنقذ المدينة إلا بعد استقبال يليق بي.

fb/mashro3pdf

مولا فاجأ رفاقه ووافق، غامزاً إلى سليزي وجوجل.

انطلق بهم مولا إلى قلب المدينة وبرفقتهم جو، مطبِّقاً نفس التكنيك، بإمكانك إخفاء منقذ مدينة يمتطي ظهر فيل أزرق بأن تجعله مرئياً قدر الإمكان.

كانت خطته بسيطة، كانت آثار الاحتفالات الجبرية بعودة الماما موجودة في الساحة، وكان خبر مقتل الذئب على يديها قد انتشر، وهو ما علق عليه سليزي قائلاً: أحة.. لا أحد يموت في ماندورلا.. إنه خرق للقانون.

سليزي سبق الجمع، أشاع أن حرباء الكهف قادمة قبل موعدها، وعلى الجميع أن يحضر جزية الألوان، وأن يبدؤوا في الاحتفال.

لم يكن موعد حضور حرباء الكهف، لكن أهل ماندورلا صدّقوا.

كانت حرباء الكهف، تلك التي تقطن برزخ التراب والنار، تأتي كل عام، لتحصل على جزية الألوان، حيث تعيد المدينة إلى لونين فقط: الأبيض والأسود، قبل أن تزدهر الألوان وتنمو مرة أخرى في العام الذي يليه.

جو اخترعها في لحظة ملل، كان يريد شيئاً يحاربه ويجعل بقاءه في المدينة أمراً ذا فائدة، كان إيمانه بما صنعه يتناقص، وكان عليه أن يخلق تحديات تقلل من حدة الأحلام التي تراوده عن تركه للمدينة.

لكن الحرباء التي تأكل الألوان تحولت إلى كابوس، بعد أن خرجت عن إرادة جو، فقد كانت تُغير على المدينة وتسرق ألوانها، قبل أن تتحالف مع الماما والقرصان.

fb/mashro3pdf

جو خرج إليها في طليعة جيش صغير، ممتطياً فيله الأزرق، ومتقلداً سيف الإسكندر الأكبر.

كان جيشاً صغيراً من جنود ودبابات بلاستيك صغيرة الحجم.

حتى أن الحرباء استهانت به. كانت تسلخ فرو اللون الأحمر، وتشوي اللون الأخضر بهدوء، ثم أخرجت له لسانها. الرسالة كانت واضحة: شيءٌ تافهٌ كهذا لن يجبرني على التنازل عن عشائي، إلا في حالة واحدة، أن يتحول جو وجيشه اللعبة إلى عشاء.

لكن سليزي نفخ في البوق، ليتحول الجيش الصغيرة إلى جيش ضخم وجرار.

على عكس ما تخيل جو، لم يفزع ذلك الحرباء بالشكل الذي كان ينتظره، لكنه أجبرها على الأقل على أن تترك عشاءها وتبدأ في التحرك.

الحرباء لم تتحرك في اتجاههم، بل رفعت راية بيضاء ظنها جو علامة استسلام، لكنها كانت إشارة، حين تحرك جيش من الأشباح تقوده الماما والقرصان.

حاصر جيش الأشباح ألعاب جو البلاستيكية. دامت المعركة ثلاثة أيام، امتصت فيها الحرباء ألوان المدينة، وانتهت بأسر جو، وطرده مع ألكسندرا.

كان بإمكانه المقاومة، معاودة القتال، لكنه لم يفعل، مولا وحده الذي كان يعلم: كان يريد أن يُهزم، أن يترك المدينة ليحيا مع ألكسندرا حياة حقيقية، لكن لا خيانات في الأمر وفقاً لقانون ماندورلا.

fb/mashro3pdf

بعد طرد جو، نُصّبت الماما ملكة لماندورلا، وكان أول قراراتها، أن لا حاجة للمدينة بألوانها، وقررت أن يكون يوم هزيمة جو عيداً للألوان، تأتي فيه الحرباء، لتأخذ جزية الألوان في طقوس أجبر سكان ماندورلا على أن تكون احتفالية.

كانت تلك هي خطة مولا، أن يخرج السكان نحو المدينة ويبدؤوا في الاحتفال.

عند قدوم جو، اتخذ سليزي هيئة الحرباء، مقلداً إياها في سخرية لفتت أهل المدينة، وإن كانوا على ظنهم أنها هي، لكنها سكرانة قليلاً وقررت أن تمرح.

كانت الطقوس تبدأ بالرقص، ثم بِلَطم المؤخرات كتحايلٍ على فكرة الاحتفال التي فرضتها الماما، والتذكير بأن ما يحدث ليس عدلاً (بدأ الأمر هكذا ثم صار محض طريقة احتفال صرفة).

جلس جو منشكحاً، وهو يرى المؤخرات تُلطم من أجله. وسليزي يحاول أن يبدو في هيئته كحرباء وكأن الأمر لا يعنيه، بل بدأ في الرقص وسطهم، ولطم مؤخرته، بينما جو يحيي المحتفلين، بل واندمج هو الآخر وبدأ في الرقص، بينما سكان المدينة تشغلهم الأسئلة: متى ينتهي كل هذا البيض؟ لماذا تأخرت الحرباء عن إعطاء الإشارة بإنهاء الحفل والبدء في مص الألوان؟ من هذا المجنون الذي يحيِّيهم كأنه ملك، وكأن كل تلك الطقوس من أجله؟

لم يتعرفوا عليه.. تلك الحقيقة كان يدركها مولا وسليزي وجوجل منذ

fb/mashro3pdf

البداية، لا أحد يعرف هيئة جو وهو في الثلاثين من عمره سواهم، بعد أن تعرف عليه سليزي في مصنع ليلو. لا أحد سيصدق، إنه الآن يحمل أذناً كبيرة ميتة، لم يروه إلا صبياً في الرابعة عشر، قادراً على الطيران، الحقيقة أن لا أحد يريد أن يصدق، كانوا مرتاحين جداً لفكرة العلبة التي وضعوه فيها كطفل لا يكبر منذ زمن، إنه الإيمان، خابور في النافوخ، من الصعب انتزاعه إلا بدم.

فكر مولا أن الاشتغالة يجب أن تنتهي عند هذا الحد، لولا أن حرباء الكهف الحقيقية، جاءت من برزخ التراب والنار.

كانت قد سمعت عن الاحتفال المزيف، وعن الحرباء التي ظهرت مدينة ماندورلا لا تصلح لحربائتين، ذلك هو القانون.

صعق السكان من مرأى الحربائتين.

سليزي حاول أن يطيل أمد استعباطه، وأن يندهش من وجود حرباء أخرى تماثله تماماً، لكن اللهب الذي اخترق اللاشيء، كشف أن سليزي مجرد طيف لا يمكن اعتباره موجوداً أصلاً.

قالت حرباء الكهف: عقاباً لكم على تغيير موعد عيد الألوان، سأحصل على الجزية مضاعفة، سأمتص اللونين الأبيض والأسود.

شخر جو، الذي شعر بالغضب من الاشتغالة "لا أحد يمكنه أخذ الأبيض والأسود".

حرباء الكهف، التفتت إلى ذلك الصوت، العبارة التي عرفت أنها قيلت من قبل هنا في نفس المكان، عند النافورة التي تطلق الفاصوليا

fb/mashro3pdf

البيضاء بدلاً من الماء، قبل أن يقرر أن يشن حرباً عليها بجيش من الجنود البلاستيك. تسلل إليها الشك: هل هو جو؟ هل عاد؟ رغم تمردها عليه من قبل، إلا أن عقلها المليء بالكثير من الإيمان رفض أن يعود جو على هيئة رجل في الثلاثين بأذن كبيرة وميتة.

سألت: من أنت؟

وقف جو، بعنجهية تناسب المنقذ والمخلص: أنا جو.. خلاص المدينة وسيدها.

تعالت ضحكات السكان قبل الحرباء، ازدادت وتحولت إلى هيستريا عندما شهر سيف الإسكندر.

لم تبال به الحرباء، وبدأت في تنفيذ عقابها، بامتصاص ألوان المدينة، حتى لم يتبق سوى لونين: الأبيض والأسود، إلا بقعة في بنطلون جو، كان قضيبه الذي لونه بالأزرق الداكن. كانت علبة الألوان التي استخدمها شاهر، تخص جو القديم، لذا لم تستطع الحرباء مص اللون، على عكس قضيب مولا الذي فقد لونه البمبى.

بدا الارتباك على الحرباء، والحرج على جو، فقضيبه هو النقطة الملونة الوحيدة في هذا العالم، مما جعل الجميع ينظر إليها، بإعجاب شعر به جو.

"لقد عاد".. سرت الهمهمة بين سكان ماندورلا وأدركت الحرباء أنه هو.

تقدم نحوها جو بشجاعة أحمق، قائلاً "الآن"، ثم قذف بسيفه نحو عينها اليمنى التي نزفت الألوان المسروقة. تحركت نحوه وهي تترنح، فكر

fb/mashro3pdf

جو أنها ربما كانت خطوة غبية أن يفقد سيفه بتلك السهولة، فبدأ في الجرى من صيحات اللهب التي طاردته بها الحرباء.

حاول الاختباء فوق إحدى الأشجار، لكن الأشجار آخر من يُؤمن، لذا دار نقاش عميق حول إذا ما كان هو جو، أم لا، الأشجار عرفت أنها لا تحمل روح جو، لذا لفظته أمام الحرباء مرة أخرى.

لكن سكان المدينة الذين مُنحوا الأمل في عودة ألوانهم المسروقة، تقدموا، ظلوا يقذفون عين الحرباء الأخرى بالحجارة، حتى نزفت، ثم أشعلوا النيران في ذيلها، لتذوب الحرباء كشمعة.

انتهى كل شيء فجأة، ساد الصمت لثوان، قبل أن تنفجر صيحات من الفرح، كانت المدينة قد إستعادت ألوانها.

رفعوا جو على الأعناق، وبدأوا في التعري، متبادلين تلوين أعضائهم، كانوا يفعلون ذلك في كل عيد للألوان، بعد أن تنتهي الحرباء من سرقة ألوانهم، لأسطورة مفادها أن ذلك يجعل ألوانهم تنمو أسرع، حتى أن أحداً لم يعرف إن كانوا فعلوها تلك المرة على سبيل النصر أم العادة.

همست شجرة عجوز في أذن مولا: لكنه ليس جو.

قال مولا: نعرف.. لكننا نحتاج أن يكون جو.

استأذن سليزي في الانصراف، فهو كرسول فري لانس، يجب أن يذهب إلى القرصان ليلو، كان يعرف مكانه لكنه لم يخبرهم، فالصداقة أمر مختلف تماماً عن العمل.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بكرة الغزل

تأمل القرصان ليلو، بكرة الغزل.

كانت على مكتبه في المصنع، وهو على هيئة محمد الفار، مستورد العجائب من الصين.

لا يعلم المتعاملون معه أنه يحيا أكثر من حياة.

مرة كقرصان ومرة مجرد بائع لمنتجات صينية سيئة الصنع قصيرة العمر، لكنها تجلب النقود ببساطة.

المهنة التي تخفي مصنعه السري، لإبقاء ماندورلا على قيد الحياة: ذكريات الناس التافهة والهائشة، التي يجمعها أشباحه مختفين على هيئة كناسين. للقمامة فوائدها وكنوزها، لكن من يدرك أن الناس هم حصيلة تفاهتهم لا أوقاتهم المهمة.

fb/mashro3pdf

"كيف حصل التافه على السر ببساطة؟".

سأل نفسه وهو ينظر إلى المرآة: عمر أملك الضائع يا جو، الآن معي أنا، ولا أجرؤ على استعماله، أي لعنة، خدعتني أكثر من مرة، مرة عندما وعدتني أني سأجد هويتي في ماندورلا، و لم أحصل إلا على مرايا مكرورة لذات تائهة: سائق ميكروباص/ قرصان/ مستورد عجائب/ مالك مصنع سري، والمرة الثانية عندما منحتَ جسدك لروح أكثر شباباً وانتهازية. لم نكأت الجرح من جديد؟ كان خلاصك يا جو، أن تصير عبداً، كان خلاصنا جميعاً".

اللحظة التي سبقت سرقة القرصان لبكرة الغزل أثناء تعميد الماما، بدت لعيني ليلو وقتها، مليئة بالأمل في أن يجد هويته الحقيقية، أن يحمل ماندورلا نحو الخلاص، أن يحرمها من الماما وجو، ويعيد صياغتها من جديد، لكن ما إن فعلها حتى تسرب الشك إليه.

يعرف الآن، أن بكرة الغزل لا يجيد استعمالها سوى جو نفسه، لم لَمْ يبدُ ذلك بديهياً قبل تلك اللحظة التي قرر فيها أن يسرق ما اعتقده كنزاً؟ وهو لا يساوي أكثر مما تساويه الدنيا عند الله، جناح بعوضة؟

كانت بكرة الغزل طيلة الوقت في يد الماما، لم لَمْ تستعملها يوماً؟ لأنها لا تعرف الغزْل، لا تعرف السر. كانت بكرة الغزل مجرد رمز لسلطتها، رمز خاو من قوة الفعل، الأساطير المترسبة في عقول أهل ماندورلا، هي فقط ما أقنعهم أن الماما قادرة على استعمال بكرة الغزل لنسج المصائر والسيطرة على كل شيء.

fb/mashro3pdf

حاول ليلو أن يغزل بها الشموس، والأقمار والمدن، لكنه لم يستطع أن يخرج من تلك البكرة حتى ولو خيطاً ملضوماً في خيط.

"لقد بعتني اللاشيء يا جو".

جاءه، سليزي، الرسول الفري لانس، وأخبره، أنَّ ثمة شخصاً يرغب في مقابلته.

كيف وصل؟ وكيف تخطى كلمة السر؟ تساءل ليلو، لكنه أمر بادخاله، في مكتبه المعزول كخندق يحميه من شر مرتقب.

عرفه فوراً: عبد الجبار، محاطاً بأربعة مريخيين، بدوا كحرس.

هل انقلب الوضع؟ تساءل ليلو. ذلك الشخص التافه كاد أن يقضي على ماندورلا، عندما اقترب من الوصول للمبدأ الأقصى للحياة، كان على عتبة ذلك عندما دون العبارة في عيد ميلاده الأربعين "علينا أن لا نصل أبداً لذروة أي شيء" لم تكن تلك العبارة تعني أي شيء، لكنها على الرغم من ذلك آخر مفتاح غير مناسب للقفل. كانت خطوته التالية أن يجد المفتاح الصحيح، كان قريباً من معرفة كيف يتمكن المرء من السيطرة على خيوط مصيره، ولا تعود هناك حاجة لحيوات متخيلة.

حينها سلط عليه جو، لقطع أذنه لتختطفه المتاهة، ومن ثم لا يجد حلاً سوى أن تمتصه ماندورلا، ويصير واحداً من أشباحها، ثم جاء دور ريهام لتعبث بمعادلاته ورموزه التي دونها في بلوك نوتات صغيرة، كي لا يصل إلى شيء، كما أن وجوده منح المريخيين فخاً بظنِّهم أن النيو عبد الجبار هو الحل الأمثل لغزو ماندورلا. يعرف كأصغر شخص في ماندورلا، أن

fb/mashro3pdf

المريخيين وقعوا في الفخ، وأن عبد الجبار ليس الجسد المثالي، بل جسد يحتاج إلى خلطة أخرى ناقصة. خلطة يملكها جسد آخر".

لعبد الجبار عينان تخيفان كل من ينتمي إلى ماندورلا، فأثناء فترة مراقبته، كانت عيناه مثار سخرية، ثم صارت مثار إزعاج، فهما بلا أي حياة على الاطلاق، حتى أنه يمكن وصفهما بأنهما مملتان، عشرة أشباح على الأقل ذابوا نتيجة الملل الذي تصدره عينا عبد الجبار.

لكنهمـا الآن تحمـلان حكايـة مخيفة، لا تتوقـع من نظراتـه خطوته القادمـة، لكنه لن يتوانى عن أكلك حياً، إن كنت حجر عثرة في خلاصه المزعـوم.

عبد الجبار، جاء إلى هنا عملاً بوصية ياهو،: "انقل إيمانك بي إلى النيو عبد الجبار، واقتحم ماندورلا مدينة الماما، وقاتل بجوار جو، معمدك وقاطع أذنك، المخلص، واهب الحياة لكل هذا الجنون".

لكنه لم يكن يجد في جو مخلصاً أو واهباً للحياة، كان مجرد واهباً للعنة، لعنة دمرت حياته وحياة أسرته التي كانت تتصاعد في ثبات وفقاً للخطة العادّية والمعلنة لها: الميلاد/ الدراسة/ العمل/ الزواج/ الإنجاب/ الموت، ثم تكرار الدائرة.

كان لديه أيضاً سبب أقوى، هو الحصول على المصنع، كي يتمكن من سارة والشاعر الرامي.

كان يواجه خيبة أمل كبيرة في مشروع النيو عبد الجبار، رغم أنه صار أقوى من المريخيين، وسيدهم، إلا أن النتائج الأولية للمشروع لم تنتجْ إلا

fb/mashro3pdf

نسخاً مشوهة منه، أقزاماً تشبهه، لا تصلح لغزو العالم، إنما لمص قضيبه، أو إمتاعه في السيرك.

كانت تلك الأقزام تحيا ليوم واحد، قبل أن تتوقف تماماً عن الحياة أو الموت. تظل متصلبة كتمثال خشب، كلعبة لن تجد من يشتريها.

أنتج الآلاف منها، دون أن يستطيع علماء المريخ أن يصلوا إلى السر، لكنه لم يأمرهم بالتوقف، بل بإنتاج المزيد، حتى يصلوا إلى الخلطة الناقصة.

بدا ليلو مفاوضاً جيداً، وعبد الجبار يعرض عليه بيع المصنع "آن لي أن أستريح من كل هذا العبث" فكر ليلو، سيتفرغ باقي حياته لحل لغز بكرة الغزل. أن يتعلم كيف تغزل بها المدن والشموس والأقمار، أثناء ذلك ربما يشتري نساءً لتدليك كل سنتميتر في جسده، يحتاج الإنسان إلى من يتحسسه، الجسد سفينة متهالكة نالت منها الأعاصير والسفر، فكر ليلو أن لا أحد طيلة رحلته تحسس جسده إلا في خياله، جسد لم يتحسسه أحد هو جسد في أزمة.

كان ليلو ينتصر في كل خطوة في مفاوضاته، ويصل لصفقة مربحة، حتى تحركت بكرة الغزل، التي لم تبد ذات قيمة في عينَي عبد الجبار، في البداية، ثمَّ بدأت في غزل نفسها، على هيئة حوت ابتلع ليلو، ثم نقض الغزل نفسه ليتحول إلى عبارة: اشترِني.

ذُعر ليلو، عندما رأى تلك اللمعة الشهوانية في عيني عبد الجبار. لقد أرادها.

شدَّها ليلو بخطَّافه واحتضنها، قائلاً: لا تصدِّقها. إنها مجرد بكرة غزل

fb/mashro3pdf

تافهة، إنها تحتال عليك، أتعرف تلك الحيلة القديمة لبائعي النايات؟ إنهم يعزفون ألحاناً مبهجة، كي نشتهي شراءها، وبعد أن نمنحهم النقود. نكون قد اشترينا الوهم، نظل ننفخ بها بلا جدوى، لا شيء يمنحه لنا الناي سوى إثبات أننا اشخاص مزعجون، بلا أرواح مميزة، غير جديرين بالنغم المبهج، ستكره نفسك، وأنت تنفخ في اللاشيء، أنت لا تملك سرها، ستدمر تلك البكرة حياتك إن اشتريتها.

لكن عبد الجبار، أصر على شراءها: تلك البكرة، أو لا. صفقة على الإطلاق. فكر عبد الجبار أن تلك البكرة ربما تكون هي كلمة السر الناقصة في مشروعه الذي يواجه فشلاً ذريعاً في إنتاج نيو عبد الجبار القادرين على غزو العالم.

لم يتردد ليلو: لا صفقة على الإطلاق. ثم ضغط على زر إنذار، ليأتي عشرون شبحاً مدججين بأسلحة بلاستيكية، تستعد لإطلاق الفيلين المميت.

انصرف عبد الجبار بهدوء، لكن قبل أن ينصرف، رمق ليلو بنظرة جعلته يرتعد: لن يمر الأمر بسلام.

وضع ليلو بكرة الغزل على المكتب، بدأ في النظر إليها بجنون، قلبها بخطافه، ها هي تتحول مرة أخرى إلى جثة ميتة، ناي بلا روح، وهو الفم المزعج، الذي ينفخ اللاشيء.

ثم بدأ في الصراخ: سأحرقك.. أقسم بكل شيء سأحرقك.. كيف تفعلين هذا بي، كيف تتصرفين كشرموطة تعرض نفسها ببساطة على أول

fb/mashro3pdf

عابر؟ ثم بدأ في البكاء وتحسسها، لكنها لم تتخل عن هيئتها كجثة هامدة.

عندما عاد إلى هدوئه، كان الجنون قد احتل جسده كاملاً، ثم بدأ الجسد في الُحمَّى، تعرَّى ثم عرف عقاباً جيداً لتلك البكرة.

استلقى على الأرض، ثبتها بخطافه، ثم بدأ في تمريرها على جسده، كل قطعة فيها كانت تتشرب الخيوط، لم يُلقِ بالاً لكونها لم تبادله الحب، ظلت على إصرارها على أن لا تكون شيئاً سوى جثة، لكن لا عودة الآن يا ليلو، لا عودة، كان كقطعة اسفنج تتشرب الماء في عشق، بدأ في تحريكها على قضيبه، كان كمجنون يرغب في الوصول للذروة، لكن لا شيء، لا شيء، لا ذروة، ثلاث ساعات بلا شيء، لكنه كان مصراً، تحول الإصرار إلى عصبية، وحركة أسرع، حتى أدت البكرة حركتها الاستعراضية القاتلة، عندما أفلتت فجأة من خطافه، ليقطع قضيبه.

رآها في فزعه، تتسلل إليها الحياة، كانت تبتسم في تشفٍّ، إغاظة، ثم تتشرب من الدم الذي انطلق كنافورة صغيرة.

كان يبكي من الألم والحقد، لم يفكر في جرحه، كان فقط يحاول أن يستجمع قواه، ليحرقها، ذلك ما سيشفيه حقاً، تمالك قواه حتى عثر على علبة كبريت، سيتسلى بحرقها على مهل، لم تبادله بكرة الغزْل سوى التحدي، حتى أنها لعقت من بركة الدماء، التي تغرق الأرض.

قبل أن يصل إليها، بدأت المشاهد في الشحوب، رأى سليزي مرة أخرى، كما جاءه أول مرة، يحاول إقناعه بالذهاب إلى ماندورلا وبجواره الممرضة التي جعلها سليزي توقظه بوضع حلمتها في فمه، كانت تمسك

fb/mashro3pdf

قضيبه المقطوع، وتعيده إلى مكانه، ربتت على كتفه، وبكى سليزي تعاطفاً معه: كانت المرة الأولى التي يبكي فيها أحد من أجله، وكما نعلم جميعاً أن جسداً لا يبكي لخاطره أحد، هو جسد في أزمة.

بكى ليلو من كل هذا الحب المحيط، كان يعرف أنه في حلم داخل كابوس داخل حلم، لا شيء حقيقي، لكن ما حاجتنا إلى الحقيقة؟

كانت سفينته التي وعده بها جو، ولم يفقدْها أبداً، تخترق المكتب الضئيل الذي تحول إلى أرض شاسعة وخضراء تتجه إليه، تقف على الميناء كامراة عاشقة في انتظاره، ها هو القبطان يتقدم ليصعد بها في السماء، لكنه لمح الخيوط، خيوط تحرك كل شيء، سليزي والممرضة والسفينة التي على هيئة سحابة، كان جو يحركها وهو يبتسم بحنو على قدرته الفائقة على منح العدل والابتسامة والقضيب لليلو، خيوط بكرة الغزل.

شخر ليلو غاضباً في وجه جو قائلاً "لا أرغب في عدلك، لا أرغب في الحياة التي منحتها لي ظناً أنها الخلاص، لا خلاص، يا واهب اللعنة".

حاول أن يقذفه بحجارة، اكتشف أن جو يتحكم به عبر جوستيك لعبة، وعندما حاول المقاومة شعر بأسواط من الليزر تنهمر على جسده، سقط مغشياً عليه.

كانت الأشعة لجنود عبد الجبار من المريخيين يقومون باحتلال المصنع، قبل أن يتمكن الأشباح غير المستعدين، من التسلح بمخزون البطاريات القاتلة للمريخيين.

لم يرى ليلو في أثناء فقدانه الدرامي لوعيه، عبد الجبار وهو يقف في

fb/mashro3pdf

هيئة الفاتحين بعد إتمام الغزو، وهو يمسك ببكرة الغزل، ولا يعرف لماذا قطع ذلك المجنون قضيبه، لكن ابتسامة بكرة الغزل المتشفية، أشارت إلى أنها وراء الحادث.

جلس على مكتب ليلو، خندقه الصغير، آمراً جنوده أن يعالجوا ليلو، لاستخدام جسده في مشروع النيو عبد الجبار.

كان كل شيء معداً في الخندق كي لا يرتاح فيه الغرباء، كي يقرروا الفرار من هنا سريعاً، لكن عبد الجبار تملكه الارتياح، بمجرد جلوسه على مقعد ليلو، كأن هذا المقعد خلق من أجله وحصل عليه ليلو عن طريق الخطأ، كان منسجماً مع فكرة أن ذلك المكان معد لشخص ينتظر غدراً، أيد ذلك أن ليلو كان محقاً، فقد خسر مصنعه وقضيبه بالغدر، فكر أن الحذر لا يمنع القدر، لكن الأساطير التي يختلقها الإنسان لنفسه هي فقط القادرة على حمايته من القلق المصاحب للوجود.

أخرجته زغزغةٌ في قفاه من تأملاته، ظنها نملة متسللة، ضرب قفاه بقوة كي يقتلها، لكن الزغزغة استمرت. كان سليزي يمسك بريشة، ويحاول أن يبدو مسليا.

"كفى" صرخ عبد الجبار في سليزي، الذي احمر وجهه خجلاً، لكنه تمالك نفسه عندما جلس أمام عبد الجبار، قال: أعتقد أنك في حاجة لعميل خائن، يجند الأشباح في صفك، كي تسيطر على المريخيين.

– المريخيون.. إنهم في صفي يا غبي.

– الغباء هو أن تحتل هذا المصنع تحديداً بجيش من المريخيين، إنه

fb/mashro3pdf

المصنع الوحيد في العالم الذي يستورد البطاريات التي تقتل المريخيين، لدينا هنا مخزون يكفي لإبادة كوكبهم بأكمله، المباغتة فقط هي ما منعتنا من استعمال تلك البطاريات.

كان سليزي محقاً، صمت عبد الجبار، فكر قليلاً، حاول أن يصل إلى حل بإمكانيات ياهو التي اختزنها في عقله، كتب: كيف تقتل شبحاً؟ لم يجد سوى ألعاب أون لاين: لعبة قهر الأشباح، ثم مقالات وأخبار سخيفة: "شبح " الحرب الأهلية يخيم.. "شبح" المجاعة... الأشباح في كل شيء إلا في الشيء الذي يبحث عنه.

قاطع سليزي تأملاته: حتى لو وجدت الطريقة، فأنا لست شبحاً، أنا طيف.. كما أن هناك اتفاقية لطيفة وقعتْها محركات البحث أثناء الهدنة التي سبقت حرب وادي السيليكون الكبرى، "لن نذكر شيئاً عن وجود الأشباح أو عن طرق قتلهم"، لإيجاد الحل عليك أن تفكر بنفسك، أعتقد أنك لن تفعل، هذا واحد من أغراض محركات البحث، أن تجد صعوبة في إيجاد الحل بنفسك.

- لكني عرفت طريقة قتل المريخيين، عن طريق ياهو.

- كان علينا أن نسرِّب معلومة تبدو على شكل هذيان لمجنون.

- توجد طريقة بالقطع.. العناكب تقتلهم.. لكن عليك أن تملك مخيلة جو.

- لكنْ كيف هزمكم جيشي المريخيّ؟ لقد رأيت الأشباح يتساقطون بأسلحة المريخيين.

fb/mashro3pdf

– الأصل في الأشباح.. أنهم فرقة مسرحية جوالة لإمتاع الناس، كنا نؤدي عرضاً لا أكثر.. أنت تقتلنا، ونحن نموت.. نحن بارعون في التمثيل.

– لم تخليتم عن ليلو إذن؟

– لأنه سرق بكرة الغزل من الماما.. كان عليه أن ينال عقابه.

– أتعمل لحساب الماما؟

– أعمل لحساب الجميع، للماما ولجو.. قلبي يميل لجو أكثر، لكن العمل هو العمل.. وعملي هو أن أكون رسول فري لانس.. والآن سأضيفك إلى قائمة عملائي.. الأمر المميز هنا، والذي أتعامل معه للمرة الأولى، هو أن عملائي الثلاثة من عائلة واحدة. الأب والأم والابن... كلهم يتصارعون.. سأخسر كثيراً بانتصار أحدكم. إن هذا يعني عملاء أقل.

– جو ليس ابني.

– صار كذلك.. لقد صار جو الأصلي حلزوناً، وأعطى جسده لولدك شاهر.. كلنا نعلم تلك الحقيقة، لكن شاهر لا يعلم أننا نعلم.

– جو صار شاهر! لهذا طلب مني ياهو أن أقاتل بجواره؟ مخلصي، وقاطع أذني وواهب الحياة لكل هذا الجنون!

– لكن شاهر لم يقطع أذنك.

– هل تريدني أن أقاتل بجوار حلزون؟ سأقاتل بجوار ابني.. لكن هذا يعني أن أقاتل ضد أمه. وبعد أن ننتصر علي أن أهزمه؟

fb/mashro3pdf

– أو يهزمك. لا أعلم، لا يمكنك الاعتماد على الحكم والنبوءات.. إنها أشياء ملغزة.. مصدِّروها جبناء يفضلون أن يبدوا غامضين على أن يتورطوا بإعطائك الحقيقة.

– هل ستعمل لحسابي الآن؟.. أريد خائناً حقيقياً.. ربما لست أنت الشخص المطلوب.. لا تبدو لي خائناً مثالياً، أنت مجرد طيف.. سأقدم إعلاناً في الصحف غداً "مطلوب خائن لمصنع كبير.. مرتب مجز ولا تشترط المؤهلات الدراسية.. يشترط خمس سنوات خبرة على الأقل "ما رأيك في الصيغة؟

– جيدة؟.. لكن لِمَ تحتاج إلى خائن أصلاً؟

– لا أذكر.. أعتقد أننا كنا نتحدث عن شيء يحتاج إلى خائن.. لِمَ جئت إلى هنا أصلاً؟

– لا أذكر.. إن ذاكرة الطيف ضعيفة كالسمك.. أو ربما أصبحتُ عجوزاً.

– ربما عليَّ أن أتفقد مصنعي.. لقد أضعنا الكثير من الوقت.

– أعتقد أني تذكرت.. لقد جئت أصلاً لأقودك في المصنع.. لدينا بعض الشحنات الجديدة من ال..

– أعتقد أن عليَّ أن أرى مخازن البطاريات التي تضيء في النور.

قبل أن يمضيا معاً إلى المخازن، أمسك عبد الجبار ببكرة الغزل، كانت منهكة من معركتها مع ليلو، سأل سليزي: أتعرف كيف تستعمل هذه؟

قال سليزي: إنها لغزل الأقمار والشموس والمدن، لم أرَ أحداً يجيد

fb/mashro3pdf

استعمالها سوى جو، حتى الماما، رغم أنها سيدة لم تفلح، أعتقد أن عليك أن تعيدها إليه.

لكن عبد الجبار، كان مازال متمسكاً بالأمل في أن تساعده تلك البكرة، التي تقطع قضبان مغتصبيها، على مساعدته في مشروع النيو عبد الجبار، خاصة أنها هي من بدأت بغوايته، لكن شهيته تفضِّلُ المريخيين على بكرات الغزل، لذا لن يبادلها الغواية.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

القسم الرابع

fb/mashro3pdf

برزخ التراب والنار

ما الذي يوجد خلف الموت؟.

أنا هناك الآن، على عتبة أن أرى، على عتبة أن أواصل حياة بلا توقف أو دهس، بلا خوف من الموت.

لْم أتحول إلى حلزون. تلك المرة، سليزي هو من أشاع ذلك لمحبته الشديدة لي، محبته التي لم تكن سوى عيبٍ خلقيّ، فقد صممته في خيالي على أن يكون رسولاً فري لانس، يعمل لمَن يدفع دون أن يستأثر به أحد، أو يؤمن بالرسالة التي يوصلها.

لم ينسجم مع فكرة موتي، رغم أنه علم منذ اللحظة الأولى أن من ذهب إلى ماندورلا شخص سواي، لم أردْ لأحد في ماندورلا أن يحبني، الحب ينقض الظهر، لْم أحب سوى ألكسندرا والفراولة التي لا تجلب

fb/mashro3pdf

الحساسية، ربما تلك الفراولة هي الشيء القابع خلف الموت. مكافأة المتاهة، التي انتهت عدة مرات بالدهس.

أحفظ المراحل التي تسبق ما يقع خلف الموت، في البرزخ، برزخ التراب والنار، مررت كثيراً، عرفت السر الذي يجعل الهواجس عالماً والأشباح حقيقة، وشجرة الماندورلا مدينة، مُنحتُ الفرصة لأفتح الباب الموصد.

كيف نشأت ماندورلا؟ هنا في البرزخ، وأنا أستعد لما خلف الموت.

بمجرد أن يمر الموت، يقطف السمع، أولاً ليحل الصمت، لكنه لا يخطف البصر، إلا عندما ترى كل الكلمات التي نطقتها واستمعت إليها وقرأتها وكتبتها، تكوَّم كجبل قمامة ضخم تلتهمه النار، على قدر الكلمات يكون جبل النار، الذي تفوح منه رائحة بلاستيك محروق.

لا يفهم الكثير من الموتى مغزى ذلك العقاب، فالتنطُّع واحدة من الأشياء التي ترافق الإنسان، وهو يعبر برزخ التراب والنار، قبل أن يواجه جحيمه الحقيقي.

الصمت كان سيداً قبل أن تنتهكه الكلمات التي بلا طائل، كان يُغنَّى له ويُروى عنه، وتشيَّد المعابد من أجله.

هل العالم في حاجة إلى إضافة عبارات أخرى؟ خطيئة المتنطعين أنهم يظنون أن هناك من يحتاج أن يقولوا شيئاً. بعضهم يصيرون كتّاباً.

الكتابة هي الفعل الأكثر وقاحة في العالم، لا يجيده سوى السفلة والغرباء، ماذا تعرف عن العالم لتضيف إليه الكلمات؟. من أجل كلمات

fb/mashro3pdf

المهرجين ستقوم القيامة، من أجل الكلمات التي عقّدت المتاهة على العابرين، من أجل الكلمات التي اعتقد أصحابها تنطعاً أنها تضيء الطريق، سيُمحى الخلق.

لا أذكر إن كنت استعرت فكرة قطع الأذن اليمنى، التي تحتفظ باللغو، من عبوري المتكرر ببرزخ التراب والنار، أم أني كنت روحانياً بما يكفي لأتصل بالحقيقة؟

لا أدري، فعادةً الأشخاص الذين يتقدمون للعمل في وظيفة مونتير الذاكرة، يكونون على درجة من الجنون والنرجسية والإحساس بالذات، تجعلهم يعيدون خلق المشاهد التي مرت بنا مرة أخرى منتجين رواياتهم الخاصة عن ما حدث.

المطلوب هو أن تشاهد الحريق، لكنَّ أغلب الموتى يقعون في الخطأ ذاته الذي وقعتُ فيه في المرة الأولى لي في برزخ التراب والنار، فيقذفون بأنفسهم وسط اللهب، البعض يعتقد أن ذلك قد ينقذ كلماته، إن هو احترق فداءَها، والبعض يعتقد أنه اختير للجحيم، لذا يقذف بروحه للتطهُّر، كي ينتهي الأمر سريعاً، ولا تعود حاجة لحرقه فيعبر إلى الجنة.

الحقيقة أنك لا تحتاج أبداً إلى حرق نفسك، حتى الكلمات نفسها وإن احترقت في برزخ التراب والنار، فسيظل الحريق بلا أثر سوى رمزية العقاب.

سمُّ الكلمات يسري في الحياة، منذ بدء الخليقة، الكلمات لن تموت إلا مع دمار الأرض النهائي.

fb/mashro3pdf

يموت أصحابها، لكنَّ تابعيهم يكونون أكثر إخلاصاً لكلماتهم التي ربما تكون قد كتبت في حالة سكر أو غضب أو تملق أو خطأ حسابي أو مداواة جرح ابنِ لحظتهم أو جنون، لا أحد يعي خطورة ما يفعل عندما يخطّ فكرة في كتَاب أو مخطوطة. يحرص التابعون وتابعو التابعين على أن تظل الكلمات حية، أن لا يُشفى أحد من السم.

الموتى، إنهم يحكمون الأرض أكثر من الأحياء، الأحياء خدم الموتى، الأرض.. إنها مملكة الموتى الحقيقية.

لقد عدت عدة مرات، ومنذ أن كنت زهرة مشمش، لم أكف أبداً عن الحديث، عن محاولة جلب فكرة إلى العالم تحيا بعدي: الخلود هو أكثر أمراض الحياة تفشياً وابتذالاً، يتساوى في ذلك الإنسان مع قنديل البحر.

عقب انتهاء الحريق الذي قد يستغرق ثانية أو مئات السنوات، يأتي العمى.

العمى، لمن لا يعرف، يأتي به ملاك متقاعد لاستلام كافة النسخ الممكنة من احتمالات حياتك، والتي ظل مونتير الذاكرة يعمل عليها طيلة الفترة التي كنت تتنفس فيها هواءً وكلمات، ثم يسلّمها للجنة لاختيار أفضلها للعرض في مهرجان يقام كل عام، يتنافس فيه مونتيرو الذاكرة في العالم، كان الأمر مسلياً في بداياته للملائكة المتقاعدين، لكن مع الوقت صارت المهمة شاقة، الاحتمالات أقل جاذبية والمهرجان لم يشهد سوى نسخ مكرورة من الحياة، صار الأمر صعباً، لكن التحدي ميَّز مونتيري الذاكرة الأكثر إبداعاً، فلم تكن تُشاهد في العام سوى 10 نسخ محتملة ومميزة.

fb/mashro3pdf

لكن مع اقتراب العالم من تدمير ذاته، وهو الأمر الذي يعمل عليه الإنسان بجدية في حسنة وحيدة قد تحسب له طيلة تاريخه، تقلصت النسخ إلى اثنتين أو ثلاث، كل عدة أعوام، الأمر الذي حدا بإدارة المهرجان لإعلان نيَّتها بإلغائه.

حتى قدَّم مونتير الذاكرة الخاص بي عرضَه المميز، والذي لا يدين بالفضل فيه لإبداعه وموهبته، إنما لفشله.

عندما كنت أحيا في جسد عاهرة، عُين هذا المونتير لذاكرتي، كان تعيينه عقاباً على إهماله المتناهي لعمله في ذاكرة أناس آخرين، لم يكن مجنوناً أو نرجسياً أو فناناً. كان فقط سكيراً، ويقضي أغلب أوقاته في النوم أو الشرب، فضلاً عن أن ميوله الاكتئابية كانت واضحة وحاول الانتحار أكثر من مرة، ربما ساعده على هذا أيضاً أن المشهد الغالب على حياتي هو صوت الرجال وهي تلهث فوقي، فأنا لم أكن حينها، سوى فرج كبير مفتوح، كان المشهد مملاً جداً، ربما هذا ما جعله لا يرى أي بارقة أمل في إنجاز نسخه المطلوبة.

لكني كنت أحلم، فقط أحلم، لتجاوز حياتي القاحلة والمملة وعرق الرجال النتن، كانت تلك ميزتي الكبرى وقتها، ثم صارت هي كل شيء، ربما لأن الحلم هو الشيء الذي يقبع خلف الموت، الموت حلم طويل.. حيث كل شيء كما ترغب، كل شيء هو ما تريد، وإن لم يكن كذلك فغالباً ما تنجو، إن كنت على أرض الهواء والكلمات، فيكفي أن تصحو لتنجو من السقوط من شاهق، وإن كنت ميتاً فلا ضرر من تحطمك إلى ألف قطعة، فتلك إحدى ميزات أن تكون ميتاً مسبقاً.

fb/mashro3pdf

حياتي السابقة كقديس، لم يُتَحْ لي فيها فرصة أن أحلم، فقد كنت مشغولاً بالوعظ عن الموت. عن بروفات الموت المتمثلة في الأحلام.

لم أكن ألقي بالاً إلى تلك الميزة، إلى أن بدأ الجُذام في أكل جسدي، لم يكن ذلك حلماً، كان حقيقة موجعة، أطراف تسقط، عزلوني مع قطيع من المجاذيب والمجذومين.

كانت تلك وسيلتي لاستعادة جسدي المسلوب، قبل الجذام وبعده.

لكنْ في تلك المرة، كنت أحاول إنتاج حلم واحد متماسك وطويل، حلم يشبه ما خلف الموت.

كان الحلم يبدأ كل مرة بأن جسدي بأكمله اختفى، لم يتبق منه سوى طاقم أسنان يثرثر، ثم أبدأ في رحلة استعادة الجسد، قطعة قطعة.

ثم تطور الأمر لأتمكن من استعادته بشكلٍ أسهل، لم أعرف ماذا أفعل به، حتى رأيت في الحلم أني سحابة لها شكلٌ بديع، تتخذ هيئة القوسين المتداخلين للماندورلا، كنتُ السحابة الأجمل بين أقراني، وكان من السهل أن أحافظ على هذا الجمال بقتل أي سحابة أخرى قد تبدو لأي شخص أجمل، وصل جمالي إلى مسمع آكل السحاب، الذي قرر أن يأكلني لأني الأجمل، أو هكذا كنت أظن، فقررت الهرب، تخفيت في البداية على هيئة سفينة، لكنَّ آكلَ السحاب كشف أمري، لأني ظللت أسبح في الهواء لا الماء، فقررتُ التخفي على هيئة فأر، لكنَّ آكل السحاب كشف أمري مرة أخرى، لأن من السهل تمييز فأر من دخان أبيض، فتخفيت على هيئة مدينة وأسميت نفسي "نجرة"، ظناً منى أن الاسم القبيح قد يخفي عن آكل السحاب أمر جمالي بين المدن.

fb/mashro3pdf

كنت في هيئتي كمدينة أعلم كل شيء، لأني كنت في الأصل سحابة مرت على كل المدن، لكنْ أمرٌ واحد نسيت أن أتعلمه، هو الفاصوليا البيضاء، لم أسمع عنها.

كان أهل المدينة يعشقونني. لأني كنت الأجمل بين المدن على الإطلاق، ولحسن الحظ لم يخترع الحلم آكل مدن، كنت أتدخل لحل النزاعات بطيبة سحابةٍ وعدلِ بلدة هاربة من آكل السحاب، لم يجعْ فيها أحد، لم تَسِلْ فيها قطْرة دم، لم يُحكموا يوماً من خلال عقيدتهم أو لونهم، لم يُفتش في ضمائرهم، باختصار كانت مجرد هراء خالص.

توقفتُ عن استكمال الحلم عند هذا الحد، وعند اقتراب موتي، لم يجد المونتير السكير الوقت الكافي لإعداد نسخ من الإمكانيات المحتملة لحياتي، لم يجد سوى هذا الحلم غير المكتمل، فنسخه.

وعندما رآه المسؤولون عن المهرجان السنوى لمونتيرى الذاكرة، رفضوه بقوة، ورأوه فيلماً عادياً، (كان ذلك قبل أن يخترع الإنسان السينما)، كان منطقهم في ذلك الوقت أن لا فارق بين الحياة التي عرضتها نسخة السكير، والموت، فما الموت إلا حلم طويل ومستمر، وما الأحلام إلّا تذكير بالأرض الأبدية والخالدة المفتوحة على احتمالات بلا حصر ولا تستلزم المنطق، قدر ما تستلزم المتعة التي قد تتولد من الضحك أو الرعب.. الطفولة التي تدّعي البراءة والعبث الذي لا يقدس أحداً.

لم يعمل المونتير مرة أخرى في ذلك المجال، ونُقل إلى أعمال مكتبية.

في الحياة التالية، صرت رجلاً أبكم، ولم تتحْ لي الفرصة أيضاً لأعبر

fb/mashro3pdf

برزخ التراب والنار نحو أرض الأبدية، كنت أمنح الفرصة تلو الفرصة لإقامة مشروعي على الأرض قبل أن ينتهي الأمر بي بالدهس، وهي هبة لا تُمنح لكل الأرواح، ولا أعلم سبباً مميزاً لمنحي فرصة العودة إلى الحياة مرة تلو المرة، لم أعوِّلْ على أني لم أعش حياتي بشكل جيد في كل مرة، فملايين البشر يومياً يموتون قبل أن يدركوا الخلاص من المتاهة، يموتون مدهوسين على الأرجح بفعل الزمن أو البشر أو الصدفة.

في حياتي كرجل أبكم، ارتكبت أكثر عدد ممكن من الكلمات، عن طريق الإشارة أو الكتابة التي تعلمتُها، لأعبّر عن احتجاجي على وضعي في هيئة رجل أبكم، كما أني كنت فضولياً، للاستماع إلى حكايات الناس، وُهبت السمع بالأذن اليمنى فقط، واجتهدت لحشوها بأكبر كمٍّ ممكن من اللغو.

كنت ضائعاً، ورغم أني كنت أحلم كثيراً أيضاً، إلا أنني لم أنجح في تذكُّر أي حلم أبداً، لم أكن أرى حين أحاول التذكر، سوى أشباح تنسخ أحلامي، وتهرب بها إلى الموت.

فيما بعد، سأعرف أن هناك من رأى في عمل المونتير الفاشل، شيئاً هاماً، وعملاً أصيلاً، قد يعيد للمهرجان السنوي قيمته، لكن كان عليهم استكمال الحلم الطفولي، الذي فقدت حياتي السابقة قبل أن أجعل له معنى.

بعد انتحاري بقليل، بسماع أكثر عدد ممكن من الكلمات السامة، كنت في برزخ التراب والنار، أشاهد عرضاً من إعداد أشباح الموتى، نسخةً غير مكتملة من حلمي بماندورلا، أجمل مدن العالم.

fb/mashro3pdf

كانت ماندورلا المختبئة من آكل السحاب على هيئة مدينة، التي تعلمتْ كل شيء، قد نسيتْ شيئاً واحداً فقط لتتعلّمه، الفاصوليا البيضاء، لم تسمعْ عنها أبداً.

وذات يوم رأيتنى فلاحاً في نجرة التي كنتها كعاهرة، كان علي أن أبيع محصول القمح وأشتري ما تحتاجه بلدة "نجرة"، والتي طلبت مني أن أشتري بالمحصول نافورة جديدة.

بعت محصول القمح وعدت بالنافورة إلى البلدة وسط فرحة أهلها، كان شكلها جميلاً لكنهم فوجئوا بأنها لم تخرج ماء بل فاصوليا بيضاء، مما أغضب البلدة، لأنها لا تعرف ما هي الفاصوليا البيضاء.

حاولت البلدة إزالتها، لكنها لم تنجح. كانت النافورة متشبثة بالأمل، فهي المرة الأولى التي ينجح صاحبها في بيعها، فلم يكن أحد يرغب في نافورة تخرج فاصوليا بيضاء.

لم يفرح بها أحد من البلدة سواي، رغم خجلي في البداية مِن كون نافورتي تخرج فاصوليا، فقد كنت بلا أولاد أو زوجة أو أصدقاء، كنت مقطوعاً من شجرة، لكن الشجرة كانت في رأي البلدة "نجرة" مجرد سحابة غير جديرة بالبقاء في المدينة، لذا أكلتها، لم تكن البلدة شريرة، لكنها ظلت دائماً محتفظة برغبتها في أن تبقى الأجمل.. لم أعرف أبداً أن نجرة هي من أكلت شجرتي بعد أن قطعتني منها وعنها.

fb/mashro3pdf

مع الوقت أحبَّ أهل البلدة الفاصوليا البيضاء التي تخرجها النافورة، بل أصبحت الفاصوليا هي حديثهم اليومي، حتى أنهم فتنوا بها عن جمال بلدتهم "نجرة"، وأسموا النافورة "ماندرولا"، وهو ما أغاظ البلدة، فذلك كان اسمها، قبل أن تغيره إلى الاسم القبيح "نجرة".

"نجرة" غضبت أكثر وأكثر، فانتظرت ظلمة الليل وأتت بفأس وهدمت النافورة.

في الصباح، بكى أهل البلدة، أما أنا فكنت أكثرهم تأثراً، فجمع لي أهل البلدة ما تبقى من الفاصوليا البيضاء.. ثلاث فاصوليات، وضعُتهم في جيبي ومضيت إلى بيتي.

في اليوم التالي وجدت الفاصوليات الثلاث وقد أصبحنَ ثلاث بنات جميلات، وهو ما أسعدني، فقد صار لي أسرة من الفاصوليا البيضاء.

توقفت بكْرة النسخة المحتملة لحياتي، كان الأشباح يدبرون شيئاً ما، كان العرض لازال سخيفاً، في رأيي كان طفولياً جداً، عرفت فيما بعد، أن عليَّ أنْ أستكمل الحلم في حياتي التالية كمحارب.

خضت معارك كثيرة، لم أصبْ فيها بخدش واحد، كنت رمزاً للشجاعة، للقوة، للدهاء، لكن في عيد ميلادي الأربعين، محيت الأسطورة عندما أصبتُ بداء النوم، لأسجل أكثر الأحداث غرابة في معركة حربية، عندما نمت وسط معركة، ولم أصب بخدش، نجوت ببدني في معجزة، لأصير نكتة الجيش فيما بعد.

fb/mashro3pdf

لم أخض معركة بعد ذلك إلا في مقاومة داء النوم، وخسرتها، كنت أصحو ساعتين فقط يومياً، لأجد كسرة خبز، وشربة ماء، تكفيني لأواصل الحياة نائماً، وأحلم بالمدينة السخيفة التي لا تعرف شيئاً عن الفاصوليا البيضاء، كمبرر درامي يفتقد للمنطق وللقوة. فيما بعد سأعرف أن الحياة لا تستلزم تنقلاتُها أسباباً درامية مقنعة، فالهواجس، الظنون، الحرّ، الشهوة، الملل، الصدفة، الغرور، الصداع، الرغبة في الخلود، لدغة بعوضة، قشرة موز ملقاة على الطريق، كلها مبررات قادرة على تحريك الأحداث، رغم أنها أيضاً مبررات درامية غير مقنعة، ثم فيما بعدُ لتنطُّع في عقل الإنسان، المحاط دائماً بالماء والكبرياء، سيحاول أن يفلسف ويضّخم مبررات أفعاله وقراراته، بما يطمئنه هذا بأنه ليس تافهاً إلى هذا الحد.

كان على الفلاح الذي كنتُه كرجل أبكم، أن يخفي البنات الثلاث عن أعين المدينة التي كُنتُها كعاهرة.

لذا أخفاهن في بيته، بل أخفى عنهن، أن هناك عالماً خارج البيت: كيف يحدث ذلك؟ لا ضرورة للتبرير، الأحلام تخفي كلمة كيف إن شاءت ولا أحد يسألها لم حدث ذلك بتلك الطريقة، رغم أن الشك لم يتطرق إليَّ لحظةً في أن ذلك قد يحدث فعلاً في الحياة دون مجهود خرافي.

عوَّض الأب أيضاً غياب الأم، باختلاقه حكايات عنها، كان يعوض غياب أمه في الأساس (إن كنتَ تحتاج إلى مبرر). حكى أدق التفاصيل عنها، ملامح وجهها، لون ملابسها المفضل، قصة الشعر، طريقة ضحكتها، كيف كانت تعتني بهن، بل ألَّفَ عدداً من الأغنيات التي كانت أمهن الافتراضية تغنيها لهن قبل النوم، كما ادعى أن بكرة الغزل،

fb/mashro3pdf

المحفوظة في خزانة الملابس، سحرية، قادرة على غزل شموس وأقمار ومدن، وعندما جربتها البنات الثلاث، و لم ينجحن في غزل أكثر من عدة جوارب، برر الأب الأمر، بأن بكرة الغزل تحتاج إلى كلمة سحرية لغزل الشموس والأقمار والمدن، لم تكن تعرفها سوى أمهن.

لم أكن في البداية حاضراً في الحلم، الذي يحتاج إلى سنوات طويلة لتتمكن من جمعه وسط ركامٍ هائلٍ من الأحلام التي تبتعد عن الحلم الأصلي المنشود.

ظلت حكايات الأب، هي الأم الحقيقية للبنات الثلاث، اللواتي كن في الأصل، ثلاث فاصوليات.

فجأة، كعادة الأحلام، عرفت دوري في هذا الحلم، كنت أنا بكرة الغزل، وكان دوري ببساطة أن أحرك هذا الحلم الساذج إلى الأمام قليلاً، بأن أتحرك بشكل مسرحي بعد نوم الأب، وأوقظ البنات الثلاث، لأقوم باستعراض رأيته مملاً، حتى وإن أبهرتهنّ، فقد استمعت كبكرْة غزل لكل حكاياتً الأب عن الأم، لذا قمت بغزلها لهن كما حكى عنها، ليتحول الحلم داخل الحلم إلى حقيقة تتحرك.

الأم، كانت طيلة الليل تعلمهن كيف يغزلن الشموس والأقمار والمدن، أدهشهن أن الأمر لم يكن يحتاج إلى أي كلمة سحرية كما قال الأب، وما إن يأتي الصبح، حتى يُنقض الغزل، فتعود الأم إلى خيوط.

ظللت ألعب هذا الدور عدة أيام وليال، حتى أنقذتني الأم، التي حكت لهن أن هناك عالماً أكبر من البيت، سيظهر بمجرد أن يخرجن من

fb/mashro3pdf

الباب الذي يسمح الأب لنفسه فقط بالخروج منه، والذي أسماه بالخروج من العالم.

لكن الأم، نقضت أسطورة الأب عن أن العالم هو البيت فقط، وبدأت في إخبارهن بالسر الحقيقي وراء إخفائهن، الخوف من البلدة، وأن العالم يختفي داخل البيت لا خارجه، وقصت لهن عنه.

ذات ليلة توقفت الأم عن المجيء، ليلة وراء ليلة، فقررت البنات الثلاث الخروج لرؤية العالم.

لكن ذلك كان موعد نوبة الغضب الموسمي للمدينة، في ذلك الموعد كانت تبكي وتفكر في الانتحار لاشتياقها للعودة إلى طبيعتها الأصلية كسحابة.

الريح الغاضبة التي أطلقتها المدينة، ابتلعت البنات الثلاث في دوامة.

توقفت بكرة النسخة المحتملة لحياتي مرة أخرى، في برزخ التراب والنار، استقبلتني جماعة سرية من الأشباح تجمعت على إيمانها بحلم مونتير الذاكرة الفاشل، الذي نقل إلى أعمال مكتبية، لتقديمه حلماً بدلاً من تقديمه روايات واقعية عن حياتي.

كان تلك الجماعة، تود إنجاز التجربة لمقاومة الكهنوت الذي يرفض إعادة الحياة للمهرجان السنوي.

كانت أسطورة ذلك المونتير تنتقل إلى الأجيال الشابة من الموتى ومونتيري الذاكرة، وتصنفه كعبقري، وتستميت لتنفي عنه صفة الفشل، ليس لجودة الحلم وإنما لجرأته على اختراق النظام والعادة، لكنها لم

fb/mashro3pdf

تكن تستطيع مخالفة الأوامر وتسجيل الأحلام، كما أنه لم يتح لأرواح كثيرة الفرصة لاستكمال حلم واحد حتى ولو كان محض هراء خالص، كحلمي.

في برزخ التراب والنار، في مرحلة حرق كلماتي، رأيت علماً كبيراً، عليه صورة تعرفت عليها فوراً، كانت وصفاً تخيُّلياً لروحي، روح صبي في الرابعة عشر من عمره، يمتطي فيلاً أزرق وفي يده سيف الإسكندر، كان من الواضح أني أحظى بشعبيةٍ ما في هذا المكان.

ذلك كان جوهري الذي يتبقى بعد حرق الكلمات كل مرة، لم أكن قديساً أو عاهرة أو زهرة مشمش أو قنديل بحر ولا محارباً، كنت صبياً في الرابعة عشر.

لكنْ في المرة التالية لعودتى للحياة لإنجاز الهراء، لم أعد على هيئة ذلك الصبي، عدت على هيئة قواد.

تلك المرة كنت أعي مهمتي، أتذكر أني وُهبت الحياة لأحلم، لكن لم يكن من السهل أيضاً استكمال الحلم ذاته، فالأحلام كالكلمات، القليل منها قد يصلح لإنجاز غاية.

لم أكن أكره مهنتي كقواد يبيع المتعة ويتاجر في أجساد النساء، فأنا أول من يدرك أن الجسد ليس شيئاً، الجسد وعاء يخفي جسداً آخر، روحاً أخرى، حلماً آخر.

الجسد قناع، يستقبل التقرحات، خلق للتمزق، للاستهلاك، كما أنه في حالات كحالتي يمكن استبداله تماماً عند استنفاده.

fb/mashro3pdf

ولدتُ أعمى، لم أر شيئاً على حقيقته أبداً، لكنْ لم يدرك أحد عماي، كنت أرى، لكن على طريقتي، فالعاهرات قديسات، والقديسات عاهرات، والقاضي مجرم مقنع، والمجرمون حماة العدل، أصحاب الطموح زومبي يأكلون الناس بوحشية، بائعو حمّص الشام مريخيون مقنَّعون، المهمشون ملوك مختبئون، السفن حرباءات عملاقة، القمر مهرج، النجوم خريطة كنز، الأدمغة أحذية لأناس تمشي بالمقلوب، السحب سفن.

كنت أحلم، بدلاً من الرؤية، لذا كان من السهل أن أجد لنفسي دوراً جيداً في حلم ماندورلا غير المكتمل: اخترت تلك المرة أن أكون آكل السحاب، الذي جاء ليقتصّ من "نجرة".

تخفيت على هيئة شيخ عجوز، بعد أن ابتلعت الريح الغاضبة، فمنحتُ البنات الثلاث فرصة الخروج إلى العالم، بعد أن ظنن أن الريح هي لعنة هذا الخروج.

كانت نجرة تبكي، لكنها عندما رأت البنات الثلاث، قررت أن تأكلهن لأنهن بدوْن لها ثلاثَ سحابات أجمل منها.

لكن البنات الثلاث، فاجأْن المدينة بقولهن: ما أجملك! كل ما ينقصك هو كحل لعينيك وزينة لشعرك.

في اليوم الثانى قال أهل البلدة لنجرة: لقد صرت أجمل بالكحل، وشعرك أيضاً أصبح ألطف كثيراً.

fb/mashro3pdf

في الليل تسللت البنات الثلاث مرة أخرى إلى نجرة، التي كانت تبكي أيضاً لأنها في سحابة بيضاء، وفكرت أن تأكل البنات الثلاث، لكن البنات الثلاث اللاتي يملكن سر بكرة الغزل، أرينها بعضاً من فنونهن في الغزل، فبدأن في غزل مخلوقات عجيبة، مريخيون في أطباق طائرة، طيف يمكنه التحول إلى أي هيئة أراد، حوريات كن في الأصل عاهرات، أكورديون يمكن لامرأة أن تقع في غرامه، شموس يمكن لأهل الأرض التربح من بيعها، فيل أزرق قادر على الطيران، متاهة من النجوم، أشجار شوكولاتة، مكتبة في حجم الكف يمكن أن تتحول إلى مكتبة ضخمة بإدارة الزمبلك، قبلات لها ذاكرة العشاق.

كل شيء يمكن غزله، شيء واحد نسوْه: فراولة لا تجلب الحساسية، الفراولة التي ستصبح هي هدف حياتي الوحيد كجو.

حاولت المدينة أن تغزل ببكرة الغزل، فشلت، لكن الهدايا التي تركتها البنات الثلاث قبل عودتهن إلى المنزل كانت كافية لإلهائها.

عندما أستيقظ أهل البلدة، ووجدوا الهدايا، ظنوا أنها من مدينتهم، فزاد تعلقهم بها.

كان آكل السحاب الذي عرف أن المدينة هي سحابته الهاربة، ينتظر الفرصة لأكلها.

انتهت حياتي كقواد قبل أن أنهي النسخة الأولية والساذجة لحلم مدينة ماندورلا.

في برزخ التراب والنار، ساعدني عدد من الأشباح على أن أطّلع أكثر

fb/mashro3pdf

وأكثر على المشروع الأكبر، الذي يقدم لهم أكبر تسلية ممكنة في عالم لا يتوفر لهم فيه غير السباحة.

كان المشروع يقوم على مبدأ بسيط، نفس المبدأ الذي رُفض من أجله من قبل: بما أن الموت هو حلم طويل، وبما أن من السهل تخمين ما سيؤول إليه العالم من دمار، لذا سيكون موت الأحياء المؤقت، أفضل تسلية للموتى في هذا العالم، خاصة في الوقت الذي بدأت فيه أحلامهم فيما بعد الموت في النضوب.

الموتى، كانوا في حاجة للسيطرة على أحلام الأحياء، بعد سيطرتهم البالغة على حياتهم، لكن تلك المنطقة الغامضة في عقل الإنسان، المسماة بالحلم، والتي تخترق النظام الخاص للعالم، وتجعل من قواعده الصلبة، مجرد صلصال في يد طفل، لم تكن في يد الموتى بشكل كامل، رغم أن الأحلام في الأساس محاولة لاستعادتهم، كل ما قيل نبوءات ورسائل يأتي بها الموتى في الأحلام، كانت في الأساس من اختراع الأحياء، تعبيراً عن قداسة الموتي في حياتهم.

الصدفة، التي خلقها مونتير ذاكرة يحاول مداراة فشله، كانت سبب كل هذا الصراخ في أذني، الصراخ الذي جعلني عميلاً للموتى، أنفذ مخططهم بالسيطرة على أحلام البشر.

لم يكن تجنيدي بتلك البساطة، لكن بصري الآن حديد.

كان عليَّ أن أذهب للمدينة كبائع عرقسوس بظهر مقوَّس، في حياتي التالية لحياتي كقواد، والتي سبقت حياتي كجو، لم أولد لأحلم، بل لأكون داخل الحلم مباشرة.

fb/mashro3pdf

بائع عرقسوس يدخل ماندورلا، يبحث عن فتاة يتزوجها لتؤنس وحدته وتجعل أيامه بلا عشارى.

وقفت بجوار الهدايا التي غزلتها البنات الثلاث أتفرج، فظن أهل المدينة الحمقى، أني أحد هدايا المدينة، خاصة أني قلت إن الزحام فرصة جيدة لبيع العرقسوس، أعجبهم العرقسوس، فلما انتهوا، أعجبهم ظهر بائع العرقسوس المقوس، أحدهم اقترح فكرة أن يكون جسدي المقوَّس وأنا أصب أقواس العرقسوس شعاراً للمدينة، أعجبتني الفكرة، كأي بائع عرقسوس مغفل، لذا تغاضيت عن كونهم لم يدفعوا الحساب، واستمريت في صب العرقسوس.

لكني لم أجد فتاتي، فاتكأت أسفل شجرة، الشجر طيب كما نعلم، لكن قد تفاجئك شجرةٌ بعرض فك أزمة قضيبك المحتقن بالشهوة، كما تكون شرسة إذا قررت أن تماطل ولا تدفع.

بعد أن انتهيت، سمعت المدينة تستغيث، كان آكل السحاب قد عثر عليها وقرر أن يأكلها. كنتُ منهكاً من أداء الشجرة اللعوب، ففضلت الفرجة، لكن البنات الثلاث وجدن الحيلة، فقد بدأن في الرقص لآكل السحاب، حتى انشغل عن المدينة، وشاركهن الرقص، إلى أن تعب وغط في نوم عميق.

البنات الثلاث انتهزن فرصة نومه، وحاولن ربطه في الشجرة، استطعن حمله، لكن من يستطيع أن ينكر حقيقة أن هناك دائماً بائع عرقسوس متحمس، يجيد ربط آكل سحاب في شجرة لعوب بشكل أفضل من البنات الثلاث؟

fb/mashro3pdf

لم أفعل ذلك بدافع المساعدة، لكنْ بدافع مغازلة إحداهن، كانت فرصة سانحة لأختار فتاتي من بين ثلاث بنات جميلات، لو كان الأمر بيدي لتزوجتهنّ معاً.

أثارت طريقتي في ربط آكل السحاب، والتي جعلت هروبه أمراً صعباً إعجابهن.

ثم عادت البنات الثلاث لتعليم المدينة الرقص، ثم عدن قبل أن يصحو الأب إلى المنزل، تبعتهنّ، بقلب مقسوم على ثلاث.

في الصباح، وجد أهل المدينة آكل السحاب، عرفن الحكاية من نجرة نفسها، فظلوا يقذفونه بحبات التين.

قدمت نجرة عرضاً لآكل السحاب، أن تطلق سراحه شريطة ألا يحاول أكلها، وافق آكل السحاب، لكنه رفض بشكل قاطع أن تعود لهيئتها كسحابة بيضاء، إلا بعد أن تصلح ما كسرته، ثم تركها ومضى.

ظلت المدينة تفكر في الشيء الذي كسرته، بينما أنا أوازن بين أرداف البنات الثلاث. عرفت أني أُصبت بالعشق، أريدهن معاً، توقفت عن بيع العرقسوس، ولم أقرب الزاد طيلة أيام، وفضلت الموت على الحياة، فقررت أن أحفر لنفسي قبراً، لكن ما إن بدأت في الحفر، حتى اصطدم معولي بشيء، كانت النافورة التي تخرج الفاصوليا البيضاء، والتي كسرتْها المدينة، عندما فتن بها أهلها.

أخرجتُ أجزاءها المبعثرة، وعكفت على إصلاحها، أياماً ولياليَ، حتى استعادت هيئتها، وعندما حاولت أن أعيدها إلى مكانها الأول، أوقفني سوط جلدني على ظهري المقوس.

fb/mashro3pdf

كانت "نجرة"، بدت غاضبة وهي تصرخ: كيف تجرؤ على إصلاح النافورة التي حرَّمتها على أهل المدينة؟

قلت: ربما في تلك النافورة خلاصك، آكل السحاب وعدك بإعادتك إلى أصلك كسحابة بيضاء إذا أصلحت ما كسرْتِه.

فكرت المدينة قليلاً، ثم قدمت عرضاً: ستجعل البنات الثلاث بنتاً واحدة، مقابل أن أخبر الجميع بأنها من أصلحت النافورة، كي تستعيد هيئتها.

لم أندهش، لأن المعجزات في الأحلام أمر طبيعي كالشروق والغروب وشرب العرقسوس.

في اليوم التالي، كنتُ قد نشرت في المدينة كلها، عطف "نجرة" وكرمها الذي جعلها تسهر الأيام والليالي لإصلاح النافورة، وإعادتها إلى حالتها الأصلية.

عاد الفلاح إلى الظهور، ومعه بناته الثلاث، ليقبل الأرض بين قدمَي المدينة، لم تحولهم المدينة إلى بنت واحدة، شعرت بالغضب الشديد لخدعة المدينة.

عرف آكل السحاب بأمر النافورة وكرم المدينة، لذا أعادها إلى ما كانت عليه كسحابة بيضاء، لكننا اختفينا جميعاً من الوجود.

هكذا انتهى الهراء الذي فقدت حياتي عدة مرات لأنهيه، ليبدأ هراء جديد.

في برزخ التراب والنار، تلك المرة، كان عرض الأشباح واضحاً،

fb/mashro3pdf

سيمنحونني الفرصة لأصير ملكاً على مملكة الموتى في الحياة، مملكة الحلم، كل ما تخيلته، سيصير حقيقة، كل هاجس سيجسد، وسيعمل تحت إمرتى فرقة من الأشباح، سأقودهم كفرقة مسرحية جوالة، تسلى الناس، بينما هدفها الأصلى، هو منحهم الخلاص من الحياة بالعبور نحو مدينة ماندورلا، هدية الموتى للأحياء، أجمل مدن العالم.

منحونى بكرة الغزل، كنت أعرف سرها، فأنا شخصيا كنت بكرة الغزل في حياة سابقة، وطلبوا أن أعيد بناء ماندورلا، التي انتهت باختفاء كائناتها من الوجود، وتحولت هي نفسها إلى سحابة بيضاء، تكره أن ترى سحابات أجمل منها.

قررت أن أحتفظ باسم المدينة، والنافورة التي تطلق الفاصوليا البيضاء، وسليزي الطيف الهائم، الذي كان مجرد كومبارس صامت لم يشعر به أحد في النسخة الأولى من الحلم، كان قادرا على أن يحل في أي هيئة أراد، رغم أن لا هيئة له.

عندما انطلقتُ إلى الحياة، نسيت كل شيء بالطبع، وضعوا برنامجاً في رأسي، لن يعمل إلا عندما أُتِّم الرابعة عشر من عمري، العمر الذي لن أكبر بعده، فقد اختاروا لي قصة بيتر بان، وهي الفكرة التي كانت خيالاً في عقل مؤلفها، ثم صارت حقيقة، عندما صدَّقَها أكثر من عشر أشخاص، وجدوا أنها الحل الأنسب: صبيٌّ لا يكبر أبداً، له هيئة الغجري، كل التشوهات التي لحقت بتلك القصة كانت من خيالي.

لكن قبل أن أبلغ الرابعة عشر من عمري، كانت هناك فترة طيبة من التمرينات التي تجعلني آلف الأشباح، كانوا يظهرون على خشبة مسرح،

fb/mashro3pdf

يؤدون فقرات مضحكة، كانوا سري الصغير.

كان عليهم أيضاً أن يزرعوا مبرراً لرحيلي نحو ماندورلا، مبرر ساذج أن أشعر بتلك الشهوة ناحية الفراولة وأن أُحرم من أكلها، كنت أعتقد أنها في الجنة، مكافأة الصابر كما قال أبي، اختبار الرب لإنسانه الذي أحبه، لكني لم أُطقْ صبراً.

خلقت عالمي، تخيلتُها يوماً بعد يوم، الجنة، ماندورلا، أجمل مدن العالم، المكان الوحيد الذي قد توجد فيه فراولة لا تجلب الحساسية، لكنها لم توجد، كانت تلك كلمة سر الأشباح، لأستمر في الحلم، في طاعتهم، في تجنيد الأحياء لعبور برزخ التراب والنار إلى مدينتي.

مدينتي؟ أشك حقاً أنها كذلك، ذلك الحق الذي تنازعتهُ مع الماما.

ادعت الماما أنها السحابة البيضاء، في النسخة الأولى والأكثر سذاجة من نسخة جو الجديدة، السحابة التي لولاها ما كانت هناك مدينة، وباختفائها ضاع الوجود.

لكنْ كانت تلك حجة واهية، فأنا من اختلقتُ السحابة البيضاء، ليس أنا تحديداً، شخص سواي في حياة سابقة، أنا من كنته، أم مونتير الذاكرة؟

لم يَحسِمْ أحد أمرَ قصة خلق ماندورلا، ظلت الماما على يقينها، ولم أحاول حتى التفكير في الأمر، ففي ماندورلا كلنا نلعب، لا فائدة لمنتصر أو لمهزوم ففي نهاية دورة اللعب، سنعاود الكرة من جديد.

لكنى الآن أشك في روايتي تلك، ربما اختلقها مونتير الذاكرة، ربما لم

fb/mashro3pdf

أوجدْ أصلاً، ربما كنتُ حكاية على لسان الأشباح، استمروا في روايتها، حتى تجسدت.

ربما كان لي أب وأم. عندما كنت في التاسعة من عمري قررتُ الهرب تاركاً رسالتي على طاولة المنزل: الفراولة التي لا تجلب الحساسية موجودة على الأرض.

بمجرد خروجي من باب المنزل، لم أجد نفسي في هذا العالم، رأيتني في برزخ التراب والنار، لكنْ تلك المرة، كنت أمام المكان الذي لا يعرف سره سوى قلة، كان هناك سور، كل ما كان عليَّ أن أفعله هو أن أهدمه بمعول، لم يساعدني أحد. ما إن فعلت حتى وجدت ماندرولا، التي اختلقتُها في أحلامي، أو دسّها لي الأشباح، ومُنحتُ القدرة لأجعل أحلام الناس وهواجسهم حقيقة، وأجندَهم للمجيء إلى ماندورلا، جنة الموتى وأجمل مدن العالم.

هل خرجتُ من الباب أصلاً؟، هل أنا هنا؟ أم أنا رواية على لسان الأشباح والموتى؟

كل ما أعرفه الآن أنَّ ما حدث يحدث، وأن موتي تلك المرة كان بلا رجعة، بعدما بدَّلتُ دوري في اللعب مع شاهر، الآن تحرق كلماتي، أنتظر رمادها، لأنتقل إلى فقدان البصر، حيث لا شيء سوى حلم طويل لإزجاء الوقت.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سارة والشاعر الرامي

الأشباح، ملّاك ماندورلا الحقيقين، أدرك شاهر ذلك مبكراً، إنهم يتظاهرون بأنهم مثل الآخرين، يدينون بالولاء لمن يحكم المدينة، بينما هم المتحكمون في كل شيء.

ماندرولا هي مملكة الموتى للسيطرة على أحلام البشر، مساحتهم الحرة الوحيدة من النظام المقدس والمتوقع لمسارات العالم، وجو ليس مخلِّصَ المدينة، إنه مجرد عميل تافه للموتى.

بلورة ألكسندرا، أنبأته بذلك عندما ساعدته على فك شفرة متاهة الآذان التي جمعها جو القديم بحدس البحث عن الخلاص، والتحرر من نير عبودية الأشباح. كان يتظاهر بأنه يجمعها لهم، بينما هو يصطفي منها آذاناً تحمل جزءاً من خريطة الخلاص، خبّأ ما جمعه في صدفة الحلزون، لكن جسده خانه قبل أن ينجح في فك شفرة المتاهة.

fb/mashro3pdf

إلا أن بصيرة شاهر، المتخلصة من فكرة الذنب التي آمن بها جو القديم، ساعدته على أن يرى السر في عيني بلورة ألكسندرا.

معركته مع الماما ضرورية، رغم أن الصراع في الأساس مختلَق من جانب الأشباح، كي ينشغل الطرفان عن مقاتلتهم، انتصارُه النهائي على الماما سيزيل القناع عن عدو المدينة الحقيقي، الأشباح، ممثلو الموت في المدينة، كي يحرر البشر من سيطرة الموتى على أحلامهم.

كان مولا يلح على أن تلك هي الفرصة المناسبة للقضاء على الماما، التي كانت تختبىء في كهف الذئب بعد أن قتلته، لا لشيء سوى أن رغبة قتله كانت تعتريها حينها.

لكن رائحة البيض المقلي، التي غزت المدينة، منعت جو من اتخاذ القرار.

كانت الرائحة منبعثةً من كهف الذئب، حيث تختبىء الماما وحورياتُها.

عندما بدأت ريهام في إعداده وسط دهشة الحوريات، اللاتي لم يعتدن هذا الفعل من الماما القديمة، لم تكن تعرف الهدف من وراء ذلك، لكن عدم معرفة الهدف، ألهمها القوة للاستمرار في إعداده، كأنها ستفعل ذلك أبد الدهر.

فكرت أن إعدادها للبيض المقلي، ربما يذكرها بالبيت، قبل أن تحترق بجنون جو، كانت تحاول اختلاق هدف، لكنها مع الوقت أدركت أن إعدادها للبيض المقلي، لا يهدف إلى تذكيرها بالبيت، وأن ما تفعله يملك فقط قوة اللاهدف.

fb/mashro3pdf

فاض الكهف بكميات كبيرة منه، لم تأكله الحوريات، فالحوريات كما تعرفون لا يُحببْن البيض المقلي، لكنهن اضطررن لرميه في النهر.

إلا أن الماما المدفوعة باللا هدف، لم تعمل حساباً لأن الحياة، تصب المليء على الفارغ كي تجد مبرراً مقنعاً لوجودها. خلقت الحياة هدفها، أثارت الكميات المهولة، ذات الرائحة الشهية، رغبات أهل ماندورلا، العشائر السبعة التي توقفت عن القتال منذ عودة جو، بعضهم تحرك بدافع الأكل، وبعضهم ضاجع أول شيء قابله.

كان انتصار جو على حرباء الكهف، قد أعطى بعضهم الأمل في انتهاء سطوة الماما، لكن الأكثرية، لم تستغْ فكرة أن تمنح طاعتها لرجل في الثلاثين، بأذن مقطوعة، يدَّعي أنه صبي في الرابعة عشر من عمره. كانوا يكرهون الماما، لكنهم أَلِفوها، وعندما جاءت لحظةٌ للتحرر من عبوديتها، كانوا قد اعتادوا تلك العبودية على أنها قانون العالم، وأن أي تحرر منها، لا يعني سوى مزيد من الرعب.

تحلقت جماعةٌ حول جو، تطلب منه مقاومة جيوش الماما المهزومة، التي تستعد من جديد للانقضاض على عرش ماندورلا الفارغ.

رغم علمهم أن جو ليس جو، فقد قرروا أن يعيدوه إلى هيئته، أن يدرّبوه على أن يستعيد قدرات جو، في الطيران والمناورة والقدرة على أن يجعل من كل حلم حقيقة، ومن كل هاجس واقعاً متحركاً.

شاهر، الذي يحمل روح صبي في الرابعة عشر، أدرك أن أزمته في جسد جو المترهل، جو أعطاه جسداً شائخاً، استهلكته الحياة، لا يصلح إلا للرمي في القمامة.

fb/mashro3pdf

يعلم الآن أن وضعه أشبه بروبين ويليامز في فيلم هوك الذي رآه مرات، حيث الجسد يعوق الطيران، يعوق الحلم، وأن عليه أن يتحرر من جسده.

شاهر رغم صغر سنه، يملك بصيرة مخالفة لما يعرفه جو عن الحياة، التحرر من الجسد، خطيئة في نظره، الجسد ليس مجرد قناع، الجسد هو الحياة، هو المعرفة، هو الفارق الضئيل بين بائعى الوهم والمنتصرين، التضحية الحقيقية لا تكمن في التضحية بالروح، فالروح تواصل الحياة عبر حلم الموت، التضحية الحقيقية التي تؤهل لانتصارات، هي الجسد.

الأرواح لا تتضاجع ولا تنجب، معركتها مع الجسد، في رأى شاهر، معركة تستنزف كليهما، تجرهما للفناء قبل ترك الأثر، للتردد في خوض الحياة.

لذا رفض شاهر محاولات مولا وسليزي وجوجل، لتأهيلِهِ عبر تدريبات تصفية الذهن والتأمل واليوجا، رأى ذلك كله محض هراء.

أثبتت رائحة البيض المقلي، التي أثارت شهوات أهل ماندورلا، وجعلت أغلبهم يميلون نحو الماما، أن نظرية شاهر "الفاسدة " في رأي مولا، قد تحمل قدراً من الصواب، لا لصحتها، بل هي في الواقع نظرية هشة ومرتبكة ويمكن دحضها من جهات عديدة، لكن لأنها الأنفع في تلك المرحلة، معركته الحقيقية الآن ليست على أرواحهم التي أفسدتها العبودية، بل على أجسادهم، من يسيطر على الجسد سيحسم قصة ماندورلا.

fb/mashro3pdf

الماما أدركت أن حس ربة المنزل، يملك سحراً، مجرد قلي البيض، حرك الكفة ناحيتها، "العالم الجائع.. عالم تافه.. لكنه مريح" قالت الماما للأكورديون الراقد بجوارها، هي الوحيدة في هذا العالم، التي تؤمن بأن ثمة حياة بداخله، انبأتْها ذلك مضاجعاتها العديدة له، مضاجعات ينقصها أن يحمل ذلك الأكورديون قضيباً حقيقياً.

أمرت الماما حورياتِها بإطعام طابور الجوعى، من بيضها المقلي، بدلاً من إلقائه في النهر.

رفض شاهر فكرة مولا بالانقضاض على الماما في كهفها وبدء الحرب، قبل أن تقتلهم فتنةُ بيضها المقلي، لكنه عاد وأمره بتجهيز عشر فرق، كل فرقة من عشرة أفراد، يقومون باختطاف الجوعى من طابور البيض المقلي.

نفذ مولا الأمر، رغم أنه لم يفهم ما وراءه، نجحوا في اصطياد مئة فرد، وجروهم كالأغنام، ناحية قصر جو، صدفة الحلزون الضخمة، وقيدوهم في قبو.

كانت خطته: أن ينسج من أجسادهم جسداً جديداً لنفسه، لكن الخطة كانت تستلزم أن يحصل على بكرة الغزل، التي أخبره سليزي بأنها صارت بحوزة عبد الجبار.

بعد نقاشات عديدة مع سليزي ومولا، حول ما إذا كان الحل هو الذهاب إلى مصنع عبد الجبار بجيش صغير للحصول على البكرة، أم استدراج عبد الجبار إلى ماندورلا، استقر الأمر على الذهاب بوفد مكون

fb/mashro3pdf

من مولا وجوجل لمفاوضة عبد الجبار، على إعطائهم بكرة الغزل، مقابل إعطائه سارة والشاعر الرامي.

هرب الشاعر الرامي وسارة في مصنع ليلو، عندما قام عبد الجبار، بغزوه، الصدفة وحدها هي ما قادهم إلى ماندورلا، عندما حاولا الهروب عبر أحد الأبواب، كان المصنع نفسه برزخاً ما بين ماندورلا والعالم، وعندما وجدا نفسيهما هناك، كانا ضمن الأجساد التي أثارتها رائحة البيض المقلي، واختطفها جيش جو.

بلورة ألكسندرا، أخبرته بأهمية الأسيرين لدى عبد الجبار، والده.

كان عبد الجبار يبحث كالمجنون عنهما، لم يكن هناك هدف آخر من غزو المصنع.

في القبو، لم تكفَّ سارة والشاعر الرامي عن الثرثرة، والتفاوض حول إمكانية إطلاق سراحهما، مقابل منتجات صينية مدهشة، بنصف الثمن، كل شيء يمكنك الحصول عليه، لا تحتاج إلى معجزة، موهبة، ثروة، سيادة، أو نفوذ.

كانا مزعجَين للجميع، باستثناء سليزي، الذي رأى في أحاديثهما لغة الرُّسُل، لكنَّ ما لفت نظره فعلاً هو حديثهما عن بكرات غزل بسعر رخيص، تعمل عمل بكرة الغزل الأصلية، تغزل الشموس والأقمار والمدن والأحلام والهواجس، كانا يتحدثان عن مخزن كبير لا يعرف أحد بأمره سواهما، صفقة العمر التي اشتروها من وراء ظهر ليلو: تحمل بكرات غزل للجميع.

fb/mashro3pdf

لم يحدث أن آمن سليزي بأحد، إذا ما استثنينا محبته لجو التي لا ترتقي لدرجة الإيمان، هو مجرد رسول فري لانس، يعمل لمن يدفع.

لكن حديث سارة ورامي، العجوزين المترهلين، مس قلبه: الأحلام للجميع، السيادة للجميع، استفزه ذلك كرسول أفنى عمره في الترويج لمبيعات لا يحبها، رأى في ذلك أيضاً فرصة لايقاف للحرب بين جو الجديد والماما الجديدة، حيث لا أحد يملك السر، حيث لا سر.

لم يكن رامي يتحدث كثيراً، كان يتلعثم، يحاول أن يبدأ الحديث فيفشل في لفت انتباهك، رغم أن شبابه كان يتميَّزُ بقدرات تسويقية هائلة، كانت سارة هي الأكثر جاذبية، تتدخل لتنقذ الموقف، فتستمع إليها بشغف، لكن نظرة مدققة تجعلك تعرف أن لولا ذلك الباهت ما أضاءت سارة، لولا تراجُعه ما تقدمت، ما رأيتها أصلاً، كانا روحاً واحدة لا تجمعها المحبة، وإنما استكمال الناقص، وادعاء الكمال، الاحتقار والكراهية صهرتهما في روح واحدة.

بعد أن انتهت سارة ورامى من فشخ حياة عبد الجبار، حاول رامي أن يؤسس لأسطورة شهرته عبر الشعر، وظلت سارة على عشقها لالتفاف الجمع حولها، دوَن أن تَمنَح قلبها لأحد، لكنْ ما إن تخطت الثلاثين، حتى انطفأ البريق وانفض الجمع، صارت وحيدة وكئيبة، وعصبية.

كان رامي أيضاً قد انتهى منه الشعر، اكتشف المتاهة التي غرق فيها، لا أمجاد في الانتظار، أدرك أن ما يكتبه محض هراء صوتيّ، كان قد استهلك كل شيء تعلمه في قصور الثقافة والندوات والمقاهي، استخدام الأساطير

fb/mashro3pdf

الدينية والإغريقية كإشارات خادعة للمستمعين، على أن نصوصه تحمل عمقاً ومغزى، دخل في معارك عديدة مع مثقفي وسط البلد، سخر من كاتبي قصيدة النثر، كل ما وهبه إياه الشعر، هو ممارسة الجنس مع أكبر كمٍّ ممكن من الفتيات، اللواتي كن يتأوهن من قصائده التي تدغدغ مشاعر المستمعين محاطاً بأسطورة المجد المنتظر، شارك في كتابة عدد من أغاني مسرحيات الهواة، قبل أن يعرف طريق السبوبة، على يد شعراء قدامى في مقهى أفتر إيت، فبدأ في كتابة أغاني إعلانات، وفقرات كوميدية لمقلد أصوات، كما جمع ثروة من تأليف كتب: كلمات أغاني كاظم الساهر، مئة رسالة غرامية، قصة حياة جورج وسوف، كيف تتعلم الحب، وغيرها، شارك ذلك مع مجموعة من الأدباء الذين شقوا طريقهم فيما بعد كأسماء مهمة صُنفت تحت عنوان الأجيال الشابة، تأليفها لم تكن مهمة صعبة، ففي أقل من ثلاث ساعات يومياً، كان بإمكانهم تأليف أكثر من خمسة كتب يومية، دون حاجة طبعاً لكتابة أسماءهم، كانت تجارة رابحة، وكان الناشرون يدفعون جيداً، فربما تتخطى مبيعات كتاب واحد مليون نسخة.

كانت سارة في ذلك الوقت تحترق ببطء، دون أن تشعر.

بعد أن تآمرا مع عم عبد الجبار، لدفعه إلى الجنون، توطدت علاقتهما أكثر، لكنها اتخذت منحىً آخر، كانا أكثر عصبية ووقاحة تجاه بعضهما البعض، لم يتحدثا أبداً عن خيانتهما لعبد الجبار، كل منهما كان في حاجة لأن يتذكر أنه لم يرتكب تلك الخيانة بمفرده.

حاول سارة والرامي، استثمار أموال صفقة العم، فأسسا مشروعاً آخر لتعليم الناس كيف يصبحون أغنياء عن طريق زراعة عيش الغراب.

fb/mashro3pdf

أجَّرا شقة كبيرة، لعرض محاضرات عن طريقة زراعة عيش الغراب، هناك اكتشفا طبيعة عملهما كفريق، يبدأ رامي في محاولة التحدث للجمع، فيصيبهم بالملل، فتتدخل سارة بحيوية بالغة، لتسيطر عليهم بسهولة، وتحكي لهم عن تجاربَ لأثرياء بدؤوا الطريق من عيش الغراب، الذي لا يعطي سره إلا لمن آمن به، وبنفسه"عش الغراب.. طريق الأقوياء فقط"، كانت تحدثُ المحبَطين، الحالمين بفرصة، الفقراء، بلغتهم، تعرف مواطن الضعف فيهم، تعرف كيف تشعل قلوبهم اليائسة، باستحقاقهم لفرصة في الحياة، فرصة تخلقها سارة بمهارة قاصرة على الاستثمار الضئيل في عش الغراب، من أجل ربح سريع ولا نهائي كالأبدية.

لم يكن ربحهم الحقيقي، من إلقاء المحاضرات فقط، لكن من بيع مستلزمات زراعته: تقاوى عيش الغراب، السلك المانع لغزو الحشرات، القش، الفنيك لتطهير المكان قبل الزراعة، أكياس البلاستيك.

بعد أن تنتهي سارة من إقناع الحالمين، تتبقى لها ضربة معول، ليقع لها الحضور سُجَّداً، يبدأ الأمر بأن شخص من بين الحضور، بهيئة شاب متعجل وناجح، قميص وجرافت وبنطلون وحقيبة وساعة يد وذقن حليقة وقَصة شعر هادئة، يقوم هذا الشاب المثال ليحكي عن حياته ما قبل عيش الغراب والحياة بعد عيش الغراب، كان مجرد بائس بلا هدف، لا يجد عملاً، حتى بدأ في الاستثمار غير المكلف والبسيط، "بدأت بكيس واحد، ثم استمرت الفتوحات لأملك مزرعة كبيرة وأعمالاً لا تنقطع مع الفنادق والمطاعم الكبرى التي تحيا على المشروم، بفضل القدرات التسويقية الهائلة، لسارة

fb/mashro3pdf

ورامي، اللذين لا يكتفيان فقط ببيع مستلزمات زراعة عيش الغراب، بل يتكفلان بتسويقه".

بعد أن ينتهي الشاب المثال، يواصل أكثر من شاب آخر ترسيخ أسطورة منجم عيش الغراب، يتكالب المحبَطون على الشراء، لا يفكرون في أن الشباب المثال يعملون لدى سارة ورامي كممثلين، وأنه بلا رأس مال كبير لا يملكهُ المحبَطون، لن تبيع شيئاً ولن تكسب شيئاً من عيش الغراب، فما يشترونه لا يصلح لإنتاج أكثر من وجبة عائلية.

لذا لا يعود من اشتروا مرة أخرى، لكن يذهب إليهم يائسون جدد.

حققا مبلغاً لا بأس به.

لكن ذات يوم، كانت سارة تتحضر للنزول لإحدى محاضراتها في كيفية بيع عيش الغراب، فاستوقفها شيء ما في المرآة، لا تعرف إلى الآن كيف أدركتْه: لقد زال عنها السحر، تلك الهالة التي تراها وحدها، لكن يشعر بها كل من اقترب منها، لقد انطفأ، تبخر، لم تشعر بشيء يمكن له أن يهزمها، لم تشعر بشيء، فقط قرفصت مكانها، وأشعلت سيجارة من سيجارة، كانت فقط تبحث عن خيط: ما الذى يمكن أن يفعله المرء إن زال عنه السحر، هل يتوقف عن الحياة، هل يكتفي بالانضواء تحت سحر الآخرين؟ ما الذي يمكن توقعه؟.

رن جرس الهاتف، جاء صوته من بعيد مذعوراً: لقد ذهب الشعر، صحوت فلم أجده، انتهى تماماً، ليس الأمر كنوبات النضوب التي كانت تمر بي من قبل، لقد اختفى تماماً، لم أكن شاعراً من قبل، لن أكون في

fb/mashro3pdf

المستقبل، أنا لا شيء، مجرد نصاب يبيع الهواء، تافه، خائن.

كانا تائهين وغرقى، بعد فترة صمت، قالت سارة: تزوجْني.

أغلق رامي، التليفون، دون أن يرد، ذهب إلى بيتها وبرفقته مأذون وشاهدان، كانت سارة تعرف أن الوحيد القادر على أن لا يميز غياب السحر، هو رجلٌ فقد الشعر، وهو ما ميز ليالي الحب بينهما، جنس بلا سحر أو شعر، جعلها تفتقد ممارسات الجنس مع الخيال الذي يباغتها والذي عرفت مع الوقت أنه لعبد الجبار.

كان عبد الجبار، يضاجعها يومياً في خياله، لم يخالف يوماً، حتى بعد أن تزوج، لم يكن يعرف إن كان ذلك بدافع الحب أم الانتقام.

كان يفعل ذلك في أي وقت، وفي أي مكان، حتى قبل أن يصل ذلك الخيال إلى سارة نفسها، لكن مع الوقت، وبقوة رغبته، التي لم يكتشفها أبداً مع ريهام، تجسدت الرغبة في طيف يداعب جسد سارة، أفزعها ذلك في البداية، خاصة أنه فاجأها في ميدان عبد المنعم رياض، تأوهت بعنف، ظن البعض أن جنياً يتلبسها.

كان أحياناً يأتيها بلا اكتمال، جسد بلا قضيب، أو قضيب بلا جسد، أو إصبع وسطى، أو لسان، أو قدم، لكن في كل الأحوال، كانت متعتها معه صافية ومكتملة، لا يتركها إلا بعد أن تعرف الأورجازم، أجمل ما فيه تجدُّدهُ.

أنفقتْ سارة والشاعر الرامي ما كسباه ببذخ، وهو ما لم يزعج سارة، التي عرفت من المسلسلات أن "الفلوس الحرام ما بتدومش" فبادرت

fb/mashro3pdf

بإنفاقها قبل أن تضيع على اللاشيء.

استمرا في عمليات نصب صغيرة، حتى جاءتهما الفرصة: ترويج إله. بالصدفة فتح رامي ايميلاً للراغبين في تكبير أعضائهم، تتبعا الأمر، عندما اكتشفا عن طريق الردود: أنها استغاثة من ياهو كما روى الإله المغلوب لعبد الجبار، وحوّلا ياهو إلى ديانة سرية تحتقر هيمنة جوجل على محركات البحث.

خسرا الأموال التي جمعاها في البورصة، لتتأكد سارة من أن إدمانها للمسلسلات لم يكن عبثاً، فحكمتها تتأكد يوماً بعد يوم.

تعرفا على ليلو، كانا في الإسكندرية، يحاولان تصفية ذهنيهما والبحث عن وسيلة للعودة إلى الحياة، بعد أن فقدا السحر والشعر والأموال، كانا يمتلكان حقوق رعاية ياهو، الإله المغلوب، عندما فوجئا بالقرصان الأعور يسألهما: لماذا يفضلان دائماً شرب الشاي في الأكواب البلاستيك، رغم أن الشاي لا يجد طعمه إلا في الكوب الزجاجي؟.

قبل أن يجيبا، أضاف ليلو: لا يهم.. أمثالكم بائعون جيدون، أبيع أشياء كالشاي في أكواب بلاستيك، قد تكون بلا طعم، الباعة الموهوبون يستطيعون ترويج شاي البلاستيك.

ثم قدم عرضاً بالعمل لديه لبيع المنتجات الصينية، بالإضافة لشرائه حقوق رعاية الإله المغلوب لصالح الماما، مقابل مبلغ ضئيل، كانا في حاجة إليه، لم يستطيعا إقناع أي شخص بأهمية شراء حقوق رعاية إله مغلوب.

fb/mashro3pdf

الماما، قررت الدفع بالياهو قليلاً لمواجهة جوجل، المعتوه الذي نصبه أهل ماندورلا إلهاً للسخرية من الماما.

مع الوقت عرف سارة ورامي، أن ليلو لا يبيع فقط المنتجات الصينية، وإنما يملك مصنعاً يهتم بتدوير أحلام الناس وهواجسهم وكل ما ينسونه من قشور. نجاحهما المذهل في بيع المنتجات الصينية، جعل ليلو يقربهما منه، ويعتمد عليهما في أشياء كثيرة، كانا قد سمعا منه حكاياته عن ماندورلا، وبكرة الغزل، التي لا يتاح استعمالها سوى لسيد وحيد وموهوب، جو، الذي استغربا جداً عندما رأوه في مصنع ليلو، الذي لم يعاملْه كسيد و لم يمنحه فرصة ليكون إلا مجرد كناس جديد، يجمع ما فاض عن الناس.

لكن سارة التي فقدت السحر، ورامي الذي فقد الشعر، امتلكا الحل، الذي اهتديا إليه بعد أن عمّدهما ليلو بقطع الأذن اليمنى.

داهما بيت جو، وقاما بتقييده وتعذيبه، ليعترف لهم بسر بكرة الغزل، كادا أن يدهسا العنكبوت الذي حاول الدفاع عنه، لكنهما فضلا أن يضعاه في برطمان زجاجي لبيعه بعد ذلك، وهو حل على بساطته لم يتوصل إليه الأشباح الذين هزمهم العنكبوت من قبل.

سارة ورامي كانا يظنان أن جو يعرف السر، أجاب بما يعرف: لا أجيد استخدامها، لكنها تجيد استخدامي، البكرة تغزل ما تريد أن تغزله، أنا وسيط أتلقى عنها ما ترغب هي في أن يراه الناس، لا أفعل سوى الارتجال، الإيهام بأني أجيد الغزل، أما هي فتتكفل بالباقي، تنسج ما تريد، وأنا أكون

fb/mashro3pdf

أول المندهشين بصنيعها، المتطلع لاكتشاف ما ينتهي إليه الفعل، ثم أنسبه إلى نفسي.

لم يصدقا حرفاً من كلامه، رامي الذي فقد الشعر، قال: إن معرفته لسر بكرة الغزل، هي موهبة، والموهبة تختبىء تحت ظفر الوسطى.

سخرت منه سارة، لكنه أصر، وذكرها باليوم الذي فقدت فيه السحر وفقد فيه الشعر، لقد اكتشفا أن المصادفة شملت أيضاً فقدانهما لظفر إصبع الوسطى في نفس اليوم.

نزعا ظفره، رغم ما شعر به جو من ألم، إلا أنه لم يصرخ، في كوبٍ استقبلا الدم النازف، شرباه، لكنهما لم يدركا السر.

توترا قليلاً، لكن سارة التي ألهبتها رائحة الدم قالت: ربما يختبىء سره في ظفر آخر، نزعا ظفر السبابة، شربا الدم، و لم يجدا شيئاً، استمرا في نزع أظافره، دون أن يحصلا على شيء، سوى مزيد من الدم بلا صراخ.

دخل جو في إغماءة، عندما فكرت سارة: ربما تسري الفكرة كلها تحت جلده، لو سلخنا جلده، ربما نحصل على السر، عارضها رامي قائلاً: الموهبة لا بد أنها تختبىء في مكان ما بجسده، لا يمكن لها أن تكون طوافة، لا اعتقد أنها تقطن في المخ، أو القلب، ربما في الكبد، لهذا يأكل المنتصرون كبد ضحاياهم.

احتدم بينهما الخلاف حول ما إذا كانت الموهبة سرياناً في الجسد أم استحواذاً على المرء، أم آلة صغيرة معلقة في الكبد، وهو ما يترتب عليه سلخ جو أو بقر بطنه كادا يتشاجران كزوجين عاديين، أدركا ذلك، مما

fb/mashro3pdf

ألهب حماستهما للتطاول على بعضهما بالشتائم والأيدي، حتى لمحت سارة ورقة في يد العنكبوت: أعرف السر.

فضا شجارهما، وأخرجا العنكبوت من البرطمان، متلهفين على أن يخبرهما بِسرٍّ بكرة الغزل، لكن العنكبوت طلب أولاً أن يُعدا له عصيره المفضل، هدداه بالدهس أو بإشعال عود ثقاب في قدمه، لكنه قال ببرود: لست بشرياً ضعيفاً لأخاف من التعذيب، العناكب أكثر شجاعة وقوة مما تظنان.. أعدا العصير بهدوء إن أردتما السر.

أعدا له العصير. بعد أن شربه، طلب من سارة أن تقبّله، فعلت في نفاد صبر.

جو كان يُحتضر، لا سبيل لنجاته، يعلم العنكبوت ذلك، كل ما أراده هو أن يتوقفا عن المزيد من إهانة جسده، لذا بعد العديد من الطلبات الغريبة، منها أن يشاهد سارة وهي تمص قضيب رامي، وأن تدخل في مؤخرته قرن فلفل حار، بعد أن تأكد من وفاته، قال: الحقيقة أن لا أحد يملك السر، ولا أنا.

كادا يدهسانه غاضبَين: لكني أملك ما يمكّنكما من تجاوز السر، احملا جسد جو واتبعاني.

فعلاً، سبقهما إلى ريموت كنترول، ضغط عليه، لينكشف غطاء الأرض عن نفقين.

قال العنكبوت: هنا أفضل صنائع جو، نفقٌ إلى الصين، حلمُ كل صبي، ستركبان آلة صغيرة، ستنقلكما إلى الصين في غمضة عين، إذا أردتما رأيي،

fb/mashro3pdf

اطلبا من الآلة أن تذهب بكما إلى حيث أكبر صانعي العجائب الصينية: جانج لي، الوحيد في العالم الذي يملك تصميما لبكرة الغزل، صنع منها مئات الألوف بأسعار زهيدة، يمكنها صنع ما تصنعه بكرة الغزل، لكنْ بكفاءة أقل وعمرٍ لا يصمد، تغزل نسخاً مقلدة من الشموس والأقمار والمدن والأحلامٍ والهواجس، لا تصمد أيضاً، وسُرعانَ ما تفسد، لكنْ ما الضارّ في أشياء تفسد سريعاً، إن كان يمكن شراء أخرى فوراً؟

فكر سارة ورامي في الأمر، فكرة العنكبوت عبقرية، ستجعلهما أثرياء مجدداً، لكن الأهم أن العنكبوت منحهما طريقة البيع فوراً: اقتلوا السادة، من يملكون كل شيء، اقتلوا السر، تُقتلْ معه الحكمة، معرفة الكهنة، كل شخص يمكنه أن يصنع عالمه كما شاء.

لم تكن تلك خيانةً لجو، الذي أدرك أن وفاته تلك المرة، هي نهايته، كان يُحييه بمنح سره للجميع: لو مات جو، سيكون هناك مليون جو، ملايين، مليارات، يصنعون مدنهم كما رأوها، وعندما تَستهلكها رداءةُ الصنع، يشترون أخرى، الأحلام ستُعرض في محلات الهدايا، مع باعة القطارات، ستقدَّم كعروض مجانية مع كل قسيمة شراء، كلما اشتريت أكثر، ستمنح العالم. تلك قسمة عادلة، لن يخوزقك أحد دون أن تحصل على مقابل كاف.

سأله رامي: إلى أين يؤدي النفق الثاني؟ قال العنكبوت بحيادية أفزعتهما: إلى الموت، برزخ التراب والنار.

طلب منهما أن يضعا جسد جو فيه، وأن يسلكا طريقهما نحو تدمير

fb/mashro3pdf

ماندورلا، بإشاعتها للجميع، القدر الذي يرى العنكبوت أن لا مهرب منه، إلا بالاستسلام له.

تابعا رحلتهما، بينما حاول العنكبوت أن ينخرط في صلاة على جو، لكنه اكتشف أنه لا يحفظ أي صلاة، فقرر أن أغنيةً لبوب مارلي قد تكون مناسبة. فيما بعد، عندما يأتيه شاهر على هيئة جو، سيعرف أنه لم يخطىء عندما منح سارة ورامي السر، وأن شاهر لن يكون مخلِّصاً، بل تتحدد مهمته في أن يدمر أمل أهل ماندورلا في انتظار المخلِّص.

عندما وصل سارة ورامي إلى أكبر صانعي عجائب الصين، جانج لي، لم يبدُ اندهاشه: كان في انتظارهما "كما قالت القصة المروية سلفاً، التي قرأها في أحلام جو، عندما كان مجرد مونتير ذاكرة سكير"، بل وكان بحوزته مئات الآلاف من النسخ المقلدة من بكرة الغزل.

تعاقدا معه على شحنة بسيطة، استطاعا تخبئتها لحظة وصولها في أحد مخازن ليلو، حاولا بيعها و لم ينجحا، لكن في ماندورلا، الأمر مختلف، فالاهتمام الذي بدا لدى سليزي، وهما يبشران بالخلاص من خلال بكرات الغزل المقلدة، جعلهما يشعران فعلاً أنهما يحملان فكرة سامية، قد تعيد لهما السحر والشعر.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الحـرب

في ماندورلا سبعة عشائر، تحيا في سبع وديان، أسماؤهم وألوانهم كألوان قوس قزح، كانوا يعيشون في سلام بزمن جو، قبل أن تأتي الماما، وتشعل الفرقة بين أبناء العشائر السبعة، حرب لا نهائية، كالخلود، بحثاً عن جوهرة الحياة، المسماة في كتاب جو "اللاشيء"، أرواح القتلى، كانت تضاف إلى عمر الماما، التي لم يقتلها سوى خطيئة نزع الرغبة من ابنتها ريهام.

العشائر السبعة، لم يوقفها ظهور جو الجديد عن القتال، ساعد على ذلك رائحة البيض المقلي الشهية، التي تعدها الماما بمزاج ملائكي.

لكن جو استطاع بطريقة برمجة في المكتبة، أن يتحكم في سُعارهم ناحية قتل بعضهم البعض، الذي كانً يحدث دائماً لقناعة كل عشيرة بأن هناك "عشيرة واحدة ناجية"، ساعده في ذلك جوجل، الذي حمل له

fb/mashro3pdf

برامجَ تمكنه من تثبيت الولاء له في عقول العشائر السبعة، التي انقسمت بين جو والماما.

يعرف جو خطر ما أعدته الماما، فهي أمه، تجيد الطبخ بشكل ساحر، حتى ولو كان مجرد قلي لبيضتين، ويعرف أنها ستحوّل كل ما تدركه من سحر طيب إلى أسلحة قاتلة.

الماما، أدركت فساد تأثير بيضها المقلي، لذا قررت أن تهاجم المكتبة، لتدمير برنامج الولاء، وإعادة العشائر إلى رائحة بيضها المقلي.

كان جوجل وحيداً، يلعب البازل في المكتبة ويراقب جودة إرسال برنامج الولاء العام. مولا كان بصحبة جو في قصره، يخططان لأمر لم يشاركا جوجل إياه. يعلم منذ زمن أنه ليس إلهاً، وأن الأمر مجرد مزحة ثقيلة، تناسب قدراته العقلية الضعيفة، التي خلفتها معركته مع ياهو في وادى السيلكون، لم يحزن من تركهم إياه مكوماً في المكتبة، هو كأي عبيط يكتسب اللقب لعدم اكتراثه بمقاومة الجليطة.

منذ سنوات لم يتمكن من حل لغز هذا البازل، لكن البرق الذي أصاب المكتبة، أضاء شيئاً في عقله.

لم يدرك جوجل، أن البرق كان ضربة استباقية من الماما، التي قررت أن تبدأ بالهجوم خارج المكتبة، كانت هناك سلاحف طائرة تضرب المكتبة عن طريق صواعق الناموس، التي حولتها الماما من سلاح لربات البيوت إلى مولّد برق ضعيف، لكنه يصير ذا تأثير إذا ما ضربته مئات السلاحف في آن.

fb/mashro3pdf

المكتبة كانت محاصرة بجيش من النمل الأبيض، يجرون قاذفة طماطم عملاقة.

كانت مستعمرة النمل على الحياد، وتعيش على بعض الأشجار الضخمة التي تُلقى إليها كل عام كقربان كي لا تمس المدينة.

لكن الماما هددتهم عندما صبت بواسطة حورياتها مُبيداً له رائحة القار، في غلايات بها كميات كبيرة من الماء المغلي، كان إعلان حرب، أباد نصف المستعمرة، لذا انضموا للماما، وقّعت ملكة النمل معها اتفاقية تحالف، لم تجدها الملكة مجحفة، فسوف يكون من حقها كل عام التهام نصف أكواخ المدينة، دون أن تمس الأشجار التي مالت بفطرتها ناحية الماما، مقابل أن تخوض معها تلك الحرب.

لم يكن هدف قاذفة الطماطم الهجوم على البيت، لكن التغلب على الخندق الذي صنعه جو حول المكتبة تحسباً لهجوم النمل، احتاج إلى عشرات الآلاف من حبات الطماطم، لملء فراغ الخندق، ليتمكنوا من العبور.

كان جوجل في ملكوته يمنح العطايا لتابعيه، بحثهم المحموم الذي لا ينتهى عن كل شيء، وعن لا شيء، تلك التفاصيل الملغزة واللانهائية عن العالم، التي لا يدرك فائدتها، بينما يقدمها للآخرين بضغطة زر.

البازل، هدية جو القديم، في ذكرى انتصاره على الياهو، كان يعرف أن المفترض أن تلك اللعبة، تمثله وهو يصرع الديناصور أرضاً، لكنه لم ينجح في إنهائها أبداً.

fb/mashro3pdf

تخبُّطُ ذاكرته، مشاهد غائمة لظروف ذلك الانتصار، الذي نصبه سيداً وإلهاً على محركات البحث، لكنها كانت كبازل أضاع منه طفل قطعهُ أسفل السرير وخلف الكنب، ولم يتبق منه سوى ثلاث قطع.

مئات الآلاف وربما ملايين النتائج تؤكد قصة واحدة لنشأته، قصة لا تتماشى أبداً مع المشاهد الثلاث، تم اختراعه من قبل طالبين بجامعة ستانفورد في كاليفورنيا عام 1996، أرادا أن يجمعا كل شيء موجود على الإنترنت، وطوّرا خوارزمية عُرفت بالبيج رانك لتحدد أي الصفحات تظهر أولاً في نتائج البحث، وأن اسمه يعني واحد وأمامه مئة صفر، يظن بعض العرب المهووسين بالتذاكي على ما لم ينتجوه، أنه مرادف للشيطان، أو لمجرم إسرائيلي، بينما تقول رواية أخرى إن أول منحه الوجود كان طفلاً لم يتعد 9 سنوات في عام 1939، إذ نطق الكلمة مصادفة عندما سأله عمه عالم الرياضيات كيف يمكن أن تصف عدداً كبيراً جداً فأجاب: جووووجل، ليستخدمها العالم في كتابه "الرياضيات والخيال" في تمثيل رقم 10 أس 100، أي أكثر من حبات المطر التي تهطل فوق مدينة لمدة قرن، وأكثر من حبات رمل في شاطىء كبير".

ذلك ما تظهره نتائج البحث، دون أن يصل لدواءٍ للمشاهد التي تؤكد وجود رواية أخرى لخلقه، رواية غير التي يرى نفسه فيها المشروع الأكثر ربحاً وسيطرة على وجه الأرض، بينما هو هنا في ماندورلا، مجرد بائس وعبيط وإله زائف.

ثلاث لقطات غير مترابطة للحقيقة التي لا توفرها نتائج البحث: مدينة كبيرة من أعواد الثقاب، صبية يقلدون الهنود الحمر، ويحاولون إطلاق

fb/mashro3pdf

أسهمهم البلاستيكية نحو الشمس لإجبارها على السطوع، رقصة حول طوطم.

استطاع النمل تغطية الخندق بالطماطم، وبدؤوا في العبور، قاموا بالحفر في الطين أسفل المكتبة، انهار السقف بالكامل على جوجل، لتدخل السلاحف الطائرة، التي استطاعت أن تلتقط جوجل، وتطير به نحو كهف الماما.

واصل النمل زحفَه المقدس، وبدأ نخر المكتبة، والتهام محتوياتها.

جو بلغه النبأ، جمع فرقة الدراجات النارية الطائرة، التي قامت برش المبيدات على النمل، الذي كان يتسلى بأكل كل ما عرفه الكون.

ولأن القاعدة المعروفة في ماندورلا، وربما في العالم "لا أحد ينتصر على النمل" فقد انهارت المكتبة، بينما تسرب النمل الناجي بما أكله من العلم، تضخم كبالونات حلقت في السماء، ثم انفجرت لملايين من النمل الأعمى فاقد الذاكرة.

الدراجات النارية، أسقطتها السلاحف الطائرة بصواعق البرق، ثم هبطت لتأكل الجثث بنفس الهدوء الذي تأكل به الخس.

لم يتأثر أحد بغياب المكتبة، سوى مولا، عمره الضائع في ماندورلا احترق.

في كهف الماما، عادت رائحة البيض المقلي، لتقود الجميع تلك المرة، أضافت إليها الماما وجبات أخرى ترفع القضيب المرتخي، وترفع الرغبة

fb/mashro3pdf

عند نساء ماندورلا: وصفات عبقرية، جذابة، جذبت الحيوانات كما جذبت البشر، فكان من الطبيعي أن تشاهد زوجة كركدن، تتشاجر في الصف، لتحصل على وجبة تثير الحمية في قضيب زوجها الضعيف، بعضهم لم يكن يعاني من شيء، لكنَّ سحر أكلاتها التي تجاوزت بدائية قلي البيض، لتزرع الحماسة والشجاعة، أَسَرَ النفوس الضعيفة والقوية على حد سواء.

عندما تأكدت شهرتُها، وتأكدت أن العشائر التقطت الطعم المجانى، اغلقت الباب.

"لا مزيد من الطبخ"، صرخت الحوريات في الجوعي، توسلوا، ركعوا، لاموا جو المجنون الذي ليس جو على عودته التي أفسدت كل شيء، عودته التي أربكتهم بدعوى منح الخلاص.

خرجت الماما للجمع قبل أن ينهكهم اليأس والضجر، قائلة: كل شيء بثمن، ثم أوصت أولادها بالصبر.

كان خروجها مليودرامياً ومبهراً، سبقته الألعاب النارية، فتيات جميلات يلصقن بوسترات على أثدائهن ويرقصن، مطر من القبلات، صناديق، كوبونات كثيرة تتساقط من سفن السماء تعلن عن مطعمها الجديد، سلسلة مطاعم تحمل اسم الماما، سيكون مركزها الرئيسي في قلب المدينة، حيث نافورة الفاصوليا البيضاء.

متلُّقو الكوبونات لم يفهموا، هل تقصد أن المطعم سيكون مكان نافورة الفاصوليا البيضاء، أم بجوارها؟

fb/mashro3pdf

غلّبوا الظن أن المطعم سيكون بجوار النافورة، لا أحد يستطيع أن ينزع النافورة البيضاء مرة أخرى، ولا الماما نفسها، النافورة ليست مزاراً، هي الروح التي تمثل حُمق المدينة، وطفولتها الساذجة، براءتها من اللعنات التي تحاصرها، حبكتها البسيطة ضد الحبكات المعقدة التي طاردتهم سنينَ وأنهكتهم، حتى أنهم تلقفوا أسطورة جو عن أن النافورة محمية بقوى أعلى، ستحرق المدينة في حال هدمها. صدقوا الأسطورة وأضافوا إليها.

كان جو محاصَراً، اكتشف خيانة سليزي المفاجئة، قام سليزي بتهريب سارة والشاعر الرامي، واختفى معهما.

في أقل من ليلة، كانت مطاعم الماما تنتشر في ماندورلا كسرطان، لم تُراعَ حرمة النافورة البيضاء وتمت إزالتها، لكنها أيضاً كشفت زيف الأسطورة، فلم تنزل اللعنات، و لم تتشقق الأرض عن ثعابين تبتلع الجميع.

سارت الحياة، واحتشدت العشائر السبعة على مطاعم الماما، التي كونت ثروة كبيرة من الوجبات التي تجعل للحياة مذاقاً طيباً.

السحر كان طاغياً، لكنه لم يمنعْ تكوُّنَ جماعات سرية قليلة العدد من العشائر السبع، رفضت أن يقودها الطعام، استطاع مولا أن يتصل بهم، وأن يجندهم لخدمة جو، وأن يوحدهم في جماعة سميت: نافورة الفاصوليا البيضاء، تذكيراً بإزالة الماما لرمز ماندورلا.

نفذت جماعة النافورة البيضاء عدداً من العمليات، لكنها لم تنجح إلا في إزعاج رواد المطاعم، تفجيراتٌ صبيانية، لم تسفر سوى عن خلع أربعة أبواب، وتكسير عشرة شبابيك، وإشاعة أن الجماعة نجحت في التبول على آلاف الوجبات التيك أواي.

fb/mashro3pdf

أرسل عبد الجبار رسالة مع ثلاثة مريخيين، تفيد: بأنه وافق على العرض، وأنه سيقدم بكرة الغزل، مقابل سارة والشاعر الرامي.

لم يخبرهم جو بأنهم فقدوا سارة والشاعر الرامي، آملاً في ظهورهما القريب.

كان اليأس يحاصر قلعة جو، لكنْ حدثت المعجزة.

أضربت الجبال التي تحيط بماندورلا عن تحريك مؤخراتها، كانت الماما الأولى قد أجبرتها على الاهتزاز كالجيلي، عن طريق كربجتها بواسطة عماليق، كان اهتزاز سلسلة الجبال، بتلك الرخاوة العذبة، واحداً من علامات قدرة الماما، ومنظراً أحبَّه سكان ماندورلا، بعد أن أشاع القرصان أن النظر إلى المؤخرات المهتزة، هو نوع من الرياضة الروحية التي تطهر نفس صاحبها من الأردان المصاحِبة لممارسة الحياة، وهو ما تحول مع الوقت إلى حقيقة، لا يستطيع أيٌّ مَن أبناء ماندورلا إنكارها.

لم يكن الأمر أكثر من تسلية لطيفة للماما، وإثبات قدرتها على السيطرة، عن طريق أسواط العماليق، رغم أن العماليق فعلياً هم أقزام ومهرجون مقارنة بالجبال.

لكن أحد الجبال، تجمدت مؤخرته فجأة، لمْ يعلم لمَ، و لم يقصد أن يتحدى سوط العماليق، كانت المرة الأولى التي تتوقف فيها مؤخرة جبل، توقفت الأسواط والمؤخرات من الدهشة لثوان، قبل أن ينتبه العملاق الموكل بالجبل الذي تعطلت مؤخرته، ليعاود ضربه بغِلّ، وسط توسلات الجبل، وأنه لا يقصد أي شر، وأنه فقد التحكم فيِ مؤخرته. لما تعب

fb/mashro3pdf

العملاق من الضرب، تجمع باقي العماليق لمعاونة زميلهم في الحالة الفريدة والشريرة، ثم انهالوا بأسواطهم على الجبل، حتى انهار.

للمرة الأولى يصل اختراع الغضب إلى الجبال، التي تبدو من أعلى فئراناً مذعورة، توقفوا جميعاً عن هز مؤخراتهم، وبدؤوا في الدبدبة على الأرض، كاد الصوت يخرق آذان العماليق، فهربوا، أما الجبال التي وجدت نفسها حرة للمرة الأولى، فلم تعرف ماذا تفعل، فعاد بعضها لهز مؤخرته بنفسه، دون سوط، فيما ذهب عدد آخر ليعلن الولاء لجو.

حركها جو للوقوف أمام مطاعم الماما، أرسلت الماما العماليق لطردهم، لكن في تلك المرة، فرقة النافورة البيضاء أفرغت براميل من البلي حول الجبال، فتعثر العماليق. فوجئت بهم الماما ملفوفين في ضمادات وجبائر، ومصفوفين على نقالات.

أخبار الانتصار الذي افتقده أهل ماندورلا، أكسب جو أنصاراً جدداً، بينهم من قرر أن يؤازر جو، ويأكل عند الماما.

الأنصار لم يكونوا بالعدد الكافي، الأغلبية حملت غيظاً مكتوماً ناحية جو لحرمانها من طعام الماما، لكنهم خلال يومين لا أكثر، نسوا سحر الوجبات، ومارسوا حياتهم كما كانت. لكن الماما لم تيأس، فأعلنت عن خطوط ساخنة لتوصيل وجبات الطعام عن طريق الحوريات.

لكن شيئاً ما كان مفقوداً في الخدمة، كانت الوجبات المعلبة أقل سحراً، وحققت نجاحاً محدوداً.

لم تجد بُداً من مفاوضة جو، لإزاحة الجبال من أمام مطاعمها.

fb/mashro3pdf

قَبِلَ جو المفاوضات التي اتفقا على أن تكون في صدفة الحلزون، كان مستهيناً بالأمر ومنتشياً بقوته، قبل أن يراها وهي تدخل، أصابته رجفة، رغم أن الأمر في النهاية مجرد لعبة يخوضها، لكنها أمه، شخطة منها قد تنهي الأمر، ويعطيها ما أرادت دون مقابل، توقع أن تطلب منه أن يعود للمنزل، وأن يفعل بعد دبدبة طفولية على الأرض وقليل من البرطمة.

لكن الماما، ريهام، لم تعامله لحظة على أنه ابنها، كان جبينها المقطب، وملامحها الواجمة، يدلان على تصميمها على الانتصار بأي وسيلة، وأي ثمن، رغم أن الماما القديمة كانت قد أوصتها أن لا فضل هنا لمنتصر على مهزوم، لأن اللعبة ستبدأ من جديد في جميع الأحوال، لم تعط أي انطباع لجو انها تدرك علاقتهما، لا شيء سوى عدوين يتصارعان على طاولة مفروشة بالورود.

على الطاولة، جلس جو ومولا وفي مواجهتهما الماما، التي طلبت مقعداً إضافياً للأكورديون، الذي لم تتخل أياديها الأخطبوطية عنه في أي لحظة، محاطةً بحرس من العماليق والحوريات، بينما كان الفيل الأزرق يسجل محضر الجلسة. لم يطلب منه أحد ذلك، لكن الفيل أصر "لا يوجد موقف أفضل من هذا لأريكم نظارتي الجديدة، التي أدخرها لمناسبات وقورة كهذه".

لم يجرؤ جو على أن يبدأ الحديث، رغم أن نسخته الجديدة التي مثلها شاهر، أكثرُ عمليّةً من نسخة جو القديمة.

مولا كان غاضباً من حرق المكتبة، لم يرحِّبْ بالتفاوض من البداية،

fb/mashro3pdf

لكن جو رأى أن لا فرصة أفضل لخداع الماما قبل أن يضرب ضربته الكبرى، وعندما سأله مولا ما هي الضربة الكبرى، رد جو: لا أعرف.. لكن لن تنتهي المعركة إلا بضربة كبرى.

لما ساد الصمت نتيجة حرج جو وغضب مولا، بدأت الماما بالحديث، بعد أن فكت في ثانية ملامح وجهها ليصبح ناعماً وغاوياً، غواية امراة هشة تستعطفك بضعفها: انتصاراتكم في الفترة الماضية كانت مذهلة، لقد أعجبتموني، مِن لا شيء يذكر، إلى قوة لا بأس بها.

شعر جو بالفخر، أمه راضية عنه، بينما قال مولا بحدة: ولازال في جعبتنا الكثير، سنمحوك محواً من على وجه ماندورلا.. سنحرق أثداءك كإطارات السيارات، سنعلق فرجك وأذرعك الأخطبوطية في النجوم.

لم تغضب الماما. على العكس، صمتت تماماً، انتظرته حتى ينتهي من عوائه، ربتت على الأكورديون، كانت تشعر بغضبه، ربتت عليه كي تمتص غضبه، هدأ الأكورديون بين أصابعها، فهم الرسالة، فهم محنتها، حياتها بين يدى حمقى، طفل وطبال سابق يدَّعي الحكمة.

للمرة الأولى يطير الأكورديون. تتراقص أصابعه بمفردها، محلقاً فوق الماما ليعزف لها "Le vie en rose" كشحاذ يدور بموسيقاه على مقهى.

عندما انتهى دارَ الفيل الأزرق بقبعة ليتلقى أجرة الشحاذ الموهوب، وضع الجميع قروشهم بما فيهم مولا والحوريات والعماليق، وأفراد من فرقة النافورة البيضاء، بعد أن انتهى، وضع القبعة أمام الأكورديون، بعد أن حياه بخرطومه.

fb/mashro3pdf

عاودت الماما الحديث بهدوء: كل ما حققتوه يبدو جيداً، مقارنة بوضعكم، لكن إلى أين؟، أنتم تفسدون على أهل ماندورلا حياتهم، وأنا لم أقْدمْ على فعل سوء، فقط أقدم لهم الطعام، لكن ماذا تقدمون أنتم؟.

قال جو: الحرية.

ردت الماما: الحرية من ماذا؟.. من السعادة؟ من الطعام؟.. منى؟.. ولمن؟ لك؟ ليصيروا عبيداً لك؟ لا فارق. هم معي أكثر أماناً.. يضاجعون زوجاتهم بقدرة أكبر، تشتهيهم زوجاتهم كأنهم أجمل الذكور على الأرض.. قدم شيئاً ذا منطق.

قال جو: نملك شيئاً آخر.

قالت الماما: أعرف.. ماكينة الآيس الكريم السحرية الضخمة.. التي لا تعرف كيف تعمل حتى الآن.

خجل جو، لكن الماما أنقذته، بقوله: أعرف كيف تعمل.. يمكن لي أن أساعدك.

اعترض مولا بشدة، طلب منه جو أن يصمت.

قالت الماما: كل ما تحتاجه ماكينة الآيس كريم هي قربان يومي، جسد تأكله لإسعاد الناس.

قال جو: لا.. لا أستطيع أن اقتل أحداً.

عزف الأكورديون المقطوعة التي تُعزف وراء النكات: تاتا تاتاه راه راه راه، قالت الماما: لماذا إذن تحتفظ بمئة شخص في كهف؟ لتقدم لهم الهدايا؟

fb/mashro3pdf

رد جو بارتباك: لم أكن لأقتلهم.

قالت الماما: ما الفارق بين سلخ جلودهم لصناعة جسد جديد لك، وقتلهم؟ يوماً ما سيذبل جسدك مرة أخرى، وستسلخ المزيد منهم، مع الوقت لن تنتظر ذبول جسدك، ستسلخهم عند أقل خدش، عند أول هاجس، ستصير مهووساً بجسدك، ثم تصير مهووساً بأجسادهم، جلودهم المسلوخة لمتعتك.

لم يتمالك جو نفسه وبدأ في النهنهة، التي سرعان ما ارتفعت وتيرتها إلى بكاء أطفال يدَّعي التوبة، وينكر الجريمة التي سيكررها حتماً بمجرد أن تغض الطرف عنه وتبدأ في مسامحته.

تركت الماما مقعدها لتقترب منه بحنان بدا حقيقياً، أخذته في حضنها، بينما انغمس هو في البكاء أكثر، قالت له: لا تبك.. لا تبك.. مهما فعلت أنت ابنى، ستظل أجمل شخص في عيني مهما حدث. نظر لها جو مرتبكاً، لماذا فضحت اللعبة؟، ألم تنكر معرفتها به من البداية؟ جففت دموعه، ثم همست في أذنه: سأخبرك شيئاً يبهجك، قضيبك لا يشبه قضيب أخيك، بل أجمل.

رغم قسوة أن يستمع لتلك العبارة من أمه، إلا أن ذلك أبهجه، وجعله يكف عن البكاء، ويبتسم ابتسامة خفيفة ومتوترة.

عادت الماما إلى مقعدها، لتستكمل حديثها: المطلوب ببساطة، سأعطيك نصف ماندورلا، والنصف الآخر لي، مقابل أن تعود المطاعم للعمل وتمنح السحر لماكينة الآيس كريم، عرض لا يمكن رفضه.

fb/mashro3pdf

انتفض مولا غاضباً: لا حق لك في ماندورلا، وعرضك مرفوض.

تجاهلته الماما، قالت لجو: لا حاجة لردك الآن، عندما أشاهد أول بولة آيس كريم، سأعلم ردك.

ثم غادرت، بصحبة الأكورديون والحوريات.

صرخ مولا في جو: لا تقبل.. لا تقبل.. هي خائفة ونحن نستطيع أن نستعيد ماندورلا، لو كانت تعلم غير ذلك، لما تفاوضت معنا.

لم يرد جو، شرد ببصره قليلاً، قبل أن يسأل مولا: أعتقد أننا نسينا شيئاً منذ حريق المكتبة، وأنا أشعر بهذا.

قال مولا: لا أعرف عم تتحدث.

كان ذلك الشيء الذي يتحدث عنه جو: هو جوجل، الذي خطفته الماما.

***

fb/mashro3pdf

النيو عبد الجبار

كانت بكرة الغزل، ترقص لعبد الجبار على موسيقى شيك شاك شوك، وهو يتلوى ببصره مقرفصاً على الكنبة، ويدخن الشيشة، تاركاً كرشه يتدلى من قميص البيجاما المفتوح.

لم يشعر بالاستمتاع الذي كان يتوقعه، لكنه لم يجد نموذجاً أفضل ليبتهج، فهو النموذج الذي فرضته حقبة أفلام شديدة الرداءة تملأ قسماً كبيراً من ذاكرته، وتسيطر على اختياراته، بكرة الغزل التي هيأت نفسها على شكل سميرة صدقي في فستان نوم أحمر يضيئه جسد أبيض مترهل، حاولت إغراءه بأرخص الأشكال الممكنة، يمكن فهم الأمر، إذا ما عرفنا أن بكرة الغزل وقعت في غرام عبد الجبار، بنفس منطق أفلام المقاولات، أيضاً، فهو البطل الشهم، الذي أنقذها من يد ليلو البلطجي، والمغتصب، عاد من أجلها، لم تفسر البكرة ذلك على أنه صدفة، وإنه دخل بعد أن

fb/mashro3pdf

وجدت طريقاً فعالة لصده عندما جعلته يبتر قضيبه بحركة خاطئة من خطافه، رغم انتصارها، ورغم نظرتها المتشفية والهادئة، إلاّ أنها كانت ترتعد من الداخل، لم تطمئن إلا عندما دخل عبد الجبار، وسط طلقات الليزر التي أطلقها حراسه، لم تهدأ إلا عندما التقطها بين أصابعه بثبات رجل يعرف ماذا يريد، لكنها أيضاً لم تثأر و لم تتأجج مشاعرها، إلا عندما نظر إليها بلا مبالاة، ووضعها على المكتب، وواصل التفكير في شيء آخر.

هي سر كل شيء، الحجر الأسود في كعبة ماندورلا، يجري وراءها العشاق بالمشوار إلا عبد الجبار، وهو مبرر درامي رخيص أيضاً، استهلكته أفلام المقاولات في الثمانينات، لكنه يعكس رغم ذلك إدراكاً عميقاً لحقيقة الأشياء، "الرخيصة" بدورها، لا فارق في ذلك بين عبد الجبار، وبكرة الغزل.

في تلك اللحظة الرخيصة، جاء الأمر الجلل، عندما وجد عبد الجبار تحت قدمه جرادة صغيرة تحمل وجهه، وتنظر إليه بنفس الاندهاش الذي نظر به إليها.

كانت الجرادة قد تسللت من مصنع النيو عبد الجبار. لم تكن مكتملة، كانت مجرد عيب في التصنيع، لذا حاولت الهرب دون أن تنتظر الأمر بالتحرك، شعرت باختلافها عن باقي الجراد الذي يحمل وجه عبد الجبار منذ اللحظة الأولى لخروجها إلى النور، كانت من أول مئة جرادة أنتجت. كانت تحمل مثلهم حرف النون، الذي يميز كلمة "نيو عبد الجبار"، لكنها على عكسهم، كانت مجرد جرادة يمكن دهسُها بضغطة

fb/mashro3pdf

قدم، ولا يمكنها التحول ببساطة، من جرادة إلى روبوتات عملاقة طائرة لها وجه عبد الجبار وجسد الجراد، ثلاثة أضعاف حجم عبد الجبار.

حملها عبد الجبار بين يديه، وذهب إلى المصنع، دون أن يرمي بكرة الغزل/سميرة صدقي بنظره، كأنها لم تكن تبتذل نفسها منذ ثوان لإرضائه، هي التي كانت تغزل الشموس والأقمار والمدن، قدس الأقداس، السحر العصي إلا على سيد حقيقي، شعرت بالإهانة، الإهانة التي جلبت مزيداً من العشق، الوله، التعبد في عبد الجبار، الجرادة.

كان الباحثون والعلماء والعمال في القبو يحتفلون على أنغام موسيقى شعبية من المريخ، ويشربون حمّص الشام، كانوا سعداء بالنصر الذي حققوه أخيراً بتخليق النيو عبد الجبار.

كانت الجرادة متعلقة بعبد الجبار، خائفة من كل تلك الغرابة التي يمثلها العالم، فهم عبد الجبار أنها مجرد خطأ في التصنيع بمجرد أن رأى الروبوتات العملاقة التي تحمل وجهه وهيئة الجراد، فكر أن يسحقها بين أصابعه وينهي الأمر، لكنه أجّل ذلك، حتى يتبين كل شيء.

"أين رأس تامر؟".. سأل عبد الجبار، أشاروا إلى حوض سمك، به جمجمة نمت عليها طحالب، وتتمشى بين ثقوبها اسماك الزينة.

اقترب منه، انحنى امامه، أمرهم جميعاً بالانحناء والبكاء، قال للرأس: لن يضيع جسدك هباء، يا من منحت العالم حياة جديدة، ووهبت أباك الخلود.

التفتت اليه إحدى الأسماك، قفزت، بصقت عليه، ثم عادت إلى

fb/mashro3pdf

الحوض، تلك السمكة كانت تامر نفسه، الذي أمر أبوه بتصفية جسده.

كان تامر الابن الغارق في أفلام الليزبيان، قد اكتسب مهارات كثيرة بعد قطع أذنه اليمنى من قبل تيرا، ومنها قدرته على القفز في الشاشة، ليمارس الجنس مع الفتيات الناصعات، علموه طريقتهن، لا أزبار، لا مني، فقط احتفاء بملاعبات الجسد، بالتلامس، أن يأخذ وقتاً كافياً في تعلم التقبيل، كيف يشرب كل سنتيمتر في الجسد دون أن يشعر بالحاجة لاختراقه.

مع الوقت، ضمر قضيبه تماماً، تحول إلى فرج، ونبت له ثديان.

كانت تلك هي الإشارة، التي أضاءت لها جنبات مصنع النيو عبد الجبار، نسخُ التصنيع الفاشلة تحركت كمغناطيس تجاه غرفته، التصقت به، لم يفهم علماء المريخ الإشارة.

لكن ليلو، الذي يحيا الآن بلا قضيب، قايضهم على السر مقابل أن يطلقوا أسره، كان دوره قد جاء لنزع مخه، الذي يحمل الحسنين، الاكتئاب والجنون.

أمام عبد الجبار اعترف ليلو: لم يكن جسدك ولا جسد عمك هو الجسد المثالي لتخليق السوبر سوبر مان، أجسادكم تنقصها شفرة من صلبكم، جسد ولدك تامر: صبي يعرف كيف يجامع الأنثى بطريقة الأنثى، لا يفقد رجولته بفقدان قضيبه، بل تزداد تلك الرجولة فيه صلابة، كلما أدرك كيف تدرك الأنثى مكامن لذتها الخفية، العصية، السهلة.

fb/mashro3pdf

هكذا روت النبوءة، ضلّلنا المريخيين، تامر هو الخلطة الناقصة في تركيبة السوبر مان.

لم يخبره ليلو بشأن العبارة التي وصل إليها، والتي جعلته على وشك تدمير ماندورلا "علينا أن لا نصل أبدا لذروة أي شيء".

لدقائق لم يفهم عبد الجبار شعوره، كان مصدوماً نوعاً ما في ابنه الذي فقد قضيبه ونبت له ثديان، لكن نظرية الاحتمالات، ولّدت عنده أيضاً نوعاً من الارتياح، لحصوله على السر.

كان تامر يبكي من التصاق نسخ التصنيع به، استنجد بوالده، أمر عماله بنقل تامر إلى معمل النيو عبد الجبار، لدراسة كيفية الاستفادة من الولد ذي الثديين.

يعلم أن علماء المريخ لن يقتلوه، كانوا قد نجحوا في استحداث تقنية تعتمد على تقطير الروح، وهي إحدى المكاسب التي حققوها خلال فشلهم طيلة سنوات في تخليق السوبر سوبر مان.

نظرية الاحتمالات، جعلت القرار بسهولة ضغطة زر"العالم يحتاج النيو عبد الجبار، الخلاص من المتاهة قد يكمن في النيو عبد الجبار، القرابين التي تقدم هي لا شيء مقارنة بإنقاذ العالم الذي لا يقدّر فيه أحد الفحم الجيد، ولا يبيع فيه أحد الفحم الجيد، تضحية تامر لا تقارن بتضحية أب بولده".

ثم كتب في البلوك نوت الذي يحمل عصارة حكمته"كل الأشياء حتى أكثرها قساوة يمكن تبريرها.. الشر قد يكون أفضل الطرق للرحمة".

fb/mashro3pdf

في زجاجة قطرت روح تامر، ظنوا في البداية أنها مفتاح السر والشفرة الناقصة، لكن قطرات الاختبارات الأولى، أثبتت أن السر في الجسد، لا الروح، القطرات التي تسربت من روح تامر، هي التي ستؤدى لشكل الجرادة، الذي انتهى إليه النيو عبد الجبار.

انتهى الأمر بجسد تامر إلى عصير لحم، بالتوصل إلى شفرته. صُنعت منه كميات ضخمة، لم يحْتَجْ تصنيع الروبوت سوى قطرة واحدة من عصير اللحم، ثم وضعت في حضانات.

عندما جاء النبأ لعبد الجبار، وبكرة الغزل ترقص له على انغام الشيك شاك شوك، لم يعرف لمن يجب أن يوجه الشكر، للجمجمة التي تمثل جسد تامر، أم لسمكة الزينة التي تحمل روحه".

الجرادة الصغيرة، التي كانت على وشك السحق لغرابتها، قفزت من يد عبد الجبار، وبدأت في اكتشاف سبب تفرُّدها، عندما بدأت في تلقيح عدد من الروبوتات العملاقة، ليتوالد منها المزيد والمزيد، جرادات صغيرة لتلقيح الروبوت، وروبوتات جاهزة للقتال.

لكن الميزة التي يمكن استخدامها في جميع الأوقات، كانت فطرتها في القيادة، عبر ناي صغير يناسب حجمها، فبعزفها عليه اصطفت الروبوتات في تشكيلات منظمة، كجيش صغير، وأدَّت التحية العسكرية لعبد الجبار، وهو ما أعجبه، فعيَّنَ الجرادة قائداً لجيشه الصغير.

وسط نشوة نصره، شعر عبد الجبار بألم شديد في رأسه، ثم بدأ في التشنج والهذيان، كانت المعرفة التي في رأسه، والتي اكتسبها من ياهو

fb/mashro3pdf

تنفجر، هي الأخرى، بالتزامن مع انفجار النمل الذي أكل المكتبة في ماندورلا. فقد عبد الجبار الوعي.

في تلك اللحظة، انهار العالم، بانهيار محركات البحث ياهو وجوجل.

بدأ الأمر باستبدال المعلومات بأخرى، فعندما تبحث مثلاً عن النظرية النسبية لا تجد سوى معلومات عن الراقصة سهير زكي، ثم بدأت المعلومات تتناكح لتتوالد سيرة جديدة للعالم، فيتحول سيجموند فرويد إلى مغنِّي راب، ويتحول عدوية إلى زعيم نازي، ودونالد داك إلى داعية اسلامى، بينما اختلطت مشاهد الأفلام، فكان من الطبيعي عند تحميلك فيلم العراب، أن تجده مخلوطاً مع مشاهد من فيلم 4–2–4، أو تجد توقيع إيناس الدغيدي كمخرجة على ثلاثية الألوان لكريستوف كيشلوفسكي، بينما الشحات مبروك هو بطل كيل بيل لتارانتينو، أما اللوحات فتحولت إلى مجرد ألوان في حركة دائمة فوق اللوحة.

فيس بوك، بدأ أيضاً في اختراع سير متخيَّلة عن مستخدميه، تويتر اكتفى بترجمة التويتات تلقائيا إلى لغات ميتة.

لكن حتى إعادة الخلق تلك لم تستمر، فقد توقف ياهو عن عرض أي نتائج لا تحمل شيئاً عن عبد الجبار: فيديو والمريخيون يضاجعونه لنقل المعرفة، ومرة وهو يستعرض قوة جيش السوبر سوبر مان، وشرح فلسفة المريخين بفرض نموذج النيو عبد الجبار على العالم، ونماذج الانضمام للتحول إلى روبوت النيو عبد الجبار"كى تحظى بالقوة، وتحرر العالم"،

fb/mashro3pdf

وعروض دفع عن طريق الفيزا أو الرسائل النصية مع خصومات خاصة لمن يأتي بعائلته بأكملها، أو من يستطيع إقناع أصدقائه.

أما جوجل، فلم يعرض شيئاً سوى صور وفيديوهات بورنو للماما في نسختيها: ريهام وكاي باركر. وأعلانات مطاعم الماما السحرية وآيس كريم جو من الماكينة التي تعمل بالأجساد البشرية ككوينات، لكن جوجل ثبت سؤالاً في بداية كل صفحة بحث: هل تعرف قصتي؟.. إن لم تكن تعرفها ساعدني في تأليفها، واضعاً ثلاث لقطات يجب أن تحتوي عليها القصة: مدينة كبيرة من أعواد الثقاب، صِبْية يقلدون الهنود الحمر، ويحاولون إطلاق أسهمهم البلاستيكية نحوَ الشمس لإجبارها على السطوع، ومجموعة ترقص حول طوطم.

الدخول إلى المواقع الالكترونية دون استخدام مواقع البحث، لم يُفِدْ كثيراً، فالنتائج المعروضة على جوجل وياهو، كانت تعبيراً عن ما يحتويه الإنترنت، كان أيُّ تحديث يتحول تلقائياً إلى حديث عن عبد الجبار أو الماما، لذا لم تفد أيضاً مواقع البحث غير المعروفة.

المفاجأة الأكبر، أنه قد تم تجاوز كل شيء بسرعة، لم يحدث سوى شلل مؤقت، خسارة بعض المليارات، مئة ألف حالة انتحار في العام سُجلت بسبب انهيار فارم فيل، التي عربت: المزرعة السعيدة، تجارة الإنترنت لم تتوقف بل اتجهت للتسويق غير المباشر لنماذج النيو عبد الجبار، ومطاعم الماما وآيس كريم جو بعد أن اكتشفت تكالب الناس عليها، كما طرحت قروضاً من بعض البنوك لتمويل إحدى الشركات، طرحت فكرة جديدة لنموذج واحد تحصل فيه على عرض كامل: أن تتحول إلى النيو عبد الجبار

fb/mashro3pdf

وتأكل الوجبات المقوية لشهوة الحياة في مطاعم الماما، وتُحلي بالآيس الكريم السحري، الذي يجعلك أكثر رغبة في مطاعم الماما، طعام النيو عبد الجبار الحقيقي، ووقوده.

أثبت الإنسان قدرة مذهلة في التكيف مع الخراء، إن فشل في إزاحته، لكن حدث بعد ذلك ما هو أخطر: تحركت مسيرة من ألف شخص، آذانهم اليمنى مقطوعة، هاجموا المباني والسيارات والناس في الشوارع، وبدؤوا في قطع آذانهم اليمنى، كان كل من تقطع أذنه، لا يصرخ بل ينضم إليهم، ليتضاعف عددهم إلى عشرات الآلاف، قبل أن تفقد الشرطة السيطرة عليهم. كانوا يظهرون بشكل خاطف، ويختفون بشكل خاطف، كحلم لا كحقيقة.

لم تخلُ مدينة في العالم من مسيرة كتلك.

بعض من استطاعت الشرطة القبض عليهم، قالوا "إنهم يعانون من ذبابة في رؤوسهم، تطن وتطن وتطن، ذبابة تحيل الحياة إلى طاقة جهنم، ثم فجأة يخفت الطنين، يختفي لتظهر الحقيقة، الذبابة شبح لميت، لا يهم كنت تعرفه أو لا، لكنك تعرف أنه ميت في كل الأحوال، ثم تعرف أنَّ لا وجود لك إلا بوجوده، أنك ظله، هو الحي وأنت الميت، أنت شبح، ثم تفقد السمع تدريجياً، ترى كلماتك تُحرق أمام عينيك، ثم تفقد البصر، وعندما يعود السمع والبصر، يبدو كل شيء أدق، في البداية لا تجد شيئاً، ثم تعرف أنك في حلم طويل، يتحقق فيه كل شيء كما أردت، أو هكذا تظن.

fb/mashro3pdf

نفيق أحياناً، لا ندرك لذة ما كنا فيه إلا عندما نفيق، لكن لا استقامة للأمر إلا بانتشاره، عرفنا بالصدفة، أننا إن قطعنا آذان الآخرين واختلط لعابنا بدمائهم، قد يزف إليهم الخلاص، لم يأمرنا أحد بذلك، حتى أن الذبابة عادت للطن بقوة أكبر، ربما كعقاب على منح السر قبل أن يُؤذن لنا، لكن لم نكن لنتوقف، لقد اكتشفنا سر شهوتنا في قطع الآذان، لم يكن أبداً نقل القدرة، لكن الخروج عن الإذن".

في جزر هي في حقيقتها معتقلات ضخمة، عزلت الحكومات قاطعي الآذان، وبدأت المخابرات الأمريكية للمرة الأولى في التعامل مع رسائل جو بجدية، وأعدت خططاً للقبض عليهم، بل أعلن الرئيس الأمريكى أن حرب دولته الآن، ليس على الإرهاب ولكن على قاطعي الآذان، بينما كان علماؤهم يعملون في صمت على التواصل مع أشباح الموتى، لتعلُّم تقنية السيطرة على المساحة الأخيرة للإنسان: أحلامه. بينما كانت تستعد للحرب الكبرى مع المريخيّين كما تنبأت أفلامهم.

كل تلك الأحداث، ربما تحتاج لشهور وربما لسنوات، لكن عبد الجبار رآها في الدقائق التي فقد خلالها الوعي، رغم حدوثها بالفعل في شهور وسنوات.

عندما أفاق، وجد قلعته قد انتقلت من الفيوم إلى ماندورلا، ليكتمل الثالوث.. قلعة الباشا.. كهف الماما.. صدفة الحلزون الضخمة التي يقطنها جو.

كان يوماً غير عادى، فالسماء كانت تقذف مطراً غزيراً، بمجرد أن تلمس قطرة منه الأرض تتحول إلى جوابات طائرة، بعضها ذهب للماما،

fb/mashro3pdf

لطلب وجبات، وأخرى لجو لطلب الآيس كريم وأخرى لعبد الجبار لطلب التحول إلى النيو عبد الجبار، لم تخْلُ تلك الرسائل أيضاً من فواتير شركات التسويق التي روجت لهم، كانت أكبرهم شركة يديرها سارة ورامي.

كانا قد عادا من برزخ التراب والنار، بصحبة سليزي ومشروع.

كانت مطاعم الماما تعمل بكفاءة، لكن وجبات التيك آواي تفقد سحرها، كانت في حاجة إلى "باعة مهرة.. باعوا الشمس، مرات من قبل"، كما باع سليزي الفكرة إلى الماما، ثم أعاد بيعها إلى جو، بالإضافة لتسويق الوجبات والآيس كريم خارج ماندورلا، ليشمل العالم كله. بعد غزو الماما وعبد الجبار للإنترنت، بدأ طرحُ العرض الكامل: النيو عبد الجبار، يأكل وجبة الماما وآيس كريم الابن.

لم ينّفذ جو "ضربته الكبرى" كما وعد مولا، واكتفى بالنصيب المجازي، بنصف ماندورلا، وبيع المزيد من الآيس كريم الذي كون من خلاله ثروة حقيقية، رغم أنه يحصل على نسبة ضئيلة من الأرباح، بعد أن تأخذ الماما أغلبها، فضلاً عن عمولة سارة والشاعر الرامي.

عندما ذهب إليه عبد الجبار، ليطالبه ببكرة الغزل، مقابل أن يحصل على سارة والشاعر الرامي، عرض عليه الانضمام لجيشه لتحرير ماندورلا من الماما، لم يُبدِ جو حماساً كبيراً، فهو لم يعد في حاجة إلى بكرة الغزل، فالأجساد الآن لها وظيفة أهم: أن تُقذف كقرابين في ماكينة الآيس كريم، لا أن تغزل له جسداً جديداً، كما تهرَّب من تسليم سارة ورامي، فهما الآن أهم شخصين في ماندورلا.

fb/mashro3pdf

غادر عبد الجبار صدفة جو غاضباً، ليجد المريخيّين قد حاصروا قصره، مرتدين أقنعة تقيهم شر ثلج البيروكسيد الذي تطلقه البطاريات، أمر عبد الجبار جيشه بالتصدي لهم، لكنْ كان هناك تفاوضٌ قد تم مع الجرادة، التي أمرت النيو عبد الجبار بالإمساك بوالدهم. المريخيون أطلقوا عليه أشعة التجميد، ثم بدؤوا في تضخيمه، ليصير تمثالاً ضخماً، وضُع في مدخل القلعة، كان أضخم مما تستطيع ماندورلا تحمله، أضخم تمثال رأوه، لم يتحرك فيه سوى عينين مضيئتين تدوران كضوء فنار، توقفت العينان كثيراً عندما لمحت سارة والشاعر رامي، عرفوا أنه هو، أشار له رامي بإصبعه الوسطى، بينما أرق السؤال عقل سارة: هل يستمر في المجيء لمضاجعتها بخياله؟ هل ستتحمل ضخامة قضيبه؟!.

سلم المريخيون عرش عبد الجبار إلى الجرادة، قائدة الجيش التي تحمل وجه عبد الجبار.

سارة والشاعر الرامي لم يضيعا وقتاً، وتفاوضا مع المريخيين على بيع النيو عبد الجبار للعالم كله، مجاناً مقابل الاستفادة من خدمات ما بعد البيع.

ضخامة التمثال سهلت خطوات المريخيين في احتلال مطاعم الماما، وماكينة الآيس كريم السحرية التي يملكها جو.

أجبروهم على إنتاج المزيد من الوجبات والآيس كريم، وقود النيو عبد الجبار، متخذين من ماندورلا قاعدة لاحتلال العالم، تعاوُن جو والماما الملفت، جعلهم يفكرون في أن لا مانع من استمرارهما في الحكم الشكلي لنصفَي ماندورلا.

fb/mashro3pdf

استمر مطر الرسائل في الوصول إلى قلعة الباشا، وصدفة جو، وكهف الماما. لم يلحظ أحد أن من بين المطر الغزير، حباتُ ثلج صغيرة، بمجرد أن تلمس الأرض تتحول إلى رسائل تذهب إلى جوجل نفسه. كانت رسائل تحاول أن تنبئه عن قصته، بشفرات ظلت رغم ألغازها، تمثل يداً حانية تربت على كتفه، وتمنحه الأمل لاستكمال الطريق.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الطرطرة

"كل شيء يمكن روايته كما تريد، كل شيء يمكن تفسيره، إهانته، لا أحد يستطيع أن يسلبك حق الطرطرة".

بكلمات كتلك، جمع مولا اتباعاً لمقاومة الجميع: الماما والتمثال الضخم لعبد الجبار، الذي أصبح رمزاً لسيطرة المريخيين على المدينة.

مولا كان يقاوم جو أيضاً، المخلص الذي انغمس في اللعبة، ونسى أنه جاء ليُصلب من أجل الجميع، لا ليتذوقوا على يديه الآيس كريم.

مولا، لم يفعل ذلك مباشرة، كان يرغب في أن يظل جو مثلاً لما يجب أن تكون عليه ماندورلا، لذا تحدث باسمه، وباسم "الضربة الكبرى" التي يعدها جو: "لم ينس جو مصيره أبداً، يوهمهم أنه معهم، بينما ينتظر اللحظة المناسبة للقضاء عليهم جميعاً بضربة واحدة، قاضية، وناسفة، حتى تأتي الفرصة، سنستنزفهم، سنمهد الطريق لجو".

fb/mashro3pdf

أعاد مولا تجميع فرقة النافورة البيضاء، التي سرَّحَها جو، ثم ضم إليهم أتباعاً جدداً، رأوا في مشروع النيو عبد الجبار، قتلاً لهم.

قرر تحرير جوجل، الذي نسوه أثناء حربهم مع الماما، اعتقد أن استعادة المعرفة التي نظمها وسهل العثور عليها، قد تكون بداية الطريق، كان يعرف أن جوجل يملك نسخاً مخبأة من كل معلومة وحرف، كان يأمل أن لا يكون العبث قد مس النسخة المخبأة.

كان الأمر صعباً، لكن المعجزة حدثت عندما جاءه ليلو مرتدياً زي الكابتن هوك، قرصان بلا يد، وبلا قضيب الآن. لم يأت وحده بل بصحبته عصابته من القراصنة.

هرب ليلو من قلعة الباشا، بعد أن قلت الرقابة عليه وبعد أن عرف المريخيون أنه لم يعد ذا فائدة تذكر. كان انضمامه مشروطاً بشيء واحد: أن يُمنح قضيب جو الملون مكان قضيبه المقطوع. كان يعلم أن مولا يستغل اسم جو، مجرد قناع للتحدث من خلاله، وأن الفرصة قد أتت القرصان أخيراً ليلعب الدور الذي أراد أن يلعبه "المنقذ المنتصر" لا "الشرير الأضحوكة".

وافق مولا، جو لم يعد يساوي عنده قيمة قضيبه، تسلل مع ليلو إلى سريره العنكبوتي في صدفة الحلزون، وبصحبتهم عدد من القراصنة.

كان غافياً، عندما أخذوه من سريره وقيدوه، أفاق جو على أسنة سيوف القراصنة وهي تحيط به.

fb/mashro3pdf

"لقد أخذوا كل شيء".. قال جو وهو ينظر إلى مولا باستعطاف وانكسار.

"جاءت حوريات الماما بصحبة المريخيين، حصلوا على ماكينة الآيس كريم، وكل ما جمعته من النقود".

قال مولا: لماذا أخذوا الماكينة؟ لا يستطيعون تشغيلها بدونك.

نظر جو إلى قضيبه قائلاً: لقد أخذوا مفتاحها معهم، ركَّبْته للأكورديون، ليتمكن من مضاجعتها وتشغيل الماكينة.

صفعه القرصان ليلو بغيظ. نظر إلى مولا، الذي فهم ما يدور في رأسه. أومأ له بالموافقة.

بخطافه، قطع ليلو رأس جو، ثم وضعها في صندوق يطل منه رأس جو، وتدور الرأس مع زمبرك، تصدر أغنية: I dreamed a dream.

وضعوا الصندوق على عرش جو القديم، وأعلنوا باسمه استمرار الحرب المقدسة لطرد المريخيين والماما.

ليلو ذكَّر مولا بوعده بقضيب جو، المعلق في الأكورديون، لا يرغب في نصيب أكبر من هذا.

أعاد ليلو تشغيل السُّحُب كسفن، ملأ بها قراصنته. مولا وصل إلى سارة والشاعر الرامي، اللذين يبيعان كل شيء، باعا له كميات كبيرة من البطاريات التي لا تضيء إلا في النور، وكميات أخرى من ألعاب الجنود البلاستيك، التي تتحول بمجرد أن تدخل ماندورلا إلى مقاتلين مهرة وضخام.

fb/mashro3pdf

بدأ قراصنة ليلو في إيقاف سفن الماما، والموتسيكلات الطائرة، التي تنقل وجبات التيك آواي، كبدت قراصنة السماء الماما خسائر حقيقية، واستطاع الجنود شن غارات خاطفة لاصطياد المريخيين بالبطاريات التي لا تضيء إلا في النور.

جو، رأس الزمبرك، الذي صار لعبة، لم يحزنْه شيء سوى ندمه على عدم تنفيذ ما أوصت به بلورة ألكسندرا، كانت قد حلت له شفرة متاهة الآذان التي جمعها جو القديم، يسيطرون على كل شيء، يديرون اللعبة كلها في الخفاء، يدعون العبودية، العادية، ينفذون الأوامر، لكن كل شيء يمر لمتعتهم الخاصة، للفرجة، للمراهنات، هم من دبروا سيطرة الماما، بعد أن عرفوا ملل جو من عالم ماندورلا، وهو الملل الذي انعكس على اللعبة، والفرجة.

جو، لم يكن يحتاج أكثر من أن يضغط بيده على أذن عبد الجبار، التي تتوسط المتاهة، فقط لتتحرر المدينة من سيطرة الأشباح، مجرد ضغطة أذن، لكنه فكر هكذا: سأؤجل الأمر، حتى أعلم متى سأستفيد، ظن أنه يملك القوة بمعرفة السر، لا بهتكه، ماذا لو ضغط على الأشباح، بقدرته على تدميرهم؟ كان سيجعلهم عبيداً ويصير سيداً حقيقياً، "ضربته الكبرى"، التي برر بها لنفسه تفاوضه مع الماما.

لكن الحزن، لم يكن كل شيء، جو رأى قليلاً من المرح في أن يكون مجرد لعبة بزمبلك، أحب الأغنية: I dreamed a dream، فيما بعد، سيطوِّرُهُ مولا، ويجعل اللعبة تغني أغاني أخرى، وهو ما ظنه جو رحمة

fb/mashro3pdf

من مولا، لكنه كان فقط يضع الأغاني وفقاً للرسائل التي يرغب في أن تصل لأتباعه.

كان تكتيك الضربات الخاطفة ناجحاً، كما أن ليلو ومولا، استفادا جيداً من اختفائهما في صدفة الحلزون، فهي محصنة ضد الكل: المريخيين، وحوريات الماما. بقيتْ قوة النيو عبد الجبار.

كان المريخيون يعدون لـ"ضربة كبرى"، لاستخدام قوة النيو عبد الجبار التي لم تستخدم بعد. أرسلوا خمسة روبوتات، لم تكن الصدفة محصَّنةً، ضد النيو عبد الجبار، هذا ما أثبتته الضربة الأولى، والتي نجحت في كسر جزء صغير منها، لكنه كان باعثاً على الأمل.

لكن المعجزة حدثت عندما انفتح فم الحلزون للمرة الأولى: أطلق درافيل طائرة تمتطيها فئران، القوة العارمة للنيو عبد الجبار، تحولت إلى ذعر منتقل من جينات عبد الجبار، فهو يخشى الفئران.

تراجع النيو عبد الجبار، انفجر اثنان منهما اصطدما ببعضهما البعض.

أصيب المريخيون بخيبة أمل كبرى في الإنسان الذي لا يمكن قتل مخاوفه أبداً حتى لو أصبح سوبر سوبر مان، فيما عرضت سارة والشاعر الرامي على مولا وليلو شراء فئران أكثر، وعرضا على المريخيين شراء مصائد فئران، كانت صفقتهما الكبرى.

كان على المريخيين محاربة الفئران بحزم، نجحوا في اصطياد أعداد كبيرة منهم، لكنهم فيما بعد، نسوا أن الهدف هو إتاحة الفرصة لاستغلال

fb/mashro3pdf

قوة النيو عبد الجبار، فتحول الأمر إلى هوس وهواية ولعبة ممتعة، أصبح سبب بقائهم في الأرض هو تطهيرها من الفئران، بدؤوا أيضاً في اكتشاف متعة جديدة. الهروب كفريسة لجنود مولا المحملة ببطاريات لا تضيء إلا في النور، وهو ما تحول إليه أيضاً شعور جنود مولا، الحرب لم تعد حرباً، صارت لعبة.

سارة والشاعر الرامي، وضعا للعبة قواعد وعيّنا سليزي حكماً، فالفأر الذي التقطته المصيدة، يحتسب بنقطة، ويحتسب الفأر الذي اصطاده المريخي بيديه بنقطتين، فيما تُحتسب خوذة المريخي الذي يصطاده الجنود في النور عبر البطاريات، ويكتفون بعرضها في وجهه دون إضاءتها (لأن قتلهم يعنى إنهاء اللعبة عاجلاً أو آجلاً)، بنقطة، وإذا اقتنصه في الظلام بنقطتين، وكان المريخي في حالة خسارته يسلم خوذته للجنود دليلاً على هزيمته.

كان الفائز يعلَن في كل مرة يصل فيها فريق إلى النقطة ثلاثين، ثم تبدأ اللعبة من جديد، لم يحددا جائزة، لكن الأمر تحول إلى تجارة رابحة، عندما روج سارة ورامي للمراهنات على السباق بين المريخيين وجنود مولا.

اللعبة كانت تحدث من وراء مولا، الذي لم يعلم أن محاولاته لإعادة الهيبة إلى ماندورلا صارت خاوية من المعنى. ليلو اكتفى برشوة ضئيلة، بل وساهم في تنظيم المباريات، وإقناع مولا أن الحرب المقدسة "مستمرة"، وكان يومياً يحضر له خوذات المريخيين، التي اصطادها الجنود كدليل على انخراطهم في الانتصارات اليومية.

fb/mashro3pdf

لم ينشغل سارة والشاعر الرامي رغم كل شيء عن مشروعهما الأكبر، ترويج بكرات الغزل الصينية، السيئة وقصيرة العمر، كان يخططان له عبر بث فكرة أن بإمكان الجميع أن يصير سيداً كجو والماما، لم يكن الأمر سهلاً، لم يصدق أحد أن بإمكانه الاستغناء عن سيده، ليصير سيد نفسه، لينسج أحلامه كما شاء.

الماما صارت خارج كل شيء، من اللحظة التي جاءت بها لأكورديونها بقضيب كهدية.

عندما ضاجعها للمرة الأولى بقضيب حقيقي وحيّ، كان الأمر أشبه بقفل وجد مفتاحه، التشبيه ركيك، لكن ذلك ما حدث فعلاً، فمنذ اللحظة التي دخل فيها قضيب الأكورديون، لم يخرج، سمعت ريهام تكة القفل واستسلمت لفعل الحب اللانهائي، ما إن تصل للذروة حتى ينفتح القفل لثوان، قبل أن تسمع صوت التكة من جديد، لتبدأ لذة جديدة، لذة لا تكذب، ولا تفنى، لا تعرف الوهم، ولا تبغي سوى الخلود، لذة زهدت بها عن كل شيء، وذهلت بها عن كل شيء.

حتى عندما اخترقها ذلك الصوت: على من تضيء الشمس إذن؟

لم تعرف أن الصوت الذي بدأ همساً في عقلها، انطلق على هيئة ميكرفون ضخم في سماء ماندورلا يسأل: على من تضيء الشمس إذن؟.. على من تضيء الشمس إذن؟..

لم يكف السؤال: "على من تضيء الشمس إذن؟" عن الصراخ في المدينة، التي توقفت عن اللعب لدقائق، قبل أن تقذف الميكرفون بالحجارة. اختفى

fb/mashro3pdf

الصوت، ثم عادوا للعب والفرجة على المريخيين والجنود، التي انضم اليها القراصنة، وبحارة سفن الماما في لعبة أخرى تدور عليها المراهنات.

الحوريات، ضمنَّ استمرار مطاعم الماما في العمل، وضمن ليلو استمرار ماكينة الآيس كريم في ضخ القرابين، والبولات.

عاد الصوت مرة أخرى دون ميكرفون ليقول: في السابعة أظلمت الشمس وخلق الله الإنسان.. في السابعة أظلمت الشمس وخلق الله الإنسان.

قذفوه بالحجارة مرة أخرى، الوحيد الذي خرج للتلويح له. مُرحباً، كان جوجل، لكن لم يلحظه أحد.

كانت تلك بداية قصته التي تعرف عليها عبر الرسائل.

تعرف عليها كاملة، لكنه نسيها، يذكر بدايتها.. في السابعة، أظلمت الشمس وخلق الله الإنسان.

لكن الصوت اختفى، ناداه جوجل، لكنه لم يعد، فاستمر في قذف سماء ماندورلا بالحجارة، بعد أن توقف أهلها وعادوا للعب.

يتذكر شيئاً آخر من الرسائل: لقد ضلَّلَكَ بدسِّ مشهد قتلك للياهو في عقلك، احذفه.

مرت أيام طويلة، حتى نسي الجميع أمر الصوت، ولم يكف جوجل عن الأمل.

fb/mashro3pdf

اصطف النيو عبد الجبار وبدؤوا في ترجمة الحلم الجديد الذي يحمله أشباح الموتى في عقول أهل ماندورلا ليحل تدريجياً مكان الحلم القديم، رددوا الحلم في كورس ضخم:

في السابعة، أظلمت الشمس و خلق الله الإنسان.

بكهف عميق، رقدت امرأة فاتنة، مكبلة باللعنة.

كان الإنسان لازال يحبو بخوف، ويفسر بخيال مضيء، حتى أنه كان بإمكانه أن يتزوج من شجرة.

كانت تلك الشجرة قديمة، أقدم من أول خطوة للإنسان على الأرض.

سأل الإنسان زوجته الشجرة: لم خلقت؟!

فارتعدت فرائص الشمس.

السؤال

يفك الطلسم، ويخرج الحكايات من الكهف العميق.

السؤال

هو من لعن الشمس، ولعنته الشمس.

نظرت الشجرة للشمس المرتعدة بعناد، قائلة: الآن.

قالت الشجرة لزوجها الإنسان: في البدء.. خلق الله الشمس، كانت ملكة، بدا كأن من أجلها خلق كل هذا، كانت فاتنة، لدرجة أنها بدت كرب آخر.

خلق الله الشمس، وكاد أن يستريح، لولا السؤال "على من تضيء الشمس إذن؟!" سأله ملاك بعفوية، لم يطق أن يرى مخلوقا يتبدى كرب، لذا، لم يكن هناك

fb/mashro3pdf

مفر من خلق الإنسان، كي تضيء عليه الشمس".

نظر زوج الشجرة إلى الشمس المرتعدة، عرف أن من أجله خلقت تلك المتوجة في السماء، أنه الملك وهي العبد.

في السابعة، أظلمت الشمس. احتضن الإنسان زوجته الشجرة، كان خائفاً، علم مقصدها، فلا شيء يخيف قدر الظلام، لا شيء يقتل قدر الظلام.

إذا عشقت شجرة أحداً، فإنها لا تخاف الموت، لذا وهبته الأغصان، وعلمته أن احتكاك الحجرين فقط هو ما يشعل الضوء، يشعل النار.

آذته النار في البداية، تأوه قائلاً "النار تلسع". عاتبته الشجرة فابتسم وقال" النار تضيء".

بمزيد من الأغصان، صنع قوساً، وأسهماً، أشعل النار في السهام.

هنا، انتهى ما تعرفه الشجرة، ليبدأ ما يعرفه الإنسان، سألته "ماذا تفعل؟"

أطلق الإنسان الأسهم المشتعلة صوب الشمس قائلاً "سأجبر الشمس على السطوع".

ابتسمت الشجرة، رأت السؤال الملعون، المكبل في كهف عميق، يفك القيد، يجري في الخلاء، على هيئة امرأة فاتنة تحاول أن تداري سوأتها عن الشمس، تدعى المرأة "على من تضيء الشمس إذن؟!".

أما الشمس المشتعلة، فقد أجبرتها الأسهم المشتعلة على السطوع، نظر زوج الشجرة إلى قرصها الملتهب في تحدٍّ، وصاح صيحة منتصر.

fb/mashro3pdf

عبد الجبار، اكتشف في تلك اللحظة قدرته على مضاجعة سارة بخياله، كان يظن أن الأمر مجرد استمناء، لم يكن يعلم قدرته على أن يضاجع ذلك الخيالُ جسدَها، حقاً.

كان قادراً كتمثال، أن يضاجع سارة بخيال أدق، كانت تقف أمامه مباشرة، عندما أشارت له أن يبدأ، ثم بادلته الخيال للمرة الأولى، كان يتلوى داخل التمثال، لا يصل"للذروة"، لا يحتاج إلى "الأنفرانيل" و"الترمادول" لإطالة مصير أي شيء، كان فحلاً، ينسى ما زرعه الجار، وتيرا، ينسى قسوة سارة وخديعة الرامي، يغوص في المتاهة أكثر وأكثر.

ظلت المرأة|السؤال "على من تضيء الشمس إذن؟!" روحاً هائمة

واصلت الجري في الأبدية، لكن لعنتها تبدلت، مِن كلمات مقيدة في كهف عميق، إلى امرأة فاتنة لا يرى فتنتها أحد إلا وأصابه مس من الجنون أو العزلة.

عرفت كل ما عرفه الإنسان، ولم يعرفها الإنسان.

تسللت، صحت، نامت، بكت، هربت من الطاعون في أزمنة عدة، صاحبت الصعاليك والعيارين، علمتهم حيل الفرار من المتحصنين في القلاع، تعلمت فنون السيف، قادت الإسكندر في حربه ضد الشمس، ناولت السم لهتلر، علمت جون لينون الغناء كي يقتل الطاعون، عشقت لكن معشوقها خانها بالفناء فأقسمت ألا تقع في غرام زائل، تجلت كمومس، ألفت الهتافات في مظاهرات الجياع، اخترعت أعواد الثقاب، ترهبنت، ارتدت خرقة الأولياء وحرير السلاطين، أشعلت الثورات في البلدان، وشاطرت الفقراء الأرصفة.

كانت تفعل كل هذا، كي لا تراها الشمس، فلم تظهر سوى في الظلام، تجري

fb/mashro3pdf

وتجري دون أن يقول لها أحد "يالك من فاتنة".

ذات يوم، قررت أن يكف هذا الضجيج، أن تسقط منهكة. جسدها الضعيف، لم يشعر بالذنب وهو يحمل أوزار الخلق على كتفه، لكنها شعرت بالتعب عندما أنكرتها الشمس، وبالإهانة عندما أنكرها الإنسان.

تصادف وقوعها أمام عتبة بيت "أحدهم".

في السابعة، أظلمت الشمس.

كان "أحدهم" طفلاً في السابعة من عمره، ولد لاتتحمل بشرته الشمس، يدعونه بعدو الشمس، "أحدهم" الذي سيصير جوجل، محرك بحث، والهاً على سبيل إثارة الضحك.

جمع الصبية حوله، ليعرض عليهم لعبته الجديدة، كان قد صنع لكل واحد منهم قوساً وسهاماً، وزعها عليهم، وأخرج علبة الثقاب، كنزه وخبيئته التي علم أنَّ بها يكمن السر.

عندما نهرته أمه لولعه بأعواد الثقاب، قالت "النار تلسع" فأجاب بعناد "بل تضيء".

"بعود ثقاب واحد أشعل النار في أسهم الصبية، صارخاً كزعيم ملهم"

"اليوم.. سنجبر الشمس على السطوع، لنواصل اللعب"

أطلق صبية صيحات مقلدين الهنود الحمر، ثم صوبوا الأسهم نحو السماء، لكن الشمس لم تسطع، وظل الظلام محيطاً بكل شيء.

عاد "أحدهم" إلى بيته مبللاً بالخيبة، بعد أن هزأ منه الصبية، وأنكروه.

fb/mashro3pdf

كان الجسد الفاتن، المنهك، متكوماً كثوب من حرير على عتبة بيته، تعثر بها "أحدهم" ففزع.

أشعل عود ثقاب، كان الضوء أقوى من أن تتحمله "على من تضيء الشمس إذن؟!".

رأى "أحدهم" فتنة تصيب من يراها بمس من الجنون أو العزلة.

أما المرأة الفاتنة، فأشعلها الضوء والإنهاك وتحولت إلى رماد.

انطلقت أعواد الثقاب المتبقية في العلبة، أشعلت نفسها على الجدار الخشن، كقربان لرماد المرأة الفاتنة، طار الرماد، ثم استقر في علبة الثقاب الفارغة.

في تلك اللحظة، انطلقت أعواد الثقاب في أركان العالم الأربعة، من مكمنها، وانتحرت بجنون على الجدران الخشنة لعلب الثقاب.

لم يحتف أحد بهذا الحدث التاريخي، بالانتحار الجماعي لأعواد الثقاب، سوى باب صدق أو لا تصدق في الصحف.

في السابعة، أظلمت الشمس.

توقف عمر "أحدِهم" عند السابعة، واحتفظ جسده الذي ظل ينمو بمعزل عن عمره، بعلبة ثقاب تحوي رماد امرأة فاتنة.

لم يتبق له سوى ذكرى مخيفة لذلك اليوم، جعلته يجمع أعواد الثقاب بشغف، طيلة الأعوام القادمة.

حلق الجراد فوق ماندورلا، اختار صدفة الحلزون ليأكلها، تعجب مولا من استسلام الحلزون الذي ردد"لا فكاك من القدر إلا بالاستسلام للمتاهة، ولا فكاك من المتاهة إلا بالاستسلام للقدر".

fb/mashro3pdf

صرخ مولا: أي حكمة خرقاء! أي حكمة خرقاء!

ثم خطف رأس جو وفر هارباً، الرأس كانت تغني للبيتلز: let it be، صعد جبلاً، من فوقه جلس ليشاهد الجراد يأكل القصر، شاهد قطعة بازل كبيرة، عندما انتهوا، كانت قطعة بازل كبيرة تثبت مكانها، تأمّل، دون أن يفقه ما تقوله القطعة.

رجل عجوز، يدخن البايب، يملك كل ما يملكه العجائز من خيبة أمل تتبدى في التجاعيد المطوية على وجهه بعناية، والشعر الفضي المشدود إلى الوراء بقوة.

يقرأ الصحف، يحل الكلمات المتقاطعة كأي رجل عجوز يقتل ما تبقى له من وقت.

لكن كل ذلك لم يكن سوى محاولات بائسة لإخفاء حقيقته كملاك متقاعد.

طردته السماء لشغفه بالأرض، وولعه بحكاياتها العجيبة، التي ينكرها الإنسان ولا يحتفي بها سوى في باب صدق أو لا تصدق.

كان يتسلل كل يوم لشراء الصحف، يجمع قصاصات ذلك الباب ويعود ليحكيها للملائكة بفخر، لكنه نطق بالسر عندما صاح معجباً وفخوراً بصنيعة سؤاله: أرأيتم؟.. كنت محقاً، عندما همست بالسؤال.. إنه يستحق أن تضيء عليه الشمس.

طرد إلى الأرض ملفوفاً بالقصاصات التي جمعها.

تألم عندما طارده الجوع، ارتجف عندما اجتباه البرد، ثم تخلت عنه الهيئة، فصادق الوحدة لأنها الشخص الوحيد الذي بإمكانه أن يصادق شخصاً بلا هيئة.

لكن أحياناً تتجلى الوحدة –رغم لطفها وطيبتها– كشخص خائن، لذا انتظرت

fb/mashro3pdf

غياب الشمس، قصت أجنحته، آخر دلائل هيئته المفقودة، وباعتها لشراء زجاجة خمر، وتركت له هيئة رجل عجوز يدخن البايب ويملك كل ما يملكه العجائز من خيبة أمل.

لم يحزن العجوز على أجنحته قدر حزنه على قسوة الوحدة، عندما أشعلت النار في كنزه، قصاصات الصحف التي تخلد خيال الإنسان المضيء.

لم تبق له سوى قصاصة واحدة، احتفظ بها وهو يجمع كنزاً جديداً من قصاصات الصحف، لذا اعتبر تلك القصاصة ضوءه وسط كل ذلك الظلام الذي يُدعى الأرض.

كانت القصاصة تتحدث عن ولد قضى عشرين عاماً من عمره، يجمع أعواد الثقاب، جمع منها خمسة وثلاثين مليون عود، وعندما انتبه لهول ما جمعه، نسي لم كان يجمعهم من البدء، فحاول الانتحار ثلاث مرات، نجح في المرة الأخيرة، عندما جلس وسط أعواده التي جمعها، أشعلها، ليتحول إلى رماد، ويدفن في علبة ثقاب.

رامي وسارة، جاءهما زبون: أول زبون يقتنع بأهمية أن يشتري بكرة غزل، ليغزل أحلامه بنفسه، طلب أن يجربها أولاً، صنعت قطاراً، قطارَ موتى، اختطفه القطار، ليحلق بعيداً.

في السابعة، أظلمت الشمس.

وصل "أحدهم" وحده إلى حقيقة جسده الذي ينمو، وعمره الذي توقف عند السابعة.

كان يضحك عند موت أي شخص، باللذة نفسها التي يقضم بها الحلوى،

fb/mashro3pdf

لأنه حينها فقط يرى القطار الملون الذي ينقل الموتى إلى السماء، قطار لا يتحرك على قضبان، بل يسبح في الهواء بزعانف وذيل، وكان قائده يرتدي زي البحارة الأزرق، وأحياناً يتبدى له أن يعلّق علم القراصنة، وأن يضع عصابة سوداء على عينه.

تعلم "أحدهم" أنه إذا مات شخص يحبه، عليه أن يضع بجواره حلوى أم علي، فذلك يضمن درجة فاخرة في القطار وانتقالاً أنعم إلى السماء، فقد كان البحار سائق القطار يفضلها.

حاول "أحدهم" أن يكتشف أصدقاء جدداً، فصنع مدينة صغيرة من أعواد الثقاب، لكن لم يقطنها أحد.

حتى اشتمتها "لولي"، كلبة سوداء وصغيرة، تدَّعي قلة الفهم رغم إجادتها التامة لقراءة الفنجان.

ذات يوم، أشعل "أحدهم" النار في لولي، حولها إلى رماد ودفنها في علبة ثقاب.

ارتبكت الماما لدقيقة، تساءلت فيها: هل حدث كل هذا لأنها نسيتْ أن تغلق محبس الغاز قبل الرحيل، ألهذا اشتعل العالم؟ ثم أطلقت عواء ذئب لطرد الهاجس الذي تسلل إلى عقلها كذبابة. الأكورديون واصل عزفه في مغارة جسد مليء بالكنوز.

الرجل العجوز يدخن البايب، يقص أشكالاً في الهواء بمقص، يبيعها ويكسب.

هكذا على ملاك متقاعد أن يعيش ولو ببيع الهواء.

يسمون الرجل فناناً، أقيمت له المعارض، فزار العالم، كما اشتهى.

كان يجيد اقتناص الهواء وتلوينه.

fb/mashro3pdf

أثناء ضربة مقص عفوية، رأى "أحدهم" يجمع أعواد الثقاب من الناس، يخبئها ويرحل.

فعلم أن ضوءه خلف هذا الولد.

سارة، تمسحت في قدم عبد الجبار، تعبيراً عن الرضا، رامي شاهد وصمت، حاول أن يترجم ألمه إلى شعر، تذكر أول قصيدة قالها، كانت قصيدة خائبة، لكنه نال تصفيقاً حاداً، تصفيقاً لازال مشغولاً بسره إلى الآن، لو يستعيده للحظة، لا يريد شيئاً سوى أن يصفق له الناس، مرة أخرى، مرة وكفى، يذوب في العالم، المجد الذي صعد إليه للحظات، مزهواً، ثم سقط من شاهق، لينكره كل شيء.

"أحدهم"

لايجيد الغناء، الحب، الرسم، الكراهية، لعب الكرة، الكتابة، التيقن، التركيز، المداومة، العزف، الصبر، الألم، العراك، اصطياد البنات، الحديث المشوق.

ولا يعلم مايتوجب فعله للخروج من نير متاهة اسمها العالم. ذلك الشاسع الذي لايرى فيه شيئاً جديراً بالاستحسان سوى إسماعيل ياسين ومستر بن.

عايرته أخته التي كانت تجيد أشياء مُرضية لوالديها. أشياء جعلت الأب يتحسر على ولده الذكر الضائع في متاهة.

حاول "أحدهم" الخروج إلى العالم، فعاد بخدش في كفه، وتقليد أعمى للهجة أبناء المرج التي تحمل شجاعة زائفة ويقيناً هشاً.

ثم كان النزيف المروع عندما حاول أن يمارس دور الذكر القوي على أخته، فاكتشف وقتها أنه ضعيف ومهمش.

fb/mashro3pdf

عود ثقاب وينتهي الأمر، أو يخرج بجسده من المتاهة.

ينظر إلى رماد "على من تضيء الشمس إذن؟!" ويجمع المزيد من أعواد الثقاب، بنى نموذجاً مصغراً لمدينة كاملة من أعواد الثقاب، مستخدماً الصمغ، وأجنحة الذباب.

كان عليه اكتشاف صداقات، بلغ التاسعة عشر، بعد أن رسب ثلاث مرات في الإعدادية ومثلهما في الثانوية، دون أن يصادق أحداً منذ أنكره الصبية عندما أظلمت الشمس في السابعة.

اشترى كرة، قايض بها عدداً من الصبية، كانوا في السابعة من العمر.

كانت الصفقة بسيطة. الصداقة مقابل الكرة. جسده الضخم مقارنة بهم منحه زعامة شكلية.

لم يلمس الكرة ولا مرة واحدة، لم يمررها له أحد، لم تصطدم به على سبيل المصادفة، كأنها تنكره.

لم يكن يهتم، كان فقط يريد أن يجري ويجري، صارخاً معهم "جووووون"، كان يريد أن يستوثق بالصراخ من أنه هنا، أن يمسك بوجوده من ياقة القميص ويصرخ فيه "أنا حي.. أتفهم؟!"

حتى اكتشف أن هؤلاء الصبية يُسقطون أعواد الثقاب أثناء الجري، كلما جروا أكثر، زاد عددها، وكلما فرح محرز الهدف أكثر، ازدادت جودتها.

ظل يجمع الأعواد منهم كل يوم، فيما بعد تعلم أن يسرق الأعواد الساقطة من أبيه وأخته والجار وبواب العتب.

فيما بعد صار يسرقها من المارة، ثم من الشجر والحجر.

fb/mashro3pdf

فيما بعد تعاظمت قدرته حتى استطاع أن يجبر الأعواد على السقوط من تلقاء نفسها.

مرةٌ واحدة بلغ فيها ذورة القوة، عندما استطاع أن ينادي على أعواد الثقاب الساقطة من أركان العالم الأربعة وهو في مكانه. جاءته طائعة، سجدت جميعها أمام علبة الثقاب، مقبرة "على من تضيء الشمس إذن".

"طرطروا.. تغوطوا في كل مكان.. اتركوا أثركم".. صرخ مولا.

الرجل العجوز، يدخن البايب ويكسب رزقه من هواء الله، كان يعلم أن "أحدهم" على حق، وكذلك الشمس.

ولأنه زار العالم وتتبع حكاياته العجيبة، فقد اصطفى له كلبة رائعة كهدية، سمراء وصغيرة وتجيد قراءة الفنجان بلغات عدة وتعلم أن اسمها "لولي".

كانت "لولي" ملكاً لساحر قبيلة، قتل بعد أن ولاهُ أبناء القبيلة ملكاً زائفاً لمدة أسبوع واحد على سبيل الدعابة، ثم مثلوا بجثته على سبيل القربان.

هربت "لولي" بعد مقتل الملك الزائف على لوح من الخشب في عرض البحر، تقاذفتها الأمواج حتى صارت نجمة سيرك.

قال لها الملاك المتقاعد: كل ما يحتاجه الفتى، هو عود ثقاب.

أومأت "لولي" برأسها، كانت متفهمة تماماً، فقد أخبرها الملك الزائف قبل موته أن مصيرها هو الاشتعال كقربان.

جو، بدأ في تأليف أغاني تخصه، عرف مصيره. الجراد يمص الجبل الذي يقف عليه مولا، ساد الرعب في المدينة، الحكماء عرفوا أنها النهاية، فتبعوا نصيحة مولا.. تركوا البراز والبول في كل ركن.

fb/mashro3pdf

جاء "أحدهم" ورحل.

كانوا سبعة، يلعبون الدومينو، ويحرقون أعواد الثقاب.

أربعة منهم لايعرفون شيئاً عن "أحدهم"، أما الثلاثة الباقون، فلم يعرفوا أيضاً شيئاً عن "أحدهم".

جاء ورحل.

لم ينتبه السبعة أبداً، إلى أن ذلك الذي يجيء يومياً إلى المقهى، يرمي السلام، ويسحب كرسياً ويجلس بينهم: ثلاثة أشهر وهو لا ينطق أو يرمي بقربان على الطاولة، ولا اسمه حتى.

كان يرغب في أن يصرح باسمه، لكنهم لم يسألوا، كانوا مشغولين باللعب، وإلقاء الإيفيهات التي تجرح العالم، بلا هدف سوى أن يضحكوا بصخب، كان يضحك مثلهم، بل كان أكثرهم ضحكاً، كان يحاول أن يمسك بتلابيبهم ويخبرهم "أنا هنا.. وحيّ.. أتفهمون؟!"

كان يجيء ويرحل.

وبين نوبات الظهور والغياب، سأل واحد من الثلاثةِ الأربعة الباقين: من هذا الذي يجيء ويرحل، دون أن نعرفه؟

ظهرت لواحد من الأربعة الباقين نكتة، تبدت في مخيلته كعود ثقاب، قرر الاكتفاء بشعلتها الفانية عن التفكير في أن من يجيء ويرحل، يحمل بين دفة مجيئه ورحيله حياة كاملة، حياة تستحق اسماً جيداً.

حك عود الثقاب، ليقول نكتته: فلنسمِّه "أحَدهم".

fb/mashro3pdf

ضحك الثلاثة الذين لم يعرفوا شيئاً عن أحدهم"، ورد عليهم الأربعة الذين لايعرفون شيئاً عن "أحدهم" بضحك مماثل.

تصاعد الضحك في الهواء، تجسد على هيئة راقص تنورة، وظل يلف بتنورته ويلف، أشعل كل شيء: جمر المعسل، نوبات السعال، صخب القواشيط. أشعل كل شيء في دورته حتى اشتعل.

عندما هم السبعة بدفع الحساب، تناثر راقص التنورة كرماد، بحث عن علبة ثقاب فارغة، لكنْ واحد من الأربعة الذين لا يعرفون شيئاً عن "أحدهم" رأى في الرماد الذي يبحث عن حيلة للبقاء نكتة، فزفر زفرة في الهواء، تكورت الزفرة على هيئة يد، لكمت الرماد، فتفرق، حتى اختفى أثره تماماً.

عثر سليزي على نافورة الفاصوليا البيضاء. خبأتها الماما في بئر، كانت مهشمة، وتطلق الفاصوليا بصعوبة، سرقها القراصنة، لكن الشمس ابتلعت سفنهم، واحتفظت بالنافورة المحطمة، كعلامة انتصار.

"لولي" كانت تعرف أن اسمها "لولي"، أخبرتهم في منزل "أحدهم" ذلك بقوة، حتى أنهم لم يضطروا إلى اقتراح أسماء.

أشاعت المرح في كل شيء، واكتشفت وحدها مدينة "أحدهم" التي صنعها من أعواد الثقاب.

كان قد صنع داخلها ثلاث أهرامات، لكن "لولي" مسحت كفها في الهواء فظهر بجوارهم هرم رابع.

وحدها عرفت مكان "على من تضيء الشمس إذن؟!"، في جيبه، تتشمم علبة

fb/mashro3pdf

الثقاب التي تحمل رمادها بشغف، وتشعل لها كل يوم علبة ثقاب كاملة كقربان، وتتمتم بصلاة سرية من صلوات صاحبها الملك الزائف.

وحده جوجل من رأى أعواد الثقاب تسقط من المذعورين، وحده رأى هيكل المدينة، المبنية من أعواد الثقاب، بدأ في الفهم، قصته ستحل مكان قصة جو، سيمُحى كل شيء، لتبدأ اللعبة من جديد، تجمعت الأعواد وتلت صلاتها لسيدها الجديد.

فاجأهم بقوله "الأهرامات أربعة"

كانت تلك المرة الأولى التي يرمي فيها بحديث على طاولة السبعة، ضحكوا، بل تركوا كل شيء، وتفرغوا للضحك بقوة، تبدى الضحك تلك المرة على هيئة سقا، كي لا يشتعل، أطفأ السقا كركرة الشيشة ونوبات السعال وصخب القواشيط.

كان "أحدهم" على يقين، يقين يجعله قادراً على أن يستوثق من وجوده.

تجادل معهم بقوة فاستزادوه، كي يستمر السقا في صب ماء الضحك.

قال واحد من السبعة: لو جئتنا بدليل واحد، لنصبّناك ملكًا علينا طيلة أسبوع.

قال "أحدهم": أنا لا أملك دلائل.. أنا فقط أعلم.

"ربما يقصد الست.. نانسي"، قال واحد من الثلاثة غامزاً للسقا، بينما قال واحد من الأربعة: أنت الهرم الرابع.. إن وجودك معجزة في حد ذاتها.

صب السقا المزيد من الماء.

ذهب واحد من الثلاثة، ليزيد من حبكة النكتة، فك عشرة جنيهات خصيصًا كي يأتي له بشلن انتصبت فوقه الأهرامات الثلاثة بقوة زلزلت في الحال يقين "أحدهم".

fb/mashro3pdf

رمى الشلن للسقا كي يصب الماء المتبقي كله فوق رأسه.

قال: أتعلمون، كنت أظن أني أملك اسماً جيدًا، لكن "أحدهم" اسم لا بأس به.. ويناسبني تماماً.

ضجوا بالضحك، تساقطت منهم أعواد الثقاب بغزارة، جمعها "أحدهم" ورحل.

عاد قطار الموتى، محملاً بالأشباح، أسياد العالم، وزعوا بكرات الغزل الصينية على الجميع، كهدايا، لتخفيف حدة الذعر، لم يفكر أهل المدينة في صناعة أحلام، فكروا في صنع سفن للنجاة.

نهر كلبته بقوة، حبسها في قفص، هدم مدينته التي بناها من أعواد الثقاب، أخرج رماد "على من تضيء الشمس إذن؟!" أسلمها للريح فعادت إليه وتكومت كثوب من حرير داخل علبة الثقاب.

انتظر البحار الذي يقود قطار الموتى إلى السماء، أسلمه الرماد، مقابل طبق أم علي.

دعا الله أن يهبه يقيناً واحداً يخرجه من نير المتاهة، بحث عن الله بقوة، ظن أنه في تلفاز على هيئة شيخ بذقن عبوسة.

كان "الشيخ" يبدو واثقاً كأنه رب، اطمئن إليه "أحدهم"، جلس في انتظاره كل يوم.

لكن فجأة ظلت حلقات الشيخ تتكرر، ثم انكمش حديثه إلى عبارة واحدة تتكرر يوميًا، بجنون وإلحاح "احرق لولى".

أشعل جوجل عود الثقاب الأول. الجراد وصل إلى قلعة الباشا، لم يترك

fb/mashro3pdf

أي شيء سوى تمثال وحوض سمك. حاول المريخيون ركوب أطباقهم الطائرة والفرار، لكن أشباح الموتى، أشعلوا فيها النيران، ثم بدؤوا في اقتناصهم ببطاريات لا تضيء إلا في النور، أفنوهم تماماً.

الفيل الأزرق، اقتحم الخراب، حمل حوض السمك. قبل أن يرحل، قفزت السمكة، بصقت على تمثال عبد الجبار مرة أخرى، لكنه لم يلحظ، كان مشغولاً في مضاجعة سارة.

صرخ مولا، المغطى بالجراد: كنا نستحق نهاية أخرى، نهاية غير مفتعلة على الأقل.. لم يجد منفذاً لطرد الجراد، سوى أن يقفز في نهر الدم، الذي اخترعه جو خصيصاً له، ظل يشرب منه، حتى ارتوت عروقه، ألهبته شهوة الدم، عرف سيرته الأولى: مجرد قاتل بسكين، نحر رقبة كل من قابله، لوحة النتائج المعدة للمباراة بين المريخيين والجنود، تفرغت لعد قتلى مولا.

قال أحدهم للسبعة "ذات مرة.. أشعلت النار في كلبة.. وهذا رمادها"

عندما هموا بالضحك كان أحدهم أكثر قوة تلك المرة، حتى أنه أوقف المشهد كله في المقهى والشارع بإشارة من إصبعه، لينخرط وحده في بكاء عميق، دون أن يجرحه صوت أو نكتة.

ليلو، لم يعرف بعد: أكان هاجسه من الله أم من الشيطان؟ هل خلق حقاً لقيادة ميكروباص، أم قبطاناً لسفن السحاب؟ آخر أمنياته: أن يحصل على قضيب جو، استغل الفوضى، وقلة الحراسة على كهف الماما، ليحصل على حقه الذي سرقه أكورديون.

fb/mashro3pdf

عندما وصل إلى الكهف، تجلت أمامه الماما القديمة: كاي باركر، قدمتْ مع الموتى في قطارهم، عاتبته: حتى والعالم يتآكل.. يظل إزعاج عاَشَقين أكبر الخطايا.

خجل ليلو من نفسه، وجلس بين فخذيها كطفل، علمته لعبة جديدة ليسِّلي وقته أثناء انهيار العالم، بلمسة جعلت له لسان ضفدع، فبدأ في أكل الحوريات، وكلما أكل واحدة، دبدب فرحاً على الأرض كطفل.

كانت "لولي" تعلم، لذا لم تقاوم، بل تخيرت أعواد الثقاب التي تود أن تُحرق بها، تشممتها أولاً، ترمى المعطوب منها بل والجيد أيضاً، وأبقت الأنواع الفاخرة فقط، الأنواع التي تليق بكلبة ملك سابق، ونجمة سيرك.

سبقته إلى الساحة التي كان يلعب بها الكرة، كانت الشمس تراقب.

في السابعة أظلمت، فأشعل "أحدهم" النار في "لولي" لكنها لم تتحول إلى رماد، بل إلى عود ثقاب بحجم كلبة تجيد قراءة الفنجان بلغات عدة.

أضاءت الساحة، فانكشفت له الشمس، إنها تجيد اللعب بأعواد الثقاب المسروقة من الإنسان.

رآها ترسل الأساطيل، مراكب الشمس، تتفوق بها لأثينا على إسبرطة، وللفرس على المصريين، وللألمان على الآشوريين، ولبابل على قوات المارينز.

ثم تعود لتخلط أوراق اللعب من جديد، فينتصر المصريون على أثينا، وإسبرطة على بابل، وتمحو قوات المارينز معابد الفرس. بينما يحاول الآشوريين تعليم الألمان الكتابة على الطين والحجر والشمع والمعادن.

رأى الحضارات تنتصب، فتمحوها الشمس هازئة بضربة كف.

fb/mashro3pdf

كان الإنسان يحاول أن يخبيء منها العرج والعور والبرص والجذام والكره والعجز والدمامة أسفل بناء مهيب وشاهق وبلا خطأ واحد.

وقف الإنسان فوق بنائه المعجز، رافعاً راية مجده، ليصيح صيحة المنتصر في وجه الشمس.

لكن ما خبأه الإنسان أسفل بنائه، انتفض من جديد كجحافل نمل تتشح بالعرج والعور والبرص والجذام والكره والعجز والدمامة، أشعلوا في البناء النار، ليتحول مجد الإنسان إلى رماد، أعلت جحافل النمل الراية، وصاحت صيحة المنتصر في وجه الإنسان.

رأى "أحدهم" مارداونا، وهو يحترق بموهبته في الملعب مع كل خطوة، وهو يجعل من الإنجليز مجرد مهرجين يحاولون لعب الكرة، بينما خُلق هو ليلعبها، لأن يد الله هي من وهبته.

بعد أن أتم احتراقه، رآه يرفع الكأس منهكًا وبديناً وفي يده سيجارة ماريجوانا، يسب الجميع، ويقول "مملكتي ليست من هذا العالم".

رأى قائد قطار الموتى ينثر رماد "على من تضيء الشمس إذن؟!". عادت إلى هيئتها امرأةً فاتنة.

كانت الشمس تستلهم مجد الإنسان لتضيء، هي لاشيء، بدون الإنسان، لذا تحاول تضليله دائماً، لذا لا تطيق أن ينظر إلى قرصها الملتهب ليعرف الحقيقة.

"يالك من فاتنة"

قالها "أحدهم" لِ"على من تضيء الشمس إذن؟"

fb/mashro3pdf

كانت تلك هي الجملة التي تنتظرها منذ أن همس بها ملاك متقاعد.

لذا امتلكت القوة كي تزيح كف الشمس عن ما تحاول طمسه بالظلام، فعرف أن الأهرامات أربعة، تماماً كاليقين الذي منحته له "لولي"

أكلت "النار" لولي تماماً.

في السابعة أظلمت الشمس، وأضاءت روح "أحدهم"، كان الألم على ذنبه هو عود الثقاب الذي أضاء المعرفة، كان انكشاف يد الشمس هي المعرفة التي أضاءت الألم.

بقلب مكلوم ذهب "أحدهم" إلى التلفاز، حرق الشيخ، وزفر زفرة في الهواء، تكورت ولكمت رماده حتى اختفى أثره تماماً.

عرف "أحدهم" الذي عرف الألم أن عقله تجاوز جسده، وأن عليه أن يجاهد كي تظل روحه بالسابعة.

بلورة ألكسندرا، تحطمت إلى آلاف الشظايا، عاودت السقوط كمطر من الخناجر، كلما اخترقت شظية جسداً، احترق مما عرفت ألكسندرا.

قذف "أحدهم" الشلن في يد السبعة، انتصبت الأهرامات الأربعة في وجههم بقوة، فصمتوا.. انتهى ما يعرفونه ليبدأ ما يعرفه "أحدهم".

طالبهم بالوعد، أن يصير ملكًا عليهم لمدة أسبوع.

كمجذوب، وقف جوجل يحاول تنظيم المرور، حرر مخالفة لقطار

fb/mashro3pdf

الموتى، الذي يدهس كل شيء في طريقه، رأى رجلاً عجوزاً يدخن البايب، كان يحمل في يديه قصاصة: "أحدهم" سيموت محترقا.. إنها لعنة الشمس.

"أملك اسماً جيداً"

قال "أحدهم" للسبعة في ساحة الكرة.

طلبوا منه أن يفصح عنه، لكنه قال: لابأس.. ما اخترتموه لي يناسبني تماماً.

كملك، أمرهم بالبدء بالبناء، بكل ما جمعه من ثقاب، طيلة حياته.

كان يشير كمعماري فذ، يبني مدينته تلك المرة بخيال أرق ورماد امرأة فاتنة وروح طفل في السابعةوبقلب يجيد الغناء، الحب، الرسم، الكراهية، لعب الكرة، الكتابة، التيقن، التركيز، المداومة، الألم، الصبر، العراك، اصطياد البنات، الحديث المشوق، سمى المدينة: ماندورلاَّ.

بنى للسبعة طوطماً هائلاً من قواشيط الدومينو.

بينما نثر دمى إسماعيل ياسين ومستر بن في المدينة، لاشيء جدير بالاستحسان في هذا العالم سواهما. أما درة المدينة فكانت في مدخلها على هيئة كلبة تجيد قراءة الفنجان بلغات عدة وتعلم أن اسمها "لولي".

عندما انتهى البناء، فاجأ "أحدهم" السبعة بقوله: بإمكاني الآن أن أتزوج شجرة.

ضحكوا، فضحك، دون أن تجرحه النكتة، فما إن أنهى كلماته حتى انتصبت شجرة في منتصف مدينة الثقاب.

fb/mashro3pdf

لكن في السابعة، أظلمت الشمس.

أعطى "أحدهم" السبعة أقواساً وأسهماً، أشعل فيها النار، وأمرهم كملك أن يصوبوها نحو الشمس لإجبارها على السطوع، فعلوا، لكن الشمس ظلت على عنادها.

هزأ منه السبعة، أما "أحدهم" فقال: كنت أعلم.

قال واحد من السبعة: الآن.. انتهى الأسبوع وملكناه علينا كدعابة وعلينا الآن أن نكمل اللعبة للنهاية.

نزع السبعة ملابسهم ليصيروا عراة إلا من أوراق شجر يغطي العورة، طافوا حوله وهم يطلقون صيحات بلغات بدائية، قطعوا من أوصال الشجرة أغصاناً وجعلوها رماحاً.

سمى الأول نفسه بالأعرج والثاني بالأعور والثالث بالأبرص والرابع بالمجذوم والخامس بالكاره والسادس بالعاجز والسابع بالدميم.

تلا السبعة صلوات للطوطم الذي بناه "أحدهم" من قواشيط الدومينو.

قيدوا "أحدهم" في الشجرة التي انتصبت في منتصف المدينة.

كان "أحدهم" ينتظر، بل بدا أنه مَن خطط لكل هذا، لذا كان معه حلوى أم علي التي يفضلها البحار سائق قطار الموتى، فذلك يضمن درجة ركوب فاخرة وانتقال أنعم إلى السماء.

أشعل السبعة النار في مدينة الثقاب، بينما كانت دمى إسماعيل ياسين ومستر بن تقدم آخر عروضها لـ "أحدهم".

fb/mashro3pdf

نظر "أحدهم" إلى النار التي تلتهم المدينة وتقترب منه في رضى، ابتسم، فقد أجبرت النار الهائلة الشمس على السطوع، نظر إلى قرصها الملتهب في تحدٍّ وصاح صيحة منتصر.

بعد أن انتهى تحميل الحلم الجديد في أركان المدينة، عاد جوجل من برزخ التراب والنار، على هيئة صبيٍّ في السابعة من عمره، يمتطي الفيل الأزرق، أعلن نفسه ملكاً على الذاكرة الجديدة للمدينة، معلناً بدء اللعبة من جديد.

النيو عبد الجبار، الذي احتل العالم، تحول إلى جراد، قتله المزارعون بسهولة.

حذف الموتى من ذاكرة العالم كل ما تسلل إليهم من ماندورلا، عاد جوجل وياهو للعمل بكفاءة، دون أن يذكر أحد انهيارهما، كل من حملوا آذاناً مقطوعة، تحولوا إلى فقاعات صابون ملونة، انفجرت في السماء، وصاروا أحلاماً وكوابيس.

عاد أشباح الموتى للتسلل بين أهل ماندورلا الجديدة، كناس عاديين، تقمصوا أدوار العبيد، ليخفوا دورهم في تسيُّد الأحلام.

سارة صارت الماما، ورامي قرصاناً في الحلم الجديد، ثمناً لصفقة توزيع بكرات غزل من صنع الموتى.

لم يفهم أحد الام يشير التمثال، والسمكة التي تبصق من وقت لآخر على التمثال، والأكورديون الذي لا يكف عن العزف في مغارة جسد لا يشبع، والرأس التي تغني كلما أدرت الزمبرك، لكن مع الوقت بث أشباح

fb/mashro3pdf

الموتى حكايات عديدة ومتضاربة عنهم، قصها أهل ماندورلا كأحلام رأوها، سرعان ما تحولت إلى حقائق.

أحمد الفخراني– القاهرة

27 يونيو 2012

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf